جامعة وهران 2
كلية العلوم الاجتماعية
اطروحة
لـــــنيـــــل شهادة دكتوراه علوم
تخصص فلسفة

إشكالية الجسد في التحليل النفسي
- فرويد أنموذجا-

من اعداد الطالب(ة):
قصـاص سويعد محمـــد

اشراف :
أ.د بوشيبـــة

تشكيلة لجنة المناقشة :

اسم و لقب الاستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
الزاوي الحسين	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران *2*
بوشيبة محمد	أستاذ التعليم العالي	مشرفا و مقررا	جامعة وهران 2
سواريت بن عمر	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة وهران 2
بن جدية محمد	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة مستغانم
مغربي زين العابدين	أستاذ محاضر" أ"	مناقشا	جامعة سيدي بلعباس
ثابت قسول	أستاذ محاضر" أ"	مناقشا	جامعة سيدي بلعباس

الموسم الجامعي
2018/2017

إهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى ذاك الكل الذي يسكنني و يغمرني إرادة للمزيد من العطاء، إلى روح أبي الطاهرة .

إلى هوى الروح ، إلى التي عشقت عمري تكريما لها ، إلى القبس الذي أنار حياتي و أفاضني حنانا إلى أمي الغالية .

إلى توأم روحي و رفيق دربي ، إلى زوجي الغالي : محمود .

إلى قرة عيني ونبض فؤادي إلى أبنائي : جويدة ، أحمد ، يوسف حسين ، عبد الباسط،دعاء.

كلمـــة شكـــر

أول الشكر و آخره أتقدم به إلى المنعم الباري "عز و جل" الذي أحاطني برعايته الإلهية و يسر لي كل عسير و ألهمني الصبر و القوة في شق طريقي نحو البحث العلمي

كما أتوجه بخالص شكري و تقديري و عظيم إمتناني إلى الدكتور الفاضل بوشيبة محمد لما أبداه من رحابة صدر و إخلاص في النية فقد أنار لي دربي و كان لي بمثابة القدوة التي أقتدي بها .

كما لا يسعني في هذا المقام العلمي إلا أن أتقدم بخالص الشكر و التقدير إلى كل أعضاء اللجنة العلمية المناقشة لهذه الأطروحة التي أتشرف بمناقشتها امام : أ.د: الزاوي الحسين و أ.د:سواريت بن عمر - جامعة وهران2 -

أ.د:بن جدية محمد - جامعة مستغانم - و أ.دمغربي زين العابدين و أ.د ثابت قسول - جامعة سيدي بلعباس -

راجية من المولى عز وجل الإفادة و الإستفادة .

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من شدوا أزري و شاطروني أمري لأكمل خطواتي، أهدي هذا البحث المتواضع .

المقدمـة

المـقــدمـــــة

يصل الفرد إلى هذا العالم و هو كيان فيزيقي يتشكل و يتغير حسب خصائص النمو و قوانينه بهدف تحقيق غرض ضمني وهو الوعي الذاتي، و مع إستمرار العملية النمائية و تعقدها و التي تشكل من جميع الأبعاد كافة الجوانب المؤسسة لبنيان الإنسان سواء كانت جسدية عقلية أو إنفعالية وجدانية أو حتى إجتماعية، يبدأ الفرد في تكوين مفهوم حول ذاته كما يكون الفرد في الآن ذاته تصورات و إدراكات حول جسده ،هذا الجسد الذي يشكل فضاءا للتواصل الإجتماعي و الثقافي لطرقه عدة مواضيع تتعلق بذاتيته من جهة و علاقته بالغيرمن جهة أخرى .

إذن هو بمثابة بطاقة هوية للأفراد و إنتمائهم الإجتماعي، و ما يمكن أن يحمله من ملامح الرغبة و النفور في نظر الآخر ،مما يدعونا إلى إعتباره أيضا كنص لغوي قابل للقراءة و الفهم و التأويل النفسي و السوسيولوجي داخل شبكة العلاقات الإجتماعية .

فالجسد إنطلاقا من طبيعته إتخذ منحى آخر جعلته يخترق عدة مجالات ومباحث نفسية و فلسفية وحتى علمية، فهو يعد من أهم القضايا الفكرية و التي إنعكست فضاءاتها على مختلف التيارات الحديثة لما يطرحه من أبعاد دلالية تأويلية، مما جعل التساؤلات تتبادر حول كينونة و بعد هذا الجسد.

إن الجسد يحمل دلالات وتعددية فهو ظاهر و باطن ،ثابت و متحول ،هيئة و ماهية ،هذا المأزق جعل التاريخ يقع في مفارقات مفاهيمية يتأرجح بين إشكالية الثنائية أ و كما عرفها "أرتور شوبنهاور" ذات مرة " بعقدة العالم ".

إن إشكالية الجسد والروح تثير سلسلة من الأسئلة و المفارقات تتجاوز حدود العلاقة بينهما ،هاته الأخيرة التي تخللت مجمل تاريخ الفكر الغربي و حتى اليوناني، فقد لعبت دورا مركزيا في الفلسفة الإغريقية ثم عادت و بشكل سجالي في عصر النهضة مع روني ديكارت، سبينوزا ،ونيتشه و التي بقيت تحاكي نفس نمطية الموضوع من خلال طرحها لنفس الإشكال و المتمثل في :

-هل من الضروري عند التطرق إلى إشكالية الجسد و الروح مجبرين إما على إلغاء الروح أو أن نلزمه بالإنفصال عن الجسد بإعتباره قائم بذاته؟ و إما مجبرين على نفي الجسد كمادة أو كآلة تعيق حركية الروح ؟

-ما معنى أن يكون مغيبا؟ و ما معنى أن يكون حاضرا؟ ما الإنسان؟ أجسد أم روح؟ هاته الإشكاليات اللاتقليدية تتراءى لفكر متفتح ينظر إلى الإشكالية من أفق و منظور أخر،يحاول الكشف عن تلك الأنظمة المعرفية و الإبستمولوجية التي تتخفى وراء الجسد

وهذا باعادة طرحه وفق نسق نفسي تتجاوز الطرح الكلاسيكي، فهل فعلا نحن واثقون أن هاته الإشكالية يمكن حصرها في مجال الجسد والروح؟ أليس لها بعدا سيكولوجيا معرفيا ذات دلالة ومعنى تتجاوز الطرح الأكاديمي؟

بمفهوم أدق كيف قارب التحليل النفسي و بالأخص فرويد مفهوم الجسد؟

لقد أصبح التحليل النفسي يطالب الذات بالغوص داخل أعماق الجسد و أعماق اللاشعور و فهم مكبوتات النفس وما تعتريها من إضطرابات عصبية سيكولوجية تنعكس و بشكل ظاهر على مستوى الإضطرابات الجسدية ،ومن هنا يعتقد فرويد أن وحدة النفس من وحدة الجسد، فالإنسان ليس جسما بيولوجيا بل هو جسد بيولوجي نفسي .

لقد كان للتحليل النفسي الفضل الكبير في فهم أغوار النفس وتصعيد مكبوت الجسد على إعتبار أن غرائز الإنسان ميوله هي الأساس لسلوكه الجسدي ،لقد جعل التحليل النفسي الجسد لاشعوريا و لكن من الصعب علينا قراءته قراءة ظاهرة فهو يحمل في جوهره تكتما و تراكمات تكاد تكون مدفونة في جهاز نفسي قائم على الصراع من جهة والتوافق من جهة أخرى ،وبهذا فقد إستطاع فرويد أن يقيم ثورة أو بالأحرى قطيعة إستمولوجية على إعتبارأن فكر فرويد يكتسي أهمية متفردة من حيث التوجه و المنهج لأنه يطرق حقلا معرفيا لطالما همش من الدراسات الأكاديمية ،فتاريخ التفكير في الجسد مبني على مبدأ الترفع و السمو، فإما أن الفلاسفة كانوا يعتبرون الروح مفارقة للجسد و هو ما يعني إسناد أسبقية معرفية و جودية إلى الفكر و يتبنى هذا التصور المذهب العقلاني والمثالي .

إذ إعتبر "روني ديكارت" الجسد ظاهرة و موضوعا خاصين بالنظر إلى المواضيع الأخرى، على إعتبار أن الجسد و الفكر جوهران مختلفان ،لأن طبيعة الجسد المادي و القابل للدراسة العلمية التجريبية يحمل في ثناياه بعدا إنسانيا يعي و يدرك، وبالتالي تتعذر بالنسبة لديكارت الجمع بينهما فلسفيا ، لقد كان تمييز ديكارت يرتكز على معطيات

معرفية و أنطولوجية، بينما أفلاطون فقد أكد أن الروح هي أسمى شيء في الإنسان لذا وجب الإهتمام بها، أما الجسد فليس سوى سجن عقابي للروح لأنها طردت من عالم المثل بسبب خطأ إقترفته، لذا يمثل الموت إنعتاقا و خلاصا لها من الجسد ،لتبقى هاته النظرة الدونية تستحوذ على أغلب الأنساق الفكرية الكلاسيكية وحتى بعض الفلسفات المعاصرة و التي غيبت الجسد وأعتبرته مجرد فراغ و مظهرا أجوف مما يجعله موضوعا تافها.

هذا الطرح الكلاسيكي الذي أساء فهم الجسد على حد تعبير فردريك نيتشه و الإستخفاف به، فأغلب التصورات التي شددت على الجسد بإعتباره موضوعا للإشتغال الفكري جعلته مركز إهتمام النسق الفلسفي و النفسي، بحيث لم تستطع أن تحوك خطابا أصيلا إلا عندما نقلت مجال الإشتغال من اللوغوس إلى الوجدان ووجهت بوصلتها صوب الممارسة الإبداعية و التجربة الجمالية، وعيا منها أن الجسد لا يغادر حيز الصمت إلا إذا ما إحتوته لغة المجاز و التأويل و أفصح عن كينونته عبر مدارات علم النفس.

أو بالأحرى التحليل النفسي الفرويدي الذي بدأ خطواته الأولى في ميدان الطب و في دائرة ضيقة منه هي الأمراض العصابية ، ولكن ميل فرويد إلى التفلسف فتح أكثر من أفق فكري و هذا لتأثير التحليل النفسي على الفلسفة الحديثة كالوجودية و البنيوية و الشخصانية ،بل كان له أبلغ الأثر في علم النفس ، هذا العلم الذي يدرس سلوك الإنسان بأوسع معنى لمصطلح السلوك الذي يشمل نشاط الإنسان في تفاعله مع بيئته من أجل

تحقيق أكبر قدر من التكيف أو تكيفا ذاتيا معها حتى يحقق لنفسه أكبر توافق .

و السلوك بمعناه الواسع يتضمن ما هو ظاهر كالتركيبة البيولوجية "بمعنى الجسد" و ما هو خفي غير مدرك إلا من صاحبه كالرغبات و المشاعر و الغرائز .

إن سيرورة التحليل النفسي عبر التاريخ و علاجه لإضطرابات السلوك و الشخصية المعبرة عن ماهوية الجسد و بنيته النفسية ،مهدت بوضع أسس علمية و مفاهيمية من خلال العلاج باللغة و التداعي الحر، فالعلاج النفسي من أهم موضوعات علم النفس لما له من علاقة وطيدة بمعالجة المرضى النفسانيين و دراسة السلوك الإنساني السوي و الغير سوي .

لقد وجه فرويد إهتماما خاصا لدراسة الحياة اللاشعورية والتي تكمن وراء الكثير من مظاهر الجسد و حضوره، فبنية السلوك تتلخص في مظاهره الجسدية و الحركية و بالتالي تنعكس في القدرة على الفعل و إثبات الشخصية، وكل ما يحمله الجسد من تركيبة عضوية موجهة إلى الخارج كأعضاء و كوظيفة، و من ثم لا يدرك الإنسان إلا ما هو خارجي ،هذا التركيز على الخارج هو الذي يقصي إدراكه لجسده في جزئياته و كلياته.

التمظهر الخارجي و الإهتمام به جعلنا في غفلة دائمة عن ذواتنا هذا ما جعلنا نحدد الهدف من هذه الدراسة النفسية الفلسفية محاولين بلورة و فهم الجسد ببعده السيكولوجي لعلنا نساهم في إنتزاعه من الهامشية و الشيئية بإعتباره يمثل الهوية و الماهية الانسانية و هذا من خلال فهم الذات و إبرازه من خلال لغة تتكلم و تعبر عن مكبوتاتها و هكذا

تحول الجسد إلى لسان حال الذات عندما تتقمص اللغة صفة التأويل و الإستضمار ليصبح الجسد بذلك أداة للتعبير و التخاطب.

هذا ما دفعنا إلى طرح هذا الموضوع و التأسيس له لما يحمله من تأصيل جدي في التحليل النفسي الفرويدي، و لكن ثمة إعتراف لابد من الإدلاء به وهو طبيعة الموضوع الشائكة لكونه ميدانا تتشابك فيه الحقول المعرفية المتعددة منها العلوم الإنسانية و الأدبية و حتى الفنية، خاصة قلة الدراسات التي تتناول إشكالية الجسد في التحليل النفسي عامة و فكر فرويد الذي يحتضن الجسد خاصة ، و مع ذلك فقد ألزمنا هذا الطرح الدقة بأسلوب لا يبتعد عن المجال الفلسفي من خلال وضع خطة بحث تشتمل على أربع فصول و كل فصل يتضمن مبحثين :

- يشمل الفصل الأول المعنون **بجينيالوجيا وكرونولوجيا الجسد** على فلسفة أبجديات الجسد من خلا ل جملة الدلالات اللغوية والنفسية و أهم الجذور اللغوية للمفهوم إصطلاحيا و دلاليا ،وإن كنا نوظف في هذه الدراسة التحليلية مصطلح الجسد فذلك تمييزا له عن باقي المفاهيم الأخرى كالبدن و الجسم و هو موضوع المبحث الأول تحت عنوان **الجسد إيتمولوجيا**.

أما المبحث الثاني فيتناول مسحا تاريخيا إبستمولوجيا لأهم المفارقات الأساسية وهي إشكالية الجسد و الروح و التي تستمر في إثارة الأسئلة العميقة المتعلقة بطبيعة الإنسان و الحديث عن أهم المساهمات الكبرى من جانب الفلاسفة بإختلاف توجهاتهم الفكرية

فالتصور الفلسفي للجسد يتراوح بين النزعة العقلانية و التصور الثنائي لعلاقة الجسد بالروح كديكارت، أفلاطون و بين النظر إلى الجسد من حيث دلالاته و معانيه كسبينوزا و نيتشه و فرويد.

كما أن الجسد لم ينل في الدراسات الفكرية العربية الإهتمام المرجو كالذي نتلمسه في الدراسات الغربية المعاصرة ،و قد يعود هذا لكثرة المحاذير التي تحيط به أكانت دينية أو إجتماعية أو حتى أخلاقية نفسية ليبقى حبيس التهميش و الإقصاء ،و هذا ما تم التطرق إليه في المذكرة من خلا ل محاولة الإجابة عن بعض الإشكاليات منها :

لماذا نقزم الجسد و نعتبره أخر غريب ؟

هل يمكن مفهمة الجسد خارج الإرث الافلاطوني الذي رسم منذ البداية قدر الجسد و جعله مقبرة الروح ؟ كيف تم فهم الجسد تاريخيا عبر الوعي الفلسفي ؟

هذا ما دفعني إلى الخوض في هذا المجال و طرح الموضوع بشكل مختلف و جذري من خلال معالجة التحليل النفسي لإشكالية الجسد مع مؤسسها سيغموند فرويد .

وبالتالي سنحاول تحديد الإشكال الفلسفي و العلمي النفسي لمفهوم الجسد ،ثم نبين بعده التاريخي بعدئذ نعرض للقطيعة الإبستمولوجية و هذا بذكر أهم المحطات و المراحل الفكرية ،لذا سيكون بحثنا إنتقائيا من جهة و مفهوميا من جهة أخرى .

يكمن المشكل في أننا عندما نفكر في الجسد نفكر في الأنا كحضور أمام الذات وهو الأمر الذي جعلني في بحثي هذا أتراوح بين المرئي أي الجسد بتمظهراته، و ما هو غير مرئي أي مفهوم الجسد ،أي بين ما هو معطى و ما هو غير معطى، و هذا يستلزم التأمل

الداخلي من أجل الكشف عن الجسد، هذه المفارقة تحمل في طياتها مسألة إختيار زاوية النظر إلى الجسد أي :

- ماهي زاوية النظر التي يمكن من خلالها أن ندرس و نفهم الجسد ؟

- و أيهما أجدر بالدراسة المادي الثابت أم المعنوي المتغير ؟

- هل نفكر في الجسد علميا أم فلسفيا ؟

- هل يمكن التفكير في الجسد إذا كان ما يحدد الجسد هو الوعي والإدراك؟

- وإذا كان لا يمكن بلوغ الجسد بالوعي لأن الوعي يستند إليه، فهل يمكن التفكير في الجسد عن طريق التأويل واللغة؟

أسئلة كهذه وما تحمله من تضمينات نظرية تستدعي الحديث عن تاريخية الجسد في الفكر الفلسفي بدءا بأفلاطون و تصوره العقلاني لعلاقة الجسد بالروح و هذا ضمن مجموعة قد تناولها من المحاورات، و من بينها على الخصوص محاورة "فيدون" و "مينون" و التي يبين فيها مدى التعارض بين طبيعة الجسد و طبيعة الروح، والتي تتعارض مع نظرة أرسطو التي تقر بأن المعقولات موجودة بالعالم الذي نعيش فيه و ما علينا إلا أن ننتزعها بالتجريد، فالنفس مبدأ حركة في فلسفة أرسطو.

غير أن الطفرة الحقيقية قد تحققت مع الإنتقال من الفكر الكلاسيكي الذي حد من قيمة الجسد إلى فكر حداثي تخلى عن نظرية العقل أو النيوطيقا الأرسطية و عن نظرية العلل المادية و الفاعلة و الصورية و الغائية .

لقد كان إكتشاف الكوجيتو إيذانا بميلاد الفلسفة الحديثة، هذا الكوجيتو الذي حرك الفكر الفلسفي إنطلاقا من الذات الواعية و صولا إلى التمييز بين النفس و الجسد ،و هذا ما تلمسناه في فلسفة برغسون الذي يميز بينهم و لكن الإختلاف بينهما يكمن في أن برغسون أحال العالم المادي إلى ديمومة بإعتبارها معطى شعوري.

والأن نعرج إلى أهم الفلاسفة العقلانيين التابعين لديكارت ومن بينهم "باروخ سبينوزا" الذي يطرح إشكالية الجسد من منطلق ديكارتي و لكن بخلاف، فهما ليسا منفصلين بل صفتين لجوهر واحد في العالم هو الله أو الطبيعة و هذا الجوهر يحمل صفات لانهائية و في هذا السياق هناك تواز بين الجسد و النفس .

أما في الفكر المعاصر فقد أعتبر الجسد بمثابة أحد الميكانيزمات الجوهرية لتعبير الذات عن ذاتها وهذا مع الفيلسوف الألماني "كانط"، و "نيتشه" الذي عمل على تعرية أصول الفكر الكلاسيكي بمنهج نقدي أعاد فيه الإعتبار للجسد لتأتي صياغة أخرى جديدة و متجددة وهي المدرسة الفينومينولوجية مع "موريس ميرلوبونتي" و تنظيره للواحدية .

لقد إهتم مير لوبونتي بالجسد من كل النواحي الوجودية و النفسية و حتى السلوكية فالجسد يرتبط إرتباطا وثيقا بالإدراك ليأخذ مفهوم الجسد طرحا أخرا وهذا لإرتباطه

بالمجتمع و السلطة بإعتباره عصب السلطة مع "ميشال فوكو" و أيضا حامل لهوية فردانية و هوية غيرية في نفس الوقت .

هذا المسح الكرونولوجي الذي يتحدث عن أهم القضايا المركزية و التي تقدم بدورها أهم التوجهات و التصادمات الفكرية و الفلسفية لإشكالية الروح و الجسد، فالهدف من الحديث عنها ليس سردها بقدر ما هو إظهار للمنطق الذي أنتجها و الذي ولد بؤرة الإختلاف وقد عنون المبحث الثاني بالجسد **رمزية الحضور في تاريخ الأفكار** .

يجبرنا الإنتقال المنهجي و المعرفي إلى التطرق لأهم إنقلاب إستمولوجي جديد يدعو صراحة إلى التحرر من القيود المكبوتة ليفتش عن حقيقته الكامنة ،فقد إستطاع فرويد أن يوجد لنفسه مكانا في حلقات التفكير الإنساني عامة و الفلسفي خاصة ،فلم يشرع التحليل النفسي في إنشاء المفاهيم إلا بعد أن دحض المواقف السابقة سواء كانت علمية أو فلسفية لقد عاش الفكر الفلسفي مختزلا الإنسان في بعده الواعي و حتى المحاولات الجادة لتبيان حدود الوعي لم تستطع تأصيل اللاوعي كمكون من مكونات الحياة النفسية ،فقد تبين أن الوعي الإنساني ليس أهلا للثقة ، لذلك فإن إكتشاف اللاشعور و علاقته بالبنية الجسدية أدت الى رجة و خلخلة الوعي الفلسفي بل صدمة حقيقية لغرور الإنسان و ثقته المطلقة بعقله ، و قد عنونا الفصل الثاني **بالجسد في مواجهة الذات** و هنا بينا مدى عمق القيمة الإبستمولوجية التي أحدثها فرويد من خلال تمتيع الجسد بكل أبعاده السيكولوجية مع تحقيق قطيعة أولى مع الذات النرجسية ،أما القطيعة الثانية فكانت بهدم الإعتقاد الجازم بأن الوعي هو سيد الجسد فسيادة الجسد عند فرويد فكرة مرفوضة على إعتبار أن المتكلم الحقيقي ليس الأنا بل الهو، فالهو في التحليل النفسي يتكلم وهو إذ يتكلم فإنه يتكلم على

لسان الجسد بل إن حديث الهو هو حديث الجسد ،و هذا ما حاولنا كشفه و تحليله في المبحث الأول المعنون **ببنيوية الجسد في التحليل النفسي الفرويدي .**

أما المبحث الثاني و المعنون **بـالجسد الأتوبيوغرافي و الغريزة الجنسية** ،لقد قام فرويد بتوسيع مفهوم الجنس فلم يجعله مرتبطا فقط بالمعنى الشائع و هو النشاط الجنسي الذي يحدث أثناء المراهقة و بعدها ،بل أنه أدخل تحت مفهوم الجنس كثيرا من أنواع السلوك الطفلي مع ملاحظاته الإكلينيكية للمرضى العصابيين ليكتشف كثيرا من المعلومات الهامة عن الوظيفة الجنسية، و هذا من خلال مراحل وهي :

المرحلة الفمية ،المرحلة الشرجية ، المرحلة التناسلية .

كما يبني فرويد نسقه الجسدي الجنسي على أهم مصطلح هو بمثابة اللبنة الأولى لتكوين الحياة النفسية و المتمثل في الجهاز النفسي وهو : الأنا و الهو و الأنا الأعلى ،بالإضافة إلى غريزتي الموت والحياة ،عقدة أوديب و عقدة الخصاء و قد بلورنا هذا البحث من خلال طرح بعض الإشكاليات و المتمثلة في :

- ما الذي يجعل الجسد مفتوحا على العالم و منغلقا على ذاته ؟
- كيف يمكننا التعرف عليه في إيروسته و ثناتوسيته ؟
- على أي القواعد يجب تأسيس الجسد ؟ ماهي التمفصلات القائمة بين المعطى النفسي و بين الوحدة العضوية ؟

أما الفصل الثالث فقد عنوناه : **بالحلم و لغة الجسد** و هذا لأهمية الاحلام في تفسير الحياة النفسية بإعتبارها إنعكاس لعمليات متخفية تحمل وجها دلاليا كامن يعكس رغبة لاشعورية مدفونة داخل العمق النفسي مع ما يصاحبها من إنفعالات و ذكريات تشكل المضمون الخفي للحلم و تعبر عن دوافع مكبوتة وهذا ما ينطبق على الفنان بتساميه و إعلائه ،و هنا تستوقفني إشكاليتين :

- هل الحلم يتضمن ذكريات من مرحلة الطفولة ؟

- هل وظيفة الحلم تشويه و إخفاء للمعنى الحقيقي للحياة النفسية ؟و هذا ما سنتطرق إليه في المبحث الأول لهذا الفصل و المعنون بـ : **من الحلم إلى الفنتازيا** .

أما المبحث الثاني : فقد عنوناه **بالجسد ، اللغة ،اللاوعي** فاللغة بالنسبة لفرويد تكتسي أهمية من حيث أنها تعبر عن أمور وجدانية في مقابل لغة الجسد، و بالتالي فهي تحتل في التحليل النفسي الفعالية الرمزية و دورها المحرر للاوعي مما إستدعى منا طرح بعض الأسئلة و المتمثلة في :

-هل اللغة كنسق ودلالة بإعتبارها ترجمان الحياة النفسية تكون منعزلة عن لغة الجسد ؟

- بمعنى هل يمكن للجسد أن يعطي شرحا شاملا يختلج في نفس الذات ؟

أما الفصل الرابع و الموسوم **بالجسد أيقونة إبداع و تأويل** فقد تطرقنا فيه في المبحث الأول إلى **التأويل في التحليل النفسي** من خلال العقل التأويلي الذي عرفته البشرية منذ القدم و قد شهد تحولات في منتصف القرن الثامن عشر ، حيث أستخدم كفن تأويلي أو الهيرمينوطيقا كمنهج لتفسير النصوص الدينية و كنمط للنظر العقلي في مجال تفكيك

الرموز ليصبح أخيرا منطلقا فلسفيا ذو نظرة خاصة حول فهم الوجود وهنا تستوقفا بعض الإشكاليات وهي :

-ما المقصود بالتأويل ؟

- و ماهي أهم المراحل التي مر بها هذا المصطلح حتى غير من دلالته وجذوره لتصل حد العلاقة إلى ضرورة الربط بين الهيرمينوطيقا والعلوم الإنسانية ؟ إن نظرية التأويل في التحليل النفسي تستند إلى منهج وفق تقنية معينة ترتبط بشروط موضوعية و أخرى ذاتية من أجل إستكشاف النفس اللاشعورية .

أما المبحث الثاني بعنوان **علاقة التأويل بالإبداع الجسدي** فنتاج الإبداع يؤسس على الماهيات التي يعيد تشكيلها بإعتباره إستنطاق لدلالات و رموز، فالإبداع هو منطلق التعبير الرمزي للجسد من خلال الإيماءات و الإشارات ،فلغة الفن تجعلنا نتقصى ما وراء الأشياء بمعنى أخر قدرته و إبداعه في أعماله تكشف عن لغة صامتة لها خباياها و أسرارها وهنا تستوقفني بعض الأسئلة وهي :

- كيف يمكن لهذا الجسد أن يسهم في الإبداع الفني ؟و ما علاقة الحلم بالفن ؟ و كيف يمكن تفسير الصلة بين رمزية الحلم و الرمزية التي تحدث في العمل الفني ؟

-و لماذا تتكلم الأحلام بلغة الرسم و الموسيقى و الشعر ؟و لماذا يعتبر الفن المرآة التي تعكس ألوان صراعاته و مكبوتاته ؟و ما هي الأسباب التي جعلت فرويد يتناول في دراسته لبعض الفنانين كليوناردو دافنشي و ديستويفسكي ؟

كما أفردت ملحقا يتضمن السيرة الشخصية والعلمية لسيغموند فرويد مع شرح مبسط لأهم المصطلحات المذكورة في المذكرة لأنها في المقام الأول نابعة من صلب التحليل النفسي وهي قليلة في مجال الفلسفة.

الفصل الأول

جينيالوجيا و كرونولوجيا مفهوم الجسد .

المبحث الأول :

الجسد إيتمولوجيا .

المبحث الثاني :

الجسد رمزية الحضور في تاريخ الأفكار

المبـــــحـــث الأول :

الجســـــد إيتمـــــولـــــوجيا.

الجسـد إيتمـولوجيـا

حتى يضمن الفرد فلسفة راسخة عن جسده ، يجب عليه أن يكون على دراية بعمل و وظيفة و تركيبة و أليات و أفاق هذا الجسد ، على إعتبار أن الجسد يشكل جانبا مهما من جوانب الحياة خاصة في التفاعلات التي تحدث مع المحيط ،أي تفاعلات الآخرين أو ردود أفعالهم تجاه جسد أي منا .

لذا يعد الجسد من الأمور الهامة و التي تشغل بال الكثير من الأفراد ، و يظهر ذلك جليا في النظرة الخارجية التي تختص بالتأثيرات الإجتماعية ، و النظرة الداخلية التي تشير إلى التجارب أو الخبرات التي تختص بالمظهر أو ما يبدو عليه الأنا في الواقع .

إن الجسد هو الكيان الفعلي و الذي يشكل بؤرة إهتمام و جدل من أجل معرفة كينونته وإدراكه لها إدراكا واعيا فبه نحدد هويتنا ووجودنا، فالجسد هو من يحدد نوع و طبيعة العلاقات الأسرية و حتى الإجتماعية و الثقافية" تكون علاقة الإنسان بجسده في أساسها تنتج عبر مفهوم ثقافي إجتماعي يختلف من بيئة إلى أخرى و من عصر إلى عصر، إذ أن الجسد هو الصورة التي تحدد هوية الإنسان، و هو المكان الصغير الذي يربط الإنسان بالمكان الأكبر للوجود"[1] .

فصورة الجسد بهذا المعنى هي بمثابة البنية القاعدية التي تسمح للإنسان بأن يحيا بجسده دون أن يشعر بغرابة ، و مما لا شك فيه أن صورة الجسد تختلف حسب الإهتمامات و النشاطات التي يقوم بها الشخص ، كإسقاط جسدي لمواجهة محيطه الاجتماعي، و بالتالي فالتناسق الحاصل بين الشكل و المحتوى يتدخل فيه الجانب الجتماعي و الثقافي .

فعندما نتأمل بعمق في جسدنا نجد الهيكل الذي يحتوي بداخله كينونة الإنسان النفسية المعنوية العقلية الروحية، فالجسد بمثابة حافض لكينونة الإنسان .

1-سيد الوكيل : ثقافة الجسد /11222915/ http.maktoobblog.com 30يونيو2015 الساعة 14:30.

فلا يمكن أن يقول الإنسان أنا عندي جسد بل أنا جسد ، و هذا التعبير يضفي عن مدى قيمة و عظمة الجسد، فجسدي جزء من كينونتي و من وجودي ،فأصل الإنسان في حضوره الجسدي ، إذ يكمن فضل وجوده في قدرته على التعبير بجسده و بصورمختلفة فالجسد يبدو وظيفيا ،تواصليا ،إجتماعيا يحمل دلالة الوجود الإنساني .

و لهذا يطرح الجسد مسألة مهمة وهي مسألة الوجود الإنساني هل هو بالمادة أم بالجوهر؟ و ما الأهمية التي يكتسبها خاصة بطرحه لإشكالية الروح و الجسد؟ هذه المشاكل المتعلقة بمفهمة الجسد بوصفه الحاضر و الغائب تظل تتخلل المفاهيم المهيمنة للهوية الذاتية.

لقد أسهمت في الإحساس بوجود شيء أشبه بالمأزق في تنظير الجسد، مما جعل الدارسين بحقل الفلسفة خاصة، يختلفون حول جوهره هل هو فيزيولوجي أم روحي معنوي؟ لهذا يعتبر مفهوم الجسد من أشد المفاهيم غموضا و إلتباسا خاصة في المجال الفلسفي و النفسي، و حتى في الثقافة العربية و المسيحية، فمفهوم الجسد في الفكر الإسلامي يتقاطبه محوران لا يتقاطعان الأول يحاول تثبيت مفهوم الجنس و المحرم نتيجة تحكم المخيال الجمعي فيه و هو خطاب فكري أصولي، أما الثاني فيحاول إعادة و بلورة مفهوم الجسد و إعطائه نظرة مقدسة و هو الخطاب الثقافي العربي.

فلو تعمقنا في التنظيرات الأصولية فهو من التابوهات المحرمة لكونه يجمع بين المقدس و المدنس " فالتابو بالمعنى الدقيق للكلمة يشمل صفات القدسية أو الدونية سواء الأشخاص أو الأشياء و هو نوع من التقيد الذي ينتج عن تلك الصفة ،لأن التابو شيء قدسي سامي عما هو عادي يتضمن في الوقت نفسه الخطر و النجاسة والرهبة "[1] .

1-سيغموند فرويد :الطوطم و التابو ،ت جورج طرابيشي، دار الطباعة و النشر، بيروت ،دط- د ت ،ص41،42.

فالجسد في الثقافة العربية يعد من المحرمات ويتسم بالدونية والقدسية في نفس الوقت، فإذا عدنا إلى صورة الجسد في الخطاب الفكري الأصولي فهو لا يرى فيه إلا بعده الحسي الشهواني المرتبط بالإغراء الجنسي، والذي يشكل خطرا على الدين والأخلاق هذا ما جعل الجسد في الخطاب الثقافي الحداثي يعيد بلورة مفهوم الجسد بإحداث ثورة ووعي تستند بالدرجة الأولى إلى التحرر من موجة تدنيس الجسد، وهذا من خلال التأصيل له في إطار روحاني، فنظرة الإسلام للجسد تجلت من خلال البعد المتعالي الشرعي أي الجسد خادما للمقدس.

تلك المكانة التي يحتلها في الإسلام تنطلق من رؤية مؤسسة وفق نصوص شرعية تفضي بضرورة كبح جماح الجسد"الجسد الإسلامي مفهوم جامع للعناصر النصية والواقعية ، المتخيلة و التاريخانية التي بلورتها الثقافة الإسلامية في ذاكرتها المكتوبة و الشفوية "[1] ، ومع ذلك هناك من يعتقد من المفكرين أن الإسلام لم يتناول الجسد في كليته بل وجه إهتمامه على ربط الجسد بأعضاء كالعين و اليد و الأعضاء الجنسية و هذا في حد ذاته تقنين للجسد و هذا " لضبط علاقة الجسد بالجسد الأخر من خلال وظيفته الإجتماعية و الدينية و ترفعه عن دائرة الرغبة الفردية الإعتباطية و العادة الطقوسية بغية إدماجه في دائرة المقدس "[2] .

أما مفهوم الجسد في الثقافة المسيحية فهو يبنى على البعد المقدس الذي صور به جسد المسيح مصلوب على الصليب والأبعاد التي يرمز إليها، فالإنسان خلق على صورة الله ليس في النفس فقط بل في الإنسان كله، وصورة الله في الإنسان ليست منحصرة في عنصر معين من المركب الإنساني بل هي تشمل طبيعة الإنسان ككل.

1-فريد الزاهي: الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، إفريقيا الشرق، بيروت، دط-1999 ،ص21.

2-المرجع نفسه ،ص 58.

فالجسد والنفس خلق كلا هما على صورة الله "حيث يتخذ الجسد ومنه التجسد، تجسد الربط بشكل إنساني معاني رموزية متعددة ،فالجسد في المسيحية مؤلهة فيه تأنس الرب مما يعني تأليهه إلى الكنيسة "[1].

فأيقونة جسد المسيح في الكنيسة هي إشارة إلى تجسد الرب في شكل إنساني ،مما جعل المسحيين يعتبرون الله له جسد ،إذا الجسد مجهز بإتحاد المسيح له ،أن يشترك في المجد و يجلس في النهاية مع المسيح على إعتبار أنه قطعة مقدسة و دليل حضور الله فيه، و بالتالي يجب المحافظة عليه و تطهيره ، و مع ذلك فهو يحمل بعدا مدنسا في الفكر المسيحي لأنه مصدر الشهوة و الرغبات و جالب للخطيئة و الدونية للروح " الجسم هو علامة نهايتنا إنه من يعيدنا بطريقة ما إلى كل ما لا يرغب الإنسان ،في أن هشاشتنا عيوبنا حدودنا أمراضنا موتنا إنه يقودنا إلى غرائزنا و يسجننا في العالم ، إنه كريه غريب و مثير للإحتقار"[2].

هذه النظرة الدونية ولدت إشكالية في الخطاب الفكري الحداثي الغربي وهو إلتباس الجسد بالجنس والقمع والإباحية مما أدى إلى تغيير هاته النظرة بقيمة أخلاقية ورد الإعتبار للطابع المقدس لهذا الجسد.

مما جعل هذه الثقافة الجديدة تنتج تصورا منفردا من منظور الطرح الميتافيزيقي الفلسفي، فالجسد في الميتافيزيقا هو المشكلة والعقبة بإعتبارها عائقا يجب التخلص منه من أجل تحقيق القيم الأخلاقية ،هذا الطرح تبناه الفلاسفة بمعالجتهم لإشكالية الثنائية.

التي تمايز بين الجوهر العقلي و الجوهر الجسماني ،بمعنى تنفي وجود إتصال بين العالم العقلي و العالم المادي على إعتبار أن العقل ماهيته التفكير و الجسم ماهيته الإمتداد .

1-فؤاد إسحاق الخوري : إيديولوجية الجسد رمزية الطهارة و النجاسة ،دار الساقي بيروت ، ط 1 – 1998 ،ص33.

2-ميشيلا مارزانو : فلسفة الجسد ـ ت نبيل أبو مصعب المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، ط1- 2011،ص 112.

و الأن نعرج إلى التعريف الإيتمولوجي للجسد من خلال ضبط المفهوم " الجسد هو مفهوم جامع يعني الحقيقة الفيزيائية و العقلية التي هي نحن ،أي جسدنا والمراد بالجسد هو ذلك الكائن الحي لما هو منبع الوعي و الفكر و الحرية ،إنها أصل ينبع منه كل شيء غامض لأشكال الفكر و أشكال الوعي"[1] .

وقد عرفه "عبد الرحمن بدوي "هو الموجود ذو الأبعاد الثلاث الطول العرض العمق للجسم مقدار حجم وشكل وثقل وكثافة وهو إما في حركة وإمـــا في سكون، له خصائص كهربائيـــة ومغنـــاطيسية وكيميائية ضوئية وسمعية وحرارية " [2].

لا يمكن الحديث عن الإنسان كذات فاعلة معبرة لمنهج الوجود باعتبارها جوهرا يشكل الهوية الفيزيقية من خلال ألية التعبير والتواصل، أي بلغة تقرب المعاني وتوضح المفاهيم، إن الذات لا تفهم ولا تعرف إلا بجسدها فهو رمز وعنوان لنمط العلاقة التي يقيمها الإنسان مع ذاته وغيره.

"إن حقيقة الجسد تتمثل في كونه يحتل مكانة هامة في حياتنا اليومية، إنه المبدأ المنظم للفعل والهوية التي نعرف و ندرك بها و نضعف من خلالها، و هو أيضا الواجهة التي تخون نوايانا الأكثر سرا، ليس غريبا أن نلح في الحديث عنه و نتغنى بجماله و ننصت إليه في قوله أو فعله وفي جده وهزله في سكناته و حركاته و في إيماءاته وفي لغته "[3].

فماهية الإنسان تعرف بحضوره الجسدي وهذا من خلال قدرته على التعبير والتواصل، فالجسد متعدد الأبعاد فهو وظيفي تواصلي إجتماعي يخضع لقوانين هذا ما أكده ميرلوبونتي" هو ما يجعلني أتجذر في العالم بل هو محور العالم الذي أعي بواسطته أنه المدرك والمدرك والمعبر والقصدي و الزماني و التاريخ و من هذا أصبح الجسد قطبا

1-سمية بيدوع : فلسفة الجسد ،كتاب التنوير، بيروت ، ط1 – 2010 ،ص06.

2-عبد الرحمن بدوي :موسوعة الفلسفة ج 1،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت، ط 1- 1984 ،ص 439 .

3 ـ سعيد بنكراد : السيمائيات و تطبيقاتها ،منشورات الزمن ،الدار البيضاء ،ط1 -2003 ،ص 54.

مهما لكل محاولة تروم فهم الوضع الإنساني بأبعاده و مراميه الحقيقية مما يجعله أصلا و مصدرا لكل معنى و دلالة"[1] .

في الواقع فإن الجسم البشري هو موضوع مادي ملموس يحوي طبيعة تفاعلية تمكنه من الإندماج والتعبير" إن الكائن البشري شخص متجسد ،فدون جسم لن يكون له وجود أبدا فهو عبر الجسم مشدود إلى مادية العالم، لهذا فإن تجربة الجسم تظل مضاعفة فنحن نقيم مع جسمنا علاقة هي في الوقت ذاته أدوية وتكوينية "[2].

لكنه أيضا الموضوع الذي نكونه بوصفه كذلك ،فهو علامة إنسانيتنا و ذاتيتنا ،لذلك أصبح الجسد المكان الحدودي لأي إنسان في شكله المكتمل ، كون الجسد بطريقة ما ، يبقى عندما تفقد الأشياء الأخرى ،إنه الأثر الملموس الأكثر من غيره فاعل "و ذلك بفصم النسيج الرمزي و الصلات التي تربطه بجماعته ،لأنه الوحيد الذي من دونه لن يكون الإنسان إنسانا، لأن الجسد في فترة الحداثة أصبح الملجأ حينما حلت مفاهيم البحث عن الذات"[3] .

فالجسد نص حركي دلالي لا نستطيع إستنفاذ معانيه من خلال التأويل ،بل يعبر عما في المعنى من غنى وخصوبة لا متناهية، وكل فعل جسدي يحمل في ذاته معنى "أنا حزين ، فهذا الحزن الذي هو أنا ،ألست إياه على نحو الوجود الذي هو أنا ؟ لكن ما هذا الحزن إن لم يكن الوحدة القصدية التي تحشد و تشيع في مجموع مسالكي ؟إنه معنى هذه النظرة الباهتة التي ألقيتها على العالم و هذه الأكتاف المنحنية و هذا الرأس الذي أخفضه ، و هذه الرخاوة التي تسري في كل جسمي " [4]

1-إزانة بوغراس تمثلات الجسد في رواية أريانة للروائي المغربي الميلودي تاريخ2015/12/24 ttp//alwatanevoicemcomnindxhtml

2-ميشيلا مارزانو: فلسفة الجسد مرجع سبق ذكره - ص 11.

3- دافييد لوبروتون : أنثربولوجيا الجسد و الحداثة ت : محمد غريب منشورات المؤسسة الجامعية ،بيروت ط 2 - 1997 ،ص152.

4 - جون بول ساتر : الوجود و العدم " بحث في الأنطولوجيا الظاهراتية "،ت عبد الرحمن بدوي ،منشورات دار الآداب ، بيروت ،ط1 - 1966 ،ص132 .

فالجسد يوجد داخل عالم الأشياء، فهو جزء منها بإعتباره موضوعا ونسق يرتبط بهذا الكون اللامتناهي مما يجعله يتشكل كدال متكامل يكتفي بذاته، وقادر على توليد سلسلة لامتناهية من الدلالات بإعتباره مصدر إدراك للحقائق الوجودية.

" غريب أمر هذا الجسد كيف يدخل في شتى مجالات التفاعل التي تلف الإنسان من كل جهة في علم الاجتماع، والتجمع، و عالم الرموز، لذلك وضع الجسد مرآة لشخص صاحبه يعكس بعده الإيماني الديني بقدر ما يعكس منزلته و خلقه و أفعاله، فالجسد يشير الى عالم مليء بالرموز"[1] .

والذي يمثل الجانب الإبداعي لأنه يخضع لجملة الممارسة التأويلية والتخيلية منبعها النسق الثقافي، فهي تمثل الإطار المرجعي لتكوين صورة عامة حول الجسد، وكلما كانت صورة الجسد متطابقة والمعايير التي تحددها الثقافة كان هناك قبول أو رفض للجسد.

فمفهوم الجسد بهذا المعنى يعتبر مفهوما مستعصيا للفهم ،لتراكم الدلالات بالإضافة إلى تقاطعها مع مفاهيم أخرى كالبدن، والجسم، والنفس، والروح ضمن التصور الميتافيزيقي، لذا وجب علينا الفصل والتوضيح، فالجسم كما يشير إليه"جميل صليبا" هو "الجوهر الممتد القابل للأبعاد الثلاث الطول والعرض والعمق وهو ذو شكل، ووضع، وله مكان إذا شغله منع غيره من الدخول معه"[2].

1- فؤاد إسحاق الخوري: إيديولوجية الجسد رمزية الطهارة والنجاسة (المرجع السابق) ،ص1.

2-جميـل صليبا: المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني ،ج1 ،ص402.

فالجسد هو ما عبرت عنه اللغة الألمانية بعبارة " leib "و يوجد بالألمانية كذلك لفظ "korper "كوربر" و المستعمل في الفيزياء أي الجسم و كلمة" leibهي مفهوم جامع بين الحقيقة الفيزيائية والعقلية والتي هي نحن أي جسدنا"[1].

فالجسد يقابل عند بول ريكور" CHAIR "ولدى ريشر" LEIB " الجسد الشخصي الذي يشكل الوحدة الأنطولوجية انه الذي يشكل هدفية الوجود الذاتي للإنسان " [2].
فلا يمكن تحديد ماهية الجسد بمعزل عن مادية الجسم على إعتبار أن ماهية الجسد تؤسس على فكرة التماهي، و تكامل الجوهرين الجسد والنفس ،فالجسم أحد الموجودات المحسوسة و هو "جوهر مركب من جوهرين بسيطين معقولين أحدهما يقال له الهيولى و الأخر يقال له الصورة ،فالهيولى هو جوهر قابل للصورة و الصورة هي التي بها الشيء ما هو" [3] .

و لهذا فالجهل بمفهوم الجسد جعلت الفلاسفة يخلطون بين المفاهيم الشائعة و هي الجسد الروح ،الجسم، البدن.

فالجسد يمكن إعتباره متضمنا للمتحرك والثابت لما هو خفي، وما هو علني بوصفه ما يظهر من حركات أو تصرفات لأي فعل ما ورائي مع عدم إعتباره صامتا في سلوكه وإنما يتضمن بعدا يعبر من خلاله عن ماهيته فكل حركة تشكل بعدا نفسيا للجسد

تختزل الوجود و تعطيه بعدا حضاريا يحمل تراكما ت نفسية دالة .

1-claude richeler : le corp et ses fictions, 1983, p37.

2- فريد الزاهي :الجسد والصورة والمقدس في الإسلام ـ مرجع سبق ذكره ـ ص 188.

3- جيرار جهامي : موسوعة المصطلحات الفلسفية عند العرب ،الناشر مكتبة لبنان ناشرون بيروت ،ط 1 -1998 ص 111.

" فالجسد هو الجزء المادي للإنسان و قطب جذب أسسه الروحية ، وهو جوهر خليط من العناصر الأربعة التي يتكون منها كل شيء موجود الماء (الدم ،و سوائل الجسد) ، و الأرض (الهيكل الهضمي) و الهواء (النفخة الحيوية) و النار (الحرارة الحيوانية) ،إن الجسد و الكون يمتزجان بشكل لا يمكن تمييزه و يتكونان من نفس المواد، وفق نسب مختلفة، فالجسد إذن لا يجد أساسه في ذاته كما في علمي التشريح والفيزيولوجيا الغربيين "[1].

كما يعرف الجسد لغة «على أنه جسم الإنسان و لا يقال لغيره حتى الأجسام المتغذية ولا يقال لغير الإنسان جسد من خلق الأرض "[2] .

فالجسم هو ما يشغل حيزا ما بإعتباره ذو طبيعة مادية كما لا يطلق فقط على جسم الإنسان، بل على كل الكائنات الموجودة في الطبيعة أيا كانت طبيعتها المادية التي تكونها أما البدن " فيقال بدن الإنسان جسده و البدن من الجسد و قيل هو العضو و الجمع أبدان "[3] .

بناءا على هذه الرؤى ندرك بأن هذا الجسد يعتبر بداية حدث في الفلسفة اليوم، إنه إكتشاف شكل رؤية جديدة في فهمنا لذاتنا و لغيرنا و للعالم ،و لكنه تحول من الهامش إلى المركز مع الفلسفة الفينومينولوجية بداية مع ميرلوبونتي إلى ذات فاعلة ، ليتم دراسة الجسد وفق أربعة مؤشرات وهي الجسد ،الجسدي ،الجسدية ،الجسدانية بإعتباره يحمل دلالات تعبيرية لا يعرف إلا بها ،و غيابه يعني نهاية هذا الجسد .

لذا فإن وجوده يكمن في قدرته على الإبداع و الحضور، وهذا من خلال صور متعددة منها الجسد الحركي بديناميكياته المختلفة ، الجسد الإجتماعي بإعتباره جسد منطوق ضمن نطاق إجتماعي .

1- دافيد لوبرتون أنثربولوجيا :الجسد و الحداثة (المرجع السابق) ،ص 31.

2- ابن منظور: لسان العرب المجلد الأول دار المعارف، القاهرة ـ مادة الجسد ،ص 622.

3- المرجع نفسه ، ص 232.

أما الجسد الصامت فهو الذي يمثل المظهر الصامت و تعابير الوجه " للجسد موقع مهم يطبع المجتمع عليه نفسه و يمارس من خلاله التأثيرو القوة، المقاربات الفينومينولوجية و الموجهة شطرا لفعل ،إستعرضت أهمية الجسد بوصفه أساس للفاعلية البشرية و الخبرة المعاشة للفاعلين الإجتماعيين "[1] .

ليصبح ليس مجرد موضوع مادي، بل سيتخذ عدة دلالات متعددة تخترق حقولا مختلفة فلسفية و فنية و دينية، و حتى حقول الأدب و العلوم الإنسانية "الجسد ذا جهتين أو طبقتين، شيء مثل بقية الأشياء، وهو من جهة أخرى الذي يراها و يلمسها أي أنه ناظر و منظور جسد موضوعي ،و أخر فينيومينولوجي تمظهري، و ثانيا من حيث كونه كائنا ذا أعماق و أغوار متعددة الأوجه، فهو سطح و عمق مرئي و غير مرئي واقعيته و ماهيته، شهوانية الجسم المادي متحيز في الفراغ ذو بعد حتمي ميكانيكي، و ثالثا من حيث كونه لا ينفصم عن العالم"[2].

فالجسم نعني به الجسد الموضوعي الذي يتألف مع كل الأجسام سواء كانت حيوانية أو جرمية، إنه نفس المفهوم في الثقافة العربية الإسلامية .أما الجسدية فهي ليست شيئا أخر غير الصيغة النيولوجية لحياة الإنسان " فهي تقيده في الطبيعة البيولوجية إنها كل الأعمال الحرفية التي لا نتحدث عنها للآخرين كالحيض، التبرز،الإستحلام " [3] ، بينما البدن فيقصد به الجسم الذي لا روح فيه و لا نفس ،كما يخضع لمجموع القيم الإجتماعية إنه المؤسسة الجسدية التي تشكل موضوع البدن و المقدس الذي تمت موضعته بحيث "أصبح جسدا مشتركا بين كل الناس فهو صورتهم المميزة وكمال أفعالهم اليومية و الوظيفية، ومن ثم فهو جسد وظيفي يخدم أهدافا خارجة عن مقوماته" [4].

1- كرس شلينج :الجسد و النظرية الإجتماعية ، ت منى البحر ،نجيب الحصادي ط1- 2009 دار العين للنشر ،ص 303.

2 - جمال مفرج :كوجيتو الجسد دراسات في فلسفة ميرلوبونتي منشورات الإختلاف في الجزائر 2003 ،ص 11.

3 - فريد الزاهي :الجسد و الصورة المقدس في الإسلام -مرجع سبق ذكره - ص 17.

4- عبد الناصر هلال: خطاب الجسد في شعر الحداثة قراءة في شعرالسبعينات مركز الحضارة العربية للنشرالقاهرة ، ط 1 -2005 ، ص 71.

هذا التباين في المفاهيم والدلالات تصب حول معنى واحد هو الجسد ،ليصبح هذا المفهوم يحمل طابعا دينيا أحيانا وأحيانا بيولوجيا، ثقافيا، فلسفيا، نفسيا...إلخ.

فقد خلصت الدراسات و الأبحاث النفسية للجسد إلى أن معرفته و تعريفه لا تقتصر فقط على الجانب البيولوجى ، بل هناك جوانب أخرى تجعل من الجسد حيا رمزيا تأويليا خاصا " أخذ التحليل النفسي مع بداية القرن يزدهر شيئا فشيئا، ليكسر أحد الاقفال التي كانت تضع الجسد رهن حماية الفكر العضواني، جاء فرويد ليظهر مرونة الجسد و حذق اللاشعور في جسم الإنسان جاعلا من جسم الإنسان لغة تحكي من خلالها ولو بطريقة ملتوية العلاقات الفردية و الإجتماعية و الإعتراضات و الرغبات، و بهذا حقق فرويد قطيعة إبستمولوجية أخرجت الجسدية الإنسانية من لغة حطب وضعيي القرن التاسع عشر"[1].

ولعل أكثر مشكلة كامنة في أسس علم النفس إثارة للإهتمام هي مشكلة العقل و الجسد، فالتصور الكلاسيكي العام يعتقد أن العقل يتسم بالتفكير و الوعي و الإدراك، بينما الجسد فهو مادي فيزيولوجي و هو ككل مادة يشغل حيزا وله وزن لتختلف الرؤى و التفسيرات حول دلالة و معنى الجسد خاصة في التحليل النفسي، و المتمثلة في الصورة الجسدية إنطلاقا من إحتواء و بلورة هذا المفهوم وصولا للوعي الجسدي و نوعيته .
فصورة الجسد تتحدد وفق منطلقات يبنيها في ذهنه والمتمثلة في شكل وحجم وتركيب هذا الجسد بالإضافة إلى المشاعر التي تتعلق بهذه الصورة أكانت إيجابية أو سلبية وبالتالي يمكن تقسيم الجسد إلى ثلاث أقسام: قسم إدراكي، و يشير الى دقة وعي الشخص لحجم جسده، قسم ذاتي وهو يشير إلى التفاعلات النفسية كالقلق و الرضا بشأن صورة هذا الجسد، أما القسم السلوكي، فهو يركز على إستبعاد المنبهات التي تسبب عدم

1- دافيد لوبرتون : سوسيولوجيا الجسد ،ت عياد ابلال ادريس المحمدي روافد للنشر و التوزيع، ط1- 2014 ،ص35 - 36

الشعور بالراحة و المضايقة التي ترتبط بالمظهر الجسدي و التي منبعها الصورة الذهنية التي يكونها الفرد عن جسده سواء في مظهره الخارجي أو في مكوناته الداخلية التي تعكس خبرة الشخص النفسية من خلال ما يتعرض له الشخص من خبرات، بمعنى صورة الجسد تعتبر تصور عقلي يكونه الشخص عن نفسه.

وهنا تكون الصورة إما سلبية أو إيجابية من خلال تقييمات وأحكام الاخرين، والتي تؤثر بشكل أو بأخر على نفسية الفرد وعلى درجة ميله الإجتماعي، فالتحليل النفسي يتناول الجسد إنطلاقا من فكرة الجسد الهوامي ومدى إرتباطه بالجسد المادي.

" إعترفنا بأن الإنسان منظمة نفسية تستقبل من جهة أولى تنبيهاته الحواسية و تدرك حاجاته البدنية ، و توجه من الجهة الثانية أفعاله الحركية و هي تقوم بدور صلة الوصل بين الطرفين برسم هدف محدد على هذه المنظمة نطلق إسم الأنا، و ليس هذا بالشيء الجديد فكل منا يفرض هذا الفرض و إن لم يكن فيلسوفا بل منا من يفرضه و إن كان طويل الباع في الفلسفة لكن حذار من الإعتقاد بأننا إستوفينا بذلك وصف الجهاز النفسي فعلاوة على هذا الأنا نقول بوجود منطقة نفسية أوسع مساحة و أرحب مدى و أكثر غموضا من الأنا و على هذه المنطقة نطلق إسم الهذا "[1] .

الهذا يشمل مضمونه كل ما يحمله الكائن الإنساني معه عند ولادته، كل ما هو متعين في الجبلة أي في المقام الأول الدوافع الغريزية الصادرة عن التنظيم البدني، و التي تجد في الهذا من خلال أشكال مجهولة لنا أول نمط من أنماط التعبير النفسي، و تحت تأثير الواقع المادي المحيط بنا يطرأ تغيير على مستوى الهذا ، بدءا بالأعضاء الفيزيولوجية منها الطبقة اللحائية التي تتلقى التنبيهات كمنعكس شرطي ،ليحاول الأنا بإعتباره وسيط بين الهذا و الواقع إحداث نوع من التناسق و التنظيم .

---

1 سيغموند فرويد : مسائل في مزاولة التحليل النفسي، ت جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت دط دت ، ص24 .

فالأعضاء الجسدية و الفتحات الجسدية و حتى الجلد، لا يمكن أن تعد مجرد تمثيل موضوعي للمادة ،بل هذا الجسد قائم على الضبط و الإستثمار دون تناسي تأثير الطفولة و كل مراحل الحياة بواسطة النشاط الهوامي .

" فهناك قدر معين من الليبيدو يجد إشباعه دائما عن طريق الشهوية الذاتية فنحن جميعا نستمتع بأحاسيس نابعة من المناطق و الأعضاء الشهوية في الجسم كالأعضاء الجنسية والفم، والشرج والجلد، و العضلات "[1] .

فصورة الجسد لدى الطفل تعتبر بمثابة ذاكرة للمعاش العلائقي الذي يربط الماضي بالحاضر، فالتواصل الإجتماعي مع الأخر تكمن وراءه صورة الجسد، التي تعتبر داعمة وسند للنرجسية ،كما يمكن أن يعبر عن صورة علائقية مكبوتة.

ووفق هذا التأثير يكتسب الطفل خبرات قابلة للتعديل والتطوير وهي تؤثر على نمو الشخصية و تطورها، و الذي لا يصل بسهولة للشعور على إعتبار أن الشعور الذي نملكه عن جسدنا لا يعد إلا إرصانا ثانويا يظهر تجاربنا الجسدية على شكل سيناريوهات متناسقة.

كما إهتم فرويد بالجسد الهوامي، و الخيالي، ومدى إرتباطه بالحاجات البيولوجية أي الجسد اللذة ،الجسد الشبقى، الجسد النرجسي.

فعند الإشارة للجسد نقصد بذلك جانبان الجسد البيولوجى أي مجموع الوظائف الحية تنتظم حسب تناسق معين، فقد أمكنتنا العلوم البيولوجية من إكتشاف الجسد، وتفسيره ولكنها لم تكشف خبايا ومكنونات هذا الجسد ببعده النفسي وتجربته المعاشة.

" ينهض التحليل النفسي على مسلمة أساسية يقع على عاتق الفلسفة نقاشها، وإن تكن نتائجها تبرر قيمتها ،فما نسميه بالنفسية أو الحياة النفسية نعرف عنه شيئين

1- ج ك فلوجل علم النفس في مائة عام ـت لطفي فطيم، دار الطليعة، بيروت، ط 1 ،1973 ،ص 197- 198

أولا العضو البدني لهذه النفسية مسرح عملها أي المخ أو الجهاز العصبي، و ثانيا أفعالنا الشعورية التي لنا بها معرفة مباشرة و التي ليس لأي وصف أن يزيد نا بها علما"[1] .

إن الحديث عن الجسد لا يعني بالضرورة الجسد البيولوجى أو الهوامي ، فالجسد بمعناه الدقيق يتموقع عند إلتحام البعد النفسي بالبعد البيولوجى، فالتحليل النفسي لا يفصل بين الجسد و النفس على إعتبار أن الجسد أداة للسلوك و سند للهوية " فالتحليل النفسي نظرية و طريقة في معالجة الإضطرابات العصبية و قوامها محاولة نبش العواطف والأفكار المكبوتة عند المرء، و رفعها إلى مستوى الوعي ثم تحليل حصيلة هذه العملية و تفسيرها ،و بذلك يزول العصاب أوالإضطراب العصبي، و التحليل النفسي يعتمد أكثر ما يعتمد على تداعي الأفكار او المعاني وعلى دراسة الأحلام و تأويلها و مفاتيح السيكولوجية الفردية عند فرويد ثلاثة الجنس والطفولة و الكبت "[2] .

وعليه فصورة الجسد تحمل مضامين نفسية بدنية مادية يتعلق الأمر بصورة ذاتية داخلية و ليس بصورة مستقلة عن الذات، فأول وظيفة لهذه الصورة الذاتية هي تسهيل التعبير عن الذات و عن الهوية وعن الوحدة، فالجسد هو منبع الإحتواء و التعبير، فالجسد يحوي مجموع الإدراكات و التصورات التي تساعدنا على إستحضار جسدنا بإعتباره يجسد و يترجم ما يخالجنا من تصورات و نوازع ليبيدية نرجسية.

كما يركز" فرويد" في تحليله النفسي على معنى الأعراض الجسدية، و القصد منها و صلتها باللاشعور و التي تبدي إضطرابا سلوكيا أو مرضا عصابيا " عوامل الحياة الجنسية تلعب بين سائر العلل الفاعلة أو الموجبة الأمراض العصبية دورا خطيرا راجحا

1- سيغموند فرويد: مختصر التحليل النفسي ت جورج طرابيشي ، دار الطليعة بيروت ط2 ، 1986، ص8 .
2- مجلة كاليكوت :جامعة كاليكوت كيرالا المجلد الثاني، العدد الأول، يونيو 2010 ،ص14 -15 .

بل حاسما، وماذا بوسع المحلل أن يفعل غير أن يتكيف مع المادة التي يزوده المريض بها "[1] ، وفي هذا الصدد يرى" فرويد" أن الليبيدو النرجسي يتطور تدريجيا وهذا وفق التطور الليبيدى و في هذا الصدد يؤكد " شيلدر" أن صورة الجسد لها ثلاثة أبعاد فيزيولوجية، ليبيدية ،و إجتماعية ،وهنا ربط بين الواقع المادي للجسد و مكانه في ساحة اللاوعي ، أما" فيشر" فيرى أن صورة الجسد تشير إلى الخبرة أي يختص بخبرات الفرد الذاتية بجسده و الطريقة التي ينظم بها هذه الخبرات، وبالتالي فالجسد يتغير بإستمرار و يتطور، وهو بذلك يطور الشخصية و الوعي بالذات، فصورة الجسد ليست ثابتة في الزمن و هذا ناتج لمدى إحتكاك الفرد بالأخر.

والجانب العلائقي الموجود تبدأ بعلاقة الأم بالطفل، فمنذ الأيام الأولى من حياة الطفل تقام رابطة بين الحاجات البيولوجية الجسدية واللذة الفمية و الشرجية والقضيبية ،و التي كلها مناطق جسدية " يرى المحللون النفسيون للأطفال في هذا الإرتباط أسلوب تنظيم الأعراض العصابية التي تنتمي إلى تغيرات النمو ،و يبين بعضها أهميته في مجال علم الأمراض النفسية الجسمية "[2] .

فالجسد وفق التصور النفسي يقوم غالبا على الإستثمار الليبيدى فهو نتاج لمعطيات عصبية و بناءات نفسية تتشكل تدريجيا منذ البداية .

فالتحليل النفسي يعيد الفرد إلى ماضيه وعن طريق تقنيات علاجية تحليلية ينفس الفرد من خلالها عن إنفعالاته و مكبوتاته من أجل فهمها و ترتيبها عن طريق الإيحاء و الوصول بها و بطريقة واعية إلى سطحي الشعور لمواجهتها و التعامل معها ، وبالتالي فماهية الجسد تدرك من خلال فهم الوظيفتين الأساسيتين له ،وهي معرفة وجود ربط ديناميكي بين كل جزء من الجسد من جهة .

1- سيغموند فرويد : مسائل في مزاولة التحليل النفسي، ت جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ،دط دت ،ص 41 .

2- مجموعة من المؤلفين مراجع الشخصية الهو الأنا الأنا الأعلى : ت وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 2002 ،ص10.

و أن يكون هذا الجسد مأخوذ بمجمله من جهة أخرى ،أما الثانية تسمح بتناول ما وراء الظاهرأي المحتوى و المعنى ذاته لهذا الربط الديناميكى، كما يستخدم مفهوم الجسد كمرادف لمفاهيم أخرى مثل الأنا، الهوية، الذات هذا التقارب النظري سواء من حيث الترتيب البنائي الزمني، أو إرتباطهم بنفس المفهوم، إلا أن لكل مفهوم خصائص يعرف بها، فإذا حاولنا التمييز بين الجسد و الذات، فتجد بنية الجسد هي ذلك الشعور الحيوي للفرد بكليته و ووحدته و هذا مرتبط بصورة ضمنية بمفهوم الذات فلا يمكن الشعور بالذات إلا بواسطة الجسد الذى يعد بعدا بنيويا.

" ستكتشف أن كل جزء من أجزاء جسدك و أن كل عضو مرئي أو لا مرئي من أعضائك و أن كل منطقة جسدية تستجيب لخاصية نفسية أو فلسفية أو معرفية و هذه الخصائص هي التي تشكل قوام شخصيتك "[1] .

وبالتالي تصور الجسد في التحليل النفسي الفرويدى هو تصور لاشعوري للذات، فصورة الذات هي الميزات التي تلحقها الأنا لاشعوريا بالجسد، فالأنا هو قبل كل شيء "أنا جسدي" وهو ناتج عن إحساسات جسدية، خاصة تلك النابعة من على سطح الجسد بالإضافة إلى إنه يمثل مساحة للجهاز النفسي، كما أن الجسد يحمل في ثناياه مفهوم الهوية، ومرتبطة به بصفة مزدوجة، فمن جهة نجده يرتبط بالفرد ومن جهة أخرى فهو يرتبط بالغير.

فالهوية الجسدية تعبر عن الوعي الذاتي، كما تعبر عن التمايز عن الغير، فالجسد بهذا المعنى يكتسي تموضعا في الزمان والمكان لبعث الإستمرارية و الإنفتاح، في حين نجد الفرد مدفوعا للسعي وراء إشباع غرائزه الجنسية و العدوانية، فإن عليه أن يضمن التوازن النفسي، و راحة البال، و التوافق الاجتماعي .

1- جوزيف ميسنجر: لغة الجسد النفسية، ت محمد عبد الكريم إبراهيم، منشورات دار علاء الدين، ط 1 ، 2007 ص 10 .

و هذا بالتشكل التدريجي والذي يبدأ من مرحلة الطفولة و التي تقوم أولا من خلال تميز الرضيع بجسده الخاص عن جسد الأخرين وأناه عن اللاأنا ، فالأنا الأول هو أنا جسدي، وما يدمجه الطفل ويتفاعل معه يبقى يغذي و ينمي الشخصية.
فصورة الجسد ترتبط بالمناطق الغلمية المثيرة للشهوة الجنسية ، و هي تتطور حسب تطور الحياة الجنسية، ومن جهة أخرى ففكرة الجسد تتماشى مع فكرة نمو الأنا و التي تشتمل على مكونين مهمين أولهما يتمثل في التصور الجسدي، و الثاني في المفهوم الدلالي للجسد .

يقول فرويد " توجد في كل فرد منظمة دقيقة للعمليات العقلية سميناها الأنا و يشمل هذا الأنا الشعور، وهي التي تنام بالليل و لكنها مع ذلك تستمر، تقوم بالرقابة على الأحلام، و عن هذا الأنا أيضا يصدر الكبت ،فلقد وجدنا في الأنا ذاته شيئا لاشعوريا أيضا، و هو يتصرف كالشيء المكبوت أي كشيء يحدث آثارا بالغة بدون أن يكون هو نفسه ظاهرا في الشعور"[1] .

إذن السياقات التي تساعد على تأسيس الجسد ليست فقط بالإدراك، بل له تطور زمني في الحقل الليبيدي و الوجداني ، فينتظم الجسد من خلال سير مراحل التطور النفسي للفرد أي التطور الليبيدي " فالموجود الإنساني وحدة عضوية نفسية ليست موضع نزاع و حتى روني ديكارت الذي كان مع ذلك من وجهة نظر ميتافيزيقية يميز الجوهر الممتد من الجوهر المفكر يعترف في الواقع الإنساني بمجموع يقظ لا ينفصم من الشعور الجسم " [2] .

1- سيغموند فرويد : قلق في الحضارة ت ج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ،لبنان، ط4 ـ يناير 1996 ، ص31 .

2- نوبير سيلامي : المعجم الموسوعي في علم النفس ج4 ، ت وجيه أسعد منشورات وزارة الثقافة ،دمشق- 2001، ص 1524.

إن مفهوم الجسد من حيث التصور يختلف في التحليل النفسي عنه في العلوم الطبية " و الأطباء الذين تستأثر بهم دراسة العمل الوظائفي إستئثارا متناميا، أهملوا علم النفس المعتبر من الميدان الأدبي"[1] .

لقد بلور فرويد مفهوم الجسد من خلال فهمه للعلاقة الغامضة مع الواقع و الخيال، في نفس الوقت ليشكل الأنا الأصلي سلطة نفسية بالدرجة الأولى، فالهدف من التحليل النفسي هو معرفة المرء لذاته بإعتبارها ضرورة إنسانية شديدة القدم، لقد ربط فرويد بين أجهزة الجسد و تركيبته و بين ما يحدث للمريض من إضطرابات، كالقرحة المعدية العفجية ، و إلتهاب القولون، و الربو.
لذلك يصعب تمييز الأمراض النفسية الجسدية من الأمراض الأخرى كهستيريا التحول التي تظهر بإضطرابات جسدية " فمن اليونان إلى العصور الوسطى إلى العصور الحديثة تجدون أن معرفة المرء نفسه هي أساس معرفة العالم أو كما يعبر" ما يستر أكارت" عن ذلك في صيغة قوية التأثير، جد أن سبيل المرء الوحيد إلى معرفة الله هو أن يعرف نفسه، إن ذلك مطمح من أقدم المطامح البشرية وهو مطمح أو مأرب له جذوره في عوامل شديدة الموضوعية" [2]

ومنه نستخلص من خلال الد راسة الجينيالوجية لمفهوم الجسد مدى عمق جدليته و تمثلاته النفسية كوعي ثقافي يعكس تماهي الذات الإنسانية و حضورها الأنطولوجى بإعتبارها موضوع يشكل و يفعل الحياة و الحركة و الوعي فبه نعبر عن كينونتنا و ذاتنا " فالجسد هو ذلك الكائن الحي بما هو منبع الوعي و الفكر و الحرية " [3].

1- نوبير سيلامي :المعجم الموسوعي في علم النفس ج4 ـمرجع سبق ذكره ،ص 1525.

2 ـاريك فروم : *فن الاصغاء، ت محمود منقذ الهاشمي، دار اتحاد الكتاب العربي، دمشق ، 2004 ، ص 77 .*

3- سمية بيدوع : فلسفة الجسد ـ مرجع سبق ذكره ـ ص 11.

المبحث الثاني :

الجسد رمزية الحضور في تاريخ الأفكار

الجسد رمزيـة الحضور في تاريخ الأفكــار

إن ماهية الذات الإنسانية تدر ك من خلال إنسانيتها ، فهي تعبر عن وجودها و وعيها و كينونتها و ما يتضمنه هذا الوجود من إشكال ، و لكن إذا كان الفكر و التفكير الإنساني ثابتا من ثوابت الطرح الفلسفي فإن كيفية تعقل الذات لذاتها و وعيها بإنيتها لم تكن ثابتة بل أحدثت مفارقات و إرتجاجات و تضارب في التصورات .

لأن بؤرة الإشكال المطروح : ما الإنسان ؟ هو الذي يبرر هذا التصادم الفلسفي و التباين الأنطولوجي بمعنى البحث عن حقيقة و ماهية الذات الإنسانية ، و لكن هل يمكن التأسيس لماهية إنسانية بمعزل عن التفكير في الوجود الإنساني ؟ و هل يتوجب التأمل في الذات وفق وجودها الجسدي ؟

يجب علينا أن نقارب موضوع الجسد من منظور فلسفي ، و هذه المقاربة لا تتم دون وعي بالإطار الإبستمولوجي الذي دار فيه الحوار والذي تتأطر فيه المقاربات ألا و هو نقاش الجسد والروح، و لعل من يفكر في الجسد فلسفيا لا يستطيع التخلص من خندق

الثنائية (روح و جسد) و قد تمت مقاربة الجسد و التأريخ له بناءا على الإرث الإغريقي القديم، خاصة مع التصور الماهوي الذي يفصل بين الجسد و الذات أي ترسيخ جوهرية الفكر و عرضية الجسد .

فالجسد بإعتباره الجانب المرئي من كياننا، و مع ذلك فكثير من الفلسفات الما ورائية قد إستبعدته و هنا يتبادر إلى أذهاننا إشكالا جوهريا و هو : ما الذي يبرر هذا الموقف ؟و لما شكك في حقيقة الجسد ؟

إن البحث عن الوعي التاريخي لن يتحقق إلا بفهم حقيقة الجسد ، لأن ما يقدمه لنا من أحواله و أوضاعه و تبدلات لعوامله و معالمه و إختلاف لدلالاته يبين أن الجسد ضاج بالتاريخ حيث يفصح عن حقيقة قارة في بؤرة السؤال ، فلربما كان سؤال التاريخ أو بالأحرى ماهية التاريخ نفسه يجد جوابه في الجسد و لعل السؤال ماهو التاريخ ؟ يفترض

أنه يكون بشكل أعمق و أدق و هو كيف يكون التاريخ ؟ ليجد مقره و مستقره سؤاله و جوابه المرجعيين في كيف يكون الجسد ؟

فالجسد له إمتداد تاريخي عريق ، و قد تباينت الأطروحات و الأنساق الفلسفية حول طبيعة العلاقة بين النفس و الجسد .

و تمثل محاورة " فيدون الأفلاطونية " بيانا نظريا يؤسس لمشروعية إقصاء الجسد من فعل التفلسف ما دامت الفلسفة كما يعتقدها أفلاطون على لسان سقراط تجليا عن إرادة الحياة، و إقبالا على الموت و توقا دائما إلى الإنعتاق من سجن الجسد قصد الإلتحاق بعالم روحاني خالص "و نعلم أن ممارسة الجدل كان نشاطا رئيسيا في أكاديمية أفلاطون الذي كان ينتمي إلى أرسطومن عام 367 ق م حتى وفاة أفلاطون 347 ق م "[1].

لقد ركز على ثنائيات (الروح و النفس)، (الجسد و المادة)، (الذات و الموضوع) ، (العالم الحسي و العالم المثالي) و قد تبعه تلميذه أرسطو الذي ميز بين ما يسميه بالصورة و الهيولة .

حيث يعرف أرسطو النفس " كمال أولي لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة "[2]، بمعنى أن النفس هي صفة ذاتية في الجسم و توجد فيه بالقوة ، أي أنها كانت في الجسد على صورة إستعداد وفعلها أن تنقل الحياة الموجودة في الجسم بالقوة إلى الوجود بالفعل .

لقد تواصلت التنظيرات الأفلاطونية و الأرسطية للمعرفة عبر القرون الوسطى لتحافظ الأراء المثالية الأفلاطونية على إستعارة الماهيات أفكار في حين حافظت الأفكار

1- محمد فتحي عبد الله : الجدل بين أرسطو و كانت (دراسة مقاربة) المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ط1، 1995، ص16.

2-أرسطو طاليس : كتاب النفس ، ت أحمد فؤاد الأهواني، مراجعة الأب جورج شحاتة قنواتي دار إحياءالكتب العربية ط1 - 1949 ، ص42.

الواقعية الأرسطية على إستعارة الأفكار ماهيات، و في الحالتين معا ما تم الحفاظ عليه هو تفسير إمكان المعرفة عبر الأوصال المباشرة الأشد صميمية بين الأفكار و الماهيات ألا و هي الهوية .

" فقد عارض السفسطائيين الذين يعتمدون أساسا على الحس من خلال شعارهم المعروف الإنسان مقياس كل الأشياء"[1]،هذه المعارضة نابعة من نقدهم للتصور العقلاني لعلاقة الجسد بالروح و بهذا فقد عرض أفلاطون في محاورته المعروفة "فيدون" عن أمرين مهمين و هما أولا تعريف سقراط للموت مؤكدا أن الموت مجرد إنفصال الروح عن الجسد، وثانيا رده على رأي أناكسا جوراس وتصوره أن الفكر مادي، و هو الأمر الذي يرفضه أفلاطون على إعتبار أن العقل هو العلة الحقيقية لسلوك الجسد على غرار السفسطائيون الذين يعتبرون أن النفس تفسد بفساد الجسد .

فالمرض بالنسبة لأفلاطون ليس سوى فوضى في الجسد تعدي الروح مما تولد أمراضا روحية كالجهل و الحمق، لذا يرى أفلاطون أن الحفاظ على الصحة يكون بخلق التوازن بين الروح و الجسد لأن طغيان الروح على الجسد يجعله هجينا و طغيان الجسد على الروح يجعله جاهلا، و لن يتحقق هذا التوازن إلا بتأسيس قواعد لتربية الجسد و الروح فالجسد يحتاج إلى الرياضة لترويضه و الروح تحتاج إلى الموسيقى و الفلسفة لتنمية العقل و الحكمة .

يوضح أفلاطون من خلال محاورة فيدون أن هناك نفس عاقلة هي بالضرورة النفس الخالدة و التي تبقى حية إلى الأبد بعد فناء الجسد، فالموت من نصيب الجسد و الإنسان لابد أن يؤمن بالخلود حتى يرتقي إلى بلوغ المعرفة الخالصة ،فالمعرفة و الروح من طبيعة واحدة و الروح هي تعبير عن الوجود الحقيقي و المعرفة بدون هذا الوجود لا يمكن تحصيلها و هي تمثل الحكمة و الحقيقة .

1-Léon Gautier :le pensée philosophique à ,travers les ages T1 ;paris p135.

.

و نفس شهوانية تنحدر من الملذات الجسدية الشهوانية، فكلما كانت شهوانية كانت جاهلة و إنحنت بالضرورة للرذيلة،وتكون النفس بهذا المعنى مؤلفة من ثلاثة أجزاء و هي الجزء العاقل، و الجزء الشجاع، و الجزء الشهواني، فالجزء الأول مسؤول عن تنظيم النفس و التحكم فيها بإعتباره يمثل الجانب الإلهي في الإنسان" و إننا نسميه عاقلا على حساب ذلك الجزء الصغير الذي يحكم و الذي ينادي بتلك الأوامر الجزء الذي تقع فيه معرفة ما هو، لمنفعة كل من الأجزاء الثلاثة منفعة "[1] .

أما الجزء الثاني من النفس الذي يسميه أفلاطون الشجاع ،و هو جزء ملئ بالحماس و داخله توجد روح فانية تتميز بشدة الإنفعال و الإثارة ،كما يؤكد أفلاطون أن هاته النفس خلقت من مزج تلك الإنفعالات التي تميزت بها في جزئها الثاني، أما الجزء الثالث فهي النفس الشهوانية و التي تتميز بقوة الغرائز الشهوانية ،يقول أفلاطون في هذا الصدد" أما الجزء الأخر من أجزاء الروح الذي يرغب اللحم و الشراب و الأشياء الأخرى التي يحتاجها بسبب طبيعة الجسد "[2] .

يعتقد أفلاطون أن النفس الإنسانية متميزة عن الجسم بطبيعتها اللامادية وهي مصدر حياة الإنسان و حركته وأن وجودها سابق لوجود الجسم، فقد تحيا في عالم أخر قبل أن تهبط في الجسم وحين يموت الإنسان تصعد النفس إلى عالمها الأول الذي تتوق إليه و النفس لا الجسم هي الإنسان على حقيقته، أما الجسم فليس إلا ألة تستخدمه .
فكثيرا ما كان يردد أفلاطون مفاهيم متعالية و متسامية و مفارقة للعالم الحسي و للذات الشهوانية من أجل الوصول للحكمة بإعتبارها رأس الفضائل " إستطاع أفلاطون أن يصل إلى حقيقة التوسط بين العالم و بين الله عن طريق عالم المثل، لأن الصور عند

1- أفلاطون المحاورات الكاملة، الجمهورية المجلد الأول ،ت شوقي ،داود تمراز الأهلية للتشر و التوزيع، بيروت ،1994 ص 215

2- المرجع نفسه ، ص 394

أفلاطون هي الواسطة بين الله و بين العالم الأرضي ، إن الأشياء لا وجود لها إلا لمشاركتها في هذه الصورة ، كما أن هذه الصور هي أفكار الله "[1] ، فالنفس الإنسانية كانت مجردة من الأجساد قبل ولادتها و بالتالي كانت تعيش في عالم المثل فلما حلت بالجسد أنزلت إلى الحسي المزيف و المتغير "الروح جوهر خالص و اللذة تنحدر بالإنسان نحو الأسفل أي نحو التدنيس و الخطيئة التي تتصل بالجسد"[2] ، فالجسد يعتبر سجن الروح إنها روح مقيدة في جسم مضطرة لرؤية الحقائق من خلاله ، فهو مقبرة الروح، وهنا يبين أفلاطون الجدل القائم بين قوتين متعارضتين إحداهما تنصاغ لأوامر العقل و الأخرى تنصاغ إلى الشهوة و الرغبة فالنفس تتميز بالحركة فهي تحرك نفسها و تحرك الجسم الذي تتحد معه .

و يعلل أفلاطون ذلك على أساس أن حركة الجسد بفعل مؤثر ما لدليل على أنه خال من الروح أما اذا تحرك بدون أي أثر خارجي ظاهر بالنسبة لنا أي من الداخل، فهذا دليل على إمتلاكه حياة على إعتبار أن خاصية الحركة من إمتلاك الروح الكلية العاقلة ،و منها إستمدتها النفس التي تسكن في الجسم فهي الجزء الأقل و مقره الرأس ، و لكي نصل إلى المعرفة الحقيقية وجب بتر الجسد و تخليص النفس من معاشرته عن طريق عالم المثل .لذلك يجب على الإنسان الذي ينتمي إلى عالمين عالم المثل و عالم الحس ،أن يتحررمن الجسد بإعتباره مادي يعيش وفق متطلبات الروح ذات الطبيعة الخالدة .

وهكذا فإن أفلاطون حصر نقطة إلتقاء العالمين بالطبيعة البشرية و إنطلاقا من فلسفة أفلاطون فمن الواجب أن نتسامى فوق مطالب الجسد و نوازع الشهوة لأن البدن هو سجن للنفس و بالتالي لتحقيق الفضيلة يجب إخضاع الجسد لسيادة النفس .

و هذا من منطلق الرؤية الدونية للجسد التي طغت على التفكير الكلاسيكي ،وبالمقابل تقديس العقل

1-عبد الرحمان بدوي : فلسفة العصور الوسطى، دار القلم، بيروت، ط3 ، 1979، ص 99.

2-Léon Gautier :le pensée philosophique à ,travers les ages T1 ;paris p169.

" يتحقق الفصل التام بين الجسماني و الروحاني و بين الحسي و العقلي ، الإعتقاد بأن النفس هي جوهر روحاني خالص وأن الإنسان ذات متعالية بل مفارقة بذاتها من دون البدن"[1] .

لقد إستخدم أفلاطون الجدل بمعنيين الأول كمنهج يرتفع به العقل من المحسوس إلى المعقول دون الإلتجاء إلى ما هو محسوس، و الثاني إنه العلم الذي يوصلنا إلى المبادئ الأولى بإعتبار أن هذه النفس هي مبدأ المتعة و الحب ، إنها تكشف كل الرغبات و الميول و ما يقود كل كائن حي حتى تنتهي جميعا إلى النفس ، فمن الحكمة بالنسبة لأفلاطون تطهير النفس من شوائب الجسد .

" فالعقل هو السبيل الوحيد للمعرفة لا الحس ، إذ أن الحس يختلف بإختلاف الأفراد بل بإختلاف حالات الشخص الواحد ، أما العقل فهو عام في الناس جميعا"[2]،فأفلاطون حين عرف النفس يقول " الكلام الداخلي المتجلي للإنسان مع نفسه"[3] و هذا التعريف مستوحى من أستاذه سقراط بحيث يبقى هذا الكلام الحوار الداخلي مجرد تذكر للمعاني و الكلمات والتي كانت الروح قد أدركتها كلية في عالم المثل ، فهو لا يعمل إلا على حساب التصورات والمعاني ،على ضوء هذا المصدر المطلق المتعالي الذي يسميه الخير الأسمى .

فالحب الأفلاطوني لا يعترف بالحب الجسدي لأنه يعشق اللذات فهو في المراتب الدنيا " الحب الأول اللامتناهي هو حب الآلهة"[4] فالحب يبني نسقا عقلانيا هرمه الحكمة والفلسفة لا رغبة و حبا للجسد و هذا ما لخصه في حوار فيدون أنه لا يتلاشى في الإشباع الجسدي بل أنه يريد أن يحمل هذا الجسد نحو حدود جديدة مطلقة.

1-مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 66-67 ، نصوص عربية في اللذة علي حرب، بيروت، ص 99.

2- عبد الرحمان مرحبا : من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية منشورات عويدات بيروت ط2 ، 1981 ص121 .

3-Platon : la republique , paris, Flammarion, 1978 ; p78.

4- أفلاطون :محاورة المأدبة في الحب ت ، علي النشار ، دار الكتب الجامعية ، 1970 ،ص226.

لقد قسم أفلاطون النفس إلى مراتب ، فالمرتبة العليا للنفس العاقلة و رغبتها نحو الكمال (الخير الأسمى) و تليها النفس الغضبية تأتي في المرتبة السفلى بإعتبارها شهوانية غريزية ، فالنفس بأسرارها تحاول أن تحافظ على ديناميكية الفضيلة و العدالة ، فيكون عندئذ العدل كقيمة أساسية لأنه رأس الفضائل للمجتمع الذي يقطن الجمهورية .

وفي داخل هذا الإطار لا يكون الجسد مكانا لإلتقاء و لتداخل مختلف الفئات الأنطولوجية بل هو مقر الفساد و المثولية، و من هنا كان البحث عن النقاء و الزهد، و كذلك الحاجة إلى إخضاع الجسد لسلسلة كاملة من القواعد و المعايير من أجل السماح للإنسان ببلوغ الفضيلة و المعرفة ، فالجسد و الروح متعارضان وما إتحادهما في نظر أفلاطون إلاعارضا ، فالنفس عنصر خالد كما تمتلك إمكانية تأمل جمال عالم الأفكار، بينما الجسد فهو مادي يرتبط بالشهوات و الملذات كما أنه يحد من النظام المعرفي و الأخلاقي ، ولكي يكون الإنسان عادلا و خيرا يجب أن يوازن بين الأجزاء الثلاث، فالعقل بإعتباره حاملا لخاصية الألوهية فإنه خالد و في نفس الوقت آمرا و حاكما وهذا بمساعدة الجزء الشجاع في السيطرة على الرغبات و كبح الغرائز .

لقد حد الفكر الفلسفي الكلاسيكي من فضاءات تحرك الجسد و فعاليته ، فالإجابة الأفلاطونية إقتضت أنه لا وجود حقيقي للجسد بإعتبار جوهره من الموجودات الممتدة و أن الوجود الحقيقي للروح " فالتطهر هو وضع النفس بعيد عن الجسم بقدر الإمكان"[1]لأن طبيعة الجسد تختلف عن طبيعة الروح، بإعتبارها مترفعة بملكتها العقلية و التي تسير و تروض الغريزة و الشهوة " لتبقى مهمة الغضب هي أن تطيع العقل "[2] .

1-حبيب الشاروني : فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية ،دار التنوير للطباعة، بيروت، 2005 ،ط2 ،ص11.

2-فؤاد زكريا : الجمهورية الكيان الرابع نصوص مختارة د ط ـ دت ،ص 325

إن النظرة الأفلاطونية للجسد و علاقته بالروح تبين قوة تقديسه للروح ،بإعتبارها روح طاهرة مطلقة في عالم التصورات مفارقة لما هو مزيف حتى أن التصور للحب الأفلاطوني يتعالى نحو EROS التصوف .

فالنفس هي مبدأ الحركة" بإعتبارها جوهر مستقل عن البدن "[1] و عن هذا التحديد للنفس نتجت نظرية أرسطو حول الأنفس الحيوانية ،إذ هناك نفس نباتية هي علة الحركة و النمو عند النبات و الحيوان، و نفس عاقلة هي علة التفكير عند الإنسان .
هذا يعني أن النفس كمبدأ حركة ليست ميزة إنسانية بما أن النبات و الحيوان لها أيضا أنفس تحركها كمبدأ حركـة لذى يرى أرسطو أن تركيب النفس وتفاعلاتها مع الجسد هو من نفس سياق المادة وتفاعلها مع الصورة " فلا يمكن أبدا إعتبار النفس والجسد شيئين مستقلين بل هما شيء واحدة ،فالنفس عند أرسطو جوهر و هو الموضوع دائما و الذي لا يمكن أن يكون محمولا دائما"[2] ، ولكنها جوهر متعدد الأبعاد و الأوجه ،فالوجه الأول هو الجوهر و الذي يمثل المادة ،والوجه الأخر من الجوهر هو الصورة التي تعطي للمادة فعليتها وتجعلها شيئا، أما الوجه الثالث فهو الجوهر والذي يعتبر بمثابة الجمع بين المادة و الصورة .

و هذا ما يطلق عليه أرسطو إسم الجوهر الأول أما الجوهر الثاني فهي النفس ،كما يعتقد أرسطو أن الحالة النفسية مهما كانت ميزاتها ترتد إلى النفس والجسد ،فقد أثار أرسطو في "كتابه النفس" جملة من الإشكاليات تتعلق بطبيعة الأحوال النفسية وعلاقتها بالجسد، كما قسم النفس إلى ثلاث أقسام نفس نباتية ونفس حيوانية و نفس إنسانية و التي تمثل المدرك العقلي على إعتبار أن مبدأ الوجود العقلي مرتبط بمدى فهمه للغاية والهدف ومدى وعيه لجسده.

1- مدحت الكاشف : اللغة الجسدية للممثل ، مطابع الإهرام التجارية ،مصر، 2006 ،ص 28.

2- د ابراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من دبكارت إلى هيوم .،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية ، 2001، ص 108

" إن نظرية أرسطو للكون هيراركية أو تصاعدية ، فالكون مرتب من الجماد إلى النبات إلى الحيوان إلى الإنسان، ثم فيما بعد الإنسان من الأجرام السماوية إلى الآلهة و هو منظم بطريقة تصاعدية دقيقة ، و لهذا نستطيع أن نقول أنه في العالمين عالم الطبيعة و عالم الفن نجد بإستمرار أن ما هو أدنى لصالح ما هو أعلى،بل حتى النفس تنقسم إلى ماهو أدنى و ماهو أعلى"[1] فتكوين النفس ذاته يكشف لنا الطريق ، فالنفس تتألف من جانبين الجانب العقلي و الجانب اللاعقلي و من الطبيعي أن يحكم الجانب العقلي و يسيطر عل الجانب اللاعقلي .

و تأسيسا على قوله هذا فإن النفس صورة تتحقق في المادة و تمنحه الفعلية ، لقد كان على الفلسفة الأرسطية أن تحل المعضلة التالية : كيف يمكن أن نجعل هذا العالم معقولا دون أن نقع في المفارقة الأفلاطونية ؟

إن الإختلاف في نظرية المعرفة بين أفلاطون و أرسطو تكمن في أن الفلسفة الأفلاطونية تفترض أن كمال الوجود الإنساني ،أي أنيته تتحقق بالنفس لوحدها"لأننا كنا لا نحمل معنا ذلك الشبح الذي سميناه بالجسد"[2] ، ففن الحوار و الجدل أو لنقل الديالكتيك هو ما يسمح للنفس أن تترفع عن عالم الأشياء المتعددة ، و المتحولة إلى العالم العياني للأفكار فالذات تتحدد بإعتبارها عالما ميتافيزيقيا " تظل النفوس الإلهية الخالدة متصلة بالوجود المطلق الذي يتجاوز فيه السماء و لا تنزل إلى الأرض بل تظل في مكانها تتأمل الماهيات الخالدة "[3].

1-د : إمام عبد الفتاح إمام : أرسطو و المرأة مكتبة مدبولي ،القاهرة ، ط1-1996، ص24-25.

2-أفلاطون : الجمهورية ت : فؤاد زكريا الهيئة المصرية العامة للكتابة، القاهرة، 1985، ص 80.

3-المرجع نفسه، ص 24

أما أرسطو فيقر بأن المعقولات موجودة بالعالم الذي يعيش فيه الإنسان و ما عليه إلا أن ينتزعها بالتجريد من الأشياء التي حوله ،" فالنفس للجسد بمثابة الصورة و الطبيعة لغيرالحي"[1] كما إستعمل أرسطو الجوهر بمعان مختلفة .

الأول بإعتباره أنه صورة و الثاني بإعتباره أنه هيولة و الثالث بإعتباره أنه مركب بين إثنين ،" فالهيولة هي بمثابة الجسم و المادة ، و الصورة بمثابة النفس و الهيولة و الصورة تتحدان إتحادا جوهريا ليكونا موجودا واحدا "[2].

فالهيولى و الصورة يشيران إلى كل وجود فردي و ليس الوجود الإنساني فقط من خلال إتحاد النفس و الجسد ،بل كل وحدة مكونة من هذين المفهومين ،فالهيولى هي المادة القابلة للتشكيل و التغيير أي أن يكون فيها إستعداد يسمح بالفعل فيها ،فإذا كان السرير كهيولى يعبر عن التحول و هذا بإعطائه صفة تميزه عن الكرسي مما جعلها تشير الى موجود ما ،وهذا بالتحديد ما يسمى الصورة وبالتالي فالصورة هي جوهر الشئ و تمامه وهي مرتبطة بالهيولى " فالمادة لا معنى لها في نظر أرسطو إلا بصورة تحددها كما لا يمكن أن توجد دو ن أن تكون هناك مادة تشير إليها الهيولى إذا نظرنا إليه أي الخشب من ناحية علاقته بالسرير لأنه هو الذي يصبح سريرا " [3].

تعد فكرة الهيولى و الصورة حجر الزاوية في فلسفة أرسطو ، فالهيولى و الصورة لا تنفصلان ، فلا صورة من غير هيولى ولا هيولى من غير صورة و هما ليسا منفصلين إلا في الذهن .

1- ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية ،ت ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد ،القاهرة، 1984 ،ص 247.

2- د إبراهيم مصطفى إبراهيم :الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة ، الإسكندرية، دط، 2001، ص109.

3- ولتر ستيس الفلسفة اليونانية :ت مجاهد عبد المنعم مجاهد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت ط 2 2005،ص 180.

إذا كانت النفس مبدأ للحركة في فلسفة أرسطو فإنها مبدأ فكر، بمعنى النفس تتحدد بإعتبارها فكرا لا مبدأ حركة في فلسفة ديكارت ، و هي تنطلق عند إختزالها للوحدة الإنسانية بخاصية الوعي من فهم ميتافيزيقي للوجود يبحث عن الأنية خارج إطار المحسوس لما يحمله من كثرة و تغير.

فالجسد بالنسبة لديكارت جوهر ممتد لا يعدو أن يكون ألة نشاطها لا إرادي فمنذ كتاباته الأولى أعطى ديكارت تفسيرا للوظائف الجسمية المختلفة ،و ذلك عبر مقارنة الجسم بألة فهو يرى أن الوظائف الجسمية الرئيسية كالهضم و التحرك و التنفس بالإضافة إلى الذاكرة و الخيال الجسميين تنجم عن ألية أراد الله جعلها ذاتية الحركة ، و وظيفتها الإستمرار في الحياة ،أما النفس فهي الجوهر المفكر الذي يجعل الإنسان كائنا عاقلا ، بمعنى الجسد يختزل في الميكانيزمات الفيزيوكيميائية .

فالمعرفة لا تتم إلا من خلال مجموعة من العلاقات التجريبية الحسية الناتجة عن الخبرة و لا يمكن أن تحصل إلا عن طريق الحس و بالتالي " فالعقل ليس إلا كلمة تدل على الظواهر و الحالات النفسية و الحوادث العقلية من إحساس بألم أو بلذة أو إحساس بالبرودة أو الحرارة أو إدراك حسي للأشياء تبدو في العالم الخارجي إما تذكر أو تخيل أو تجريد أو إنفعال أو عاطفة لكني لست على وعي مباشر أو غير مباشر و ليست لي فكرة واضحة عن أي شيء وراء هذه الحالات و الحوادث يسمى جوهر " [1]. أي بين الشيء المفكر الذي يمثله الوعي " فالوعي الذاتي المصاحب لها و الإرادة التي تستمد حريتها من الوعي المصاحب لها ،كما أن الكلام لا تفهم كلماته إلا على ضوء النور الفطري الذي يرشدنا إلا أن معرفة الفهم ينبغي دائما أن تسبق تصميم الإرادة "[2]هذا الوعي ينفيه أنصار النزعة الحسية التجريبية بزعامة دافيد هيوم لإعتقاده بأن الأنا لا

1- محمودفهمي زيدان :النفس و الجسد بحث في الفلسفة المعاصرة ،دار الجامعات المصرية الإسكندرية ، 2001، ص 88.

2-روني ديكارت :تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ت كمال الحاج منشورات عويدات، بيروت، ط4-1988 ،ص191.

تملك وعيا بهذا الجزء المجرد و كل ما تعيه هو في الحقيقة مجموع الخبرات الحسية من حالات نفسية و حوادث عقلية تظهر بالنسبة لنا على شكل إدراكات جزئية .

إلا أن الأمر يختلف تماما مع تصورات الفيلسوف الفرنسي روني ديكارت الذي أحي الثنائية القديمة ،فكانت بداية نقطة الإنعطاف مع ديكارت ،حيث أصبح الفعل الفلسفي يستند إلى الذات من خلال الكوجيتو الديكارتى الذي أعاد الإعتبار للذات الإنسانية فالذاتية بالتوجه نحو الأنا متموضعة في الكوجيتو الديكارتي "أنا افكر إذن أنا موجود "،فبتسامي وإعلاء الأنا أصبح العقل هو الإله الجديد .
فالعقل هو المثال الأعلى الذي إختلقه الإنسان الحداثي من أجل إزاحة الغطاء الذي تتستر وراءه الطبيعة لتحل تراتبيات أنطولوجية يحملها منطق العقل لا منطق اللاهوت فالفعل الحداثي حاول فهم الذات في ضل العقل والعلم واليقين ،بمعنى الحداثة لا تنفي إرتباط الأنا بالطبيعة و لكنها ترفض أن يكون هذا الإرتباط عن طريق الميثولوجيا .

إن يقين الأنا في وجوده كما تحدد من خلال الكوجيتو يثبت أن الفكر أساس ذلك اليقين ،و بذلك يختزل أنية الإنسان بعيداعن كل غيرية بإعتباره شئ يفكر ، لقد إستطاع ديكارت أن

يثبت بالأدلة الأنطولوجية وجود الذات العارفة ، إذ بها توصل أيضا إلى إثبات الوجود الإلهي للعالم الخارجي ،و في الأخير توضحت معالم الثنائية القائمة منذ الأزل بين الروح و الجسد" فإشكالية الثنائية جزء لا يتجزأ من النظام الفلسفي عند ديكارت و هو في الوقت نفسه حجرة عثرة للذين أتوا بعده ، لأنهم إنطلقوا من النتيجة الثنائية التي إنتهى إليها"[1] .

فديكارت يقر بتعدد الجواهر ، فالنفس جوهر و الجسد جوهر وعلاقة النفس بالجسد هي علاقة جوهرية تنتج جوهرا ثالثا و هو الإنسان، بإعتباره ذات تشك و تتصور و تتأمل

1- جنفياف روديس لويس : ديكارت و العقلانية ،ت :عبده الحلم منشورات عويدات، بيروت، 1988، ط4 ، ص33.

و تتخيل أيضا ، فالشك كما ينبغي ممارسته حسب ديكارت ليس ريبيا قوامه الإقرار الوثوقي بعجز العقل إستحالة الحقيقة، بل سيكون منهج بحث يعتمده العقل من أجل التمييز بين ما هو مشكوك فيه ،و يقيني "و كانت رغبتي شديدة دائما في أن أتعلم كيف أميز الحق من الباطل ، كي أكون على بصيرة في أعمالي، و لكي أسير على هدى في طريقي "[1] .

فالحقيقة تنتمي إلى النفس المتميزة بالقدرة على التفكير و التأويل فهي تحضى بميزة تزويد الوجود الإنساني بالكلية و القيمة ،ومع ذلك فوظيفة الجسد تختلف إختلافا كبيرا عن وظيفة النفس ،فالجسد في نظر ديكارت ألة دقيقة تعمل بالحركة التي تستمدها من الأرواح الحيوانية و التي يعتبرها مانحة للحياة و لكل الجواهر الممتدة ،أما النفس فترتبط إرتباطا وثيقا بالأفكار،و قد صنفها إلى صنفين الأولى ترتبط بالإرادة ،و الثانية بمجموع الإنفعالات و الإحساسات أو تأثرات النفس التي ترتبط بشكل خاص، فحركتها و نشاطها يكون من خلال فاعلية الروح .

إن الكوجيتو الذي حرك الفكر الفلسفي لدى ديكارت إنطلاقا من الذات الواعية وصولا إلى التمييز بين النفس و الجسد ،و مع ذلك فقد بتر بعض الأفكار الكلاسيكية منها أنه لم يول إهتماما كبيرا للصراع الموجود بينهما ، "إننا غالبا ما نظل جاهلين لما يمارس في وقتنا إذ نحن أصرفنا في حب الإطلاع على ما كان يمارس في القرون الماضية"[2].

لقد إنبثق عن فلسفة ديكارت منظور إستعاري جديد للذهن بوصفه أنه يمثل في عالم داخلي للأشياء الموجودة في العالم الخارجي و مادامت الأشياء في الذهن تختلف عن

1- روني ديكارت: مقال المنهج، ت محمود محمد الخضيري ، دار الكاتب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة ، ط2- 1968 ، ص119.

2-Maria michela marzano :panisoli, pensée le corps op ,cit p29-30

الأشياء في العالم ، فإن مشكل المعرفة " صار كالتالي :كيف نتمكن من معرفة أن الأفكار الداخلية (التمثيلات) في أذهاننا توافق فعلا الأشياء في ذاتها"[1] .فالفكر كيان قائم بذاته غير مادي متميز تماما عن الجسد ، فالنفس هي التي تجعل الإنسان ذاتا "على الرغم من أنه ربما كان لي جسد ملتصق بي بقوة أو بالأحرى لي جسد بكل تأكيد كما سأبين بعد قليل ، فإنني من ناحية أولى أتصور ذاتي بوضوح ، و جلاء وجودا مفكرا ليس بذي مقدار ، و من ناحية ثانية أتصور الجسد تصورا واضحا مميزا بما هو مقدار لا يفكر ، فما لاشك فيه أن ذاتي متميزة عن هذا الجسد بالكلية " [2] و بهذا خرجت " الميتافيزيقا الديكارتية من الميتافيزيقا التقليدية لتصبح ميتافيزيقا الذاتية"[3].

لقد ميز برغسون مثل ديكارت بين النفس و الجسد ، حيث يعتقد أن الحالات النفسية أوسع من الحالات الجسمانية و الإختلاف بينهما يكمن في الصورة و المادة بحيث أن المادة مجرد إمتداد هندسي أما برغسون فقد أحال العالم المادي إلى ديمومة ،لقد قابل بين الجدل الديكارتي و جدله المبني على مذهبه (التطور الخالق) القائم على كلية المفاهيم المستمدة من المثالية الأنطولوجية .

إن نقطة البدء في فلسفة برغسون كانت عن مشكلة الوجود و الديمومة فهي معطيات شعورية مباشرة ندركه إدراكا عيانيا من أجل معرفة الوجود الذي يجمع بين حقيقة الذات و حقيقة الموضوع بمعنى أن الذات ليست مجرد مجموعة من الأثار الصادرة عن العالم الخارجى فهي في إتصال مباشر مع الموضوع المدرك .

1-جورج لايكون ، مارك جونسون : الفلسفة في الجسد (الذهن المتجسد و تحديه للفكر الغربي) ،ت: عبد المجيد حجفة دار الكتاب ،2016 ،ط1، ص 519.

2- جنفياف روديس لويس : ديكارت و العقلانية ـ مرجع سبق ذكره ـص84-85.

3 ـ سالم يفوت : المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر ، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 1990 ،ط1 ،ص11.

فدراسة الجسد بالنسبة لبرغسون لا يكون فقط من الناحية الإجتماعية ، بل حتى من الناحية الفسيولوجية كالدماغ فهو يلعب دورا أليا ميكانيكيا" إلى جانب الجسد المحدود في اللحظة زمنيا للحصول في مكانه فضائيا و الذي يتصرف كأنه إنسان ألي يتفاعل بصورة ميكانيكية مع التأثيرات الخارجية"[1] فالوجود الأصلي بين النفس و الجسد يكون عن طريق الديمومة و الصيرورة المرتبطة بفعالية الحدس ، " فالحدس في نظره يتجاوز ضرورة العقل إلى باطن الوجود لتتحول الفلسفة إلى عملية جهد حدسي "[2].

فالجسد بالنسبة لبرغسون مجرد ألة بإعتباره مادي و المادة هي حركة هبوط تنشأ عن تيار حيوي ،أما الحياة فهي حركة الصعود تعبر عن الديمومة الخلاقة .

فالطاقة الروحية عند برغسون تكمن في صميم الذات ، التي تحدث المعارف وفق صيرورة و ديمومة" كل المعطيات الخارجية للديمومة التي تثير الوعي .....و الكائن الحي يدوم جوهرا لأنه يثري الجديد عن طريق البحث" [3].

دعنا نعرج إلى أهم الفلاسفة العقلانيين التابعين لديكارت ،فقد ظل سبينوزا يطرح إشكالية الجسد من منطلق ديكارتي أي أن الإنسان روح و جسد ولكن بخلاف ديكارت فهما ليسا منفصلين بل صفتين لجوهر واحد و الجوهر الواحد في العالم هو الله أو الطبيعة و هذا الجوهر يحمل صفات لا نهائية .

و في هذا السياق هناك تواز ما بين النفس و الجسد مؤسس على وحدة ، إن الواحدية السبينوزية تسعى على هذا النحو لمصالحة الهوية مع الغيرية منطلقة من الوضوح الذي لا يمكن نكرانه، بأن الإنسان يفكر و هذا التفكير لا يأخذ مع ذلك كيفيات مختلفة فقط

1-هنري برغسون: الطاقة الروحية ،ت علي مقلد، مؤسسة مجد للدراسات و النشر، بيروت، 2006، ص31.

2-محمد سليمان حسن :دراسات في الفلسفة الأوربية ،دار علاء الدين ،دمشق ،1998 ،ط1 ،ص54-55.

3-H.Bergson la pense et le mouvant P U F Paris 1999 P100.

بحسب ما يتخيل الإنسان و يشعرو يرغب و يحب و يكره ،بل يأخذ كموضوع مفضل للجسم ، لأن التعبير الماهوي للجسد يتحقق بمدى قدرته على التعبير الناضج .

تكمن أصالة التصور السبينوزي بإعتبار الجسد هو الرابطة القوية الموثوقة بين الجسم و النفس فماهية النفس تكمن في قوتها و إدراكها للمعرفة ،و في قدرتها في إدراك عدد كبير من الأشياء ،و هكذا يقر سبينوزا بممهاة بين النفس و الجسد في مستوى القوة و الفعل و في مستوى الماهية و في المستوى الأنطولوجي ، و لكن الممهات السبينوزية تبقى رهينة التسليم بوحدة الوجود ، فقد بين في مؤلفاته الكبيرة (رسالة في اللاهوت و السياسة) و (الأخلاق) أهمية الجسد و الذي يثبت فيه وحدة جوهر الجسد و الروح بإستعمال الطريقة الهندسية الرياضية إنطلاقا من مبادئها المسلمات ، التعريفات ، القضايا ، ليصل إلى تصور يكون فيه الفكر و الإمتداد جوهرا واحدا لأنه لا يمكن تصور الفكر دون إمتداد و لاإمتداد دون فكر "إن النفس و الجسد شيء واحد نتصوره – جوهرا واحد – بصفة الفكر و صفة الإمتداد معا"[1] .

فماهية الجسد تتمثل في التفكير و المعرفة ومدى إدراكها لقوتها لكن عملية التفكير تفترض جسدا قادرا على التأثر بطرق مختلفة ،كما هو قادر على التأثير على الأجسام الخارجية و لن يتأتى ذلك إلا بقدرة النفس على تكوين معرفة واسعة و صحيحة بالأشياء ففاعلية الجسد تتأسس من خلال قابليته للتأثر بالأجسام الخارجية و التأثير فيها و قدرته على تنظيم إنفعالاته وفق نظام يدرك من خلاله الترابط بين نظام الأفكارو نظام الأشياء .

لقد أعاد سبينوزا قيمة الجسد من خلال مفاهيم غيبت و منها الشهوة، اللذة ، الرغبة ، الحب ، فعن طريق اللذة تكشف عن تجربة جديدة لجسدنا الذي يتحرك بمجموعة إحساسات و إنفعالات نفسية.

1-عبد القادر تومي :أعلام الفلسفة الغربية في العصر الحديث ،كنوز الحكمة الأبيار، الجزائر ، ط1- 2011،ص96 .

" إذ من حق الجسد أن يعمل بكل ما تدفعه الشهوة نحوه أي أن يعيش طليقا بقوانين الشهوة أيضا"[1] .و إنطلاقا من هذا فيجب الإفساح عن الرغبات و الشهوات بإعتبارها تبين قدرة الإنسان و مد ى إستمراريته على تخطي الفعل بدافع القدرة .

إن الحق الطبيعي بالنسبة للإنسان يتحدد حسب الرغبة و القدرة لا حسب العقل السليم ،بل على العكس يولد الجميع في حالة الجهل المطلق و حتى يتمكنوا من معرفة النموذج الصحيح للحياة ، يكون الجزء الأكبر من حياتهم قد إنقضت لذلك يكونون مضطرين لأن يعتمدوا بقدر إستطاعتهم على حالتهم الراهنة و أن يخضعوا لدوافع الشهوة وحدها فالرغبة هي بمثابة الشهوة الواعية بذاتها قصد القيام بأعمال تحافظ من خلاله على وجودها .

لقد تناول سبينوزا طبيعة الإنسان وطبيعة وأصل المعرفة الإنسانية ،فقد أسس نظرية حول العقل والجسد في مقابل نظرية ديكارت والتي تعد بحق قفزة نوعية في تاريخ الفكر الفلسفي ، فسبينوزا قد تأثر بفلسفة أرسطو حول الصورة و المادة و إتحادهما بحيث يكون العقل هو الصورة و الجسد هو المادة بمعنى التوازي الكامل بين العقل والجسد جوهر واحد .

عندما يتحدث سبينوزا عن الإنسان من حيث كونه عقلا و جسدا هنا تتضح نظريته حول الفكر و الإمتداد بمعنى أنه فكر و إمتداد على المستوى الأنطولوجي، و هذا ما يستلزم إدراكهما على المستوى الإبستمولوجي ولفهم علاقة النفس بالجسد ينبغى أن ندرك أمهات الحقائق وهي حقيقة ا لله ،فالله في نظر سبينوزا سبب لذاته وهو لامتناهي بإعتباره مكون من عدد لامتناه من الصفات، فهو جوهر وحيد وعلة ذاته والإنسان لا يدرك إلا صفتين هما الإمتداد و الفكر.

1-باروخ سبينوزا :رسالة في اللاهوت و السياسة ،ت حسن حنفي دار التنوير ،بيروت ،2005 ،ط1 ، ص368.

فالإنسان له علاقة بين ضربين موازيين لهاتين الصفتين أي ضرب الروح و ضرب الجسد، لذا قوة الجسد هي عينها قوة الروح وضعف للجسد هو بذاته ضعف للروح فماهية النفس تعرف بمدى قدرتها على إدراك عدد كبير من الأشياء و لاسيما إذا كان جسمها قادرا على التهيؤ بعدد أكبر من الأوجه ، يمكن القول أن سبينوزا قد نظر إلى الجسد نظرة جديدة و بالتالي فقد أعاده إلى الحضور الفلسفي من خلال إحيائه و تجسيده لمفهوم الحب و اللذة كتأصيل له ،" السبب الذي أنتج هذا الحب الجسدي هي النفس "[1].

أما في الفكر المعاصر فإعتبر الجسد بمثابة أحد الميكانيزمات الجوهرية لتعبير الذات عن إنيتها ، إذ أنه عن طريق جسدي أفهم غيري ، مثلما عن طريق جسدي أدرك الأشياء فالجسد هو ما يجعل الذات ذاتا موضوعا، و من بين أهم التصورات الفكرية التي شهدتها العقود القليلة الأخيرة ميلاد حقل واسع يهتم بالجسد و يعيد له الإعتبار .

فمع نهاية الفكر السبينوزي الذي مهد للفكر الجديد تمثل في الفلسفة الألمانية بدايته مع الفلسفة الكانطية ، و التي بقيت وفية للذات الديكارتية المتعالية ، و لكن البعد الأنطولوجي للذات المتعالية سيأخذ بظهور حركة الحداثة مع هيغل بالأبعاد الأكثر تجريدا و شمولية .

ليصبح الجسد أكثر من مجرد ألة بل هو منبع النوازع و الرغبات الممكنة ، هنا كانت لحظة موت الثنائية و ولادة الجسد كذات مع الفيلسوف الألماني فريرديريك نيتشه.

لقد كتب نيتشه ضد الراهن ،ضد الميتافيزيقا ، لقد عمل على قلب الأفلاطونية بإعتبارها

1-chantal jacquet et les autres, spinoza philosophie de l’amour, Pu.f, 2005, p42.

فلسفة تكرس الحاضر و تدافع على قيم جامدة و ثابتة تدعي الخلود الدائم "إن أفلاطون نفسه يتسم بكونه أول هجين كبير، و هذا مدون في شخصيته كما في فلسفته ، إن نظريته حول المثل تحمل عناصر سقراطية و فيثاغورية و هيرقليطية لذلك فهو لا يمثل نموذجا صافيا"[1] .

ساهم نيتشه في إحداث إنقلاب في المنظور إلى الجسد والروح بالنسبة لما كان عليه التقليد الفلسفي الذي كان يرى في هذه الروح حقيقة أكثر سموا من الجسد والذي كان ينظر إلى الجسد كما لو أنه يكبل الإنسان بأغلال من الرغبات والشهوات ،إن مطرقة الفلسفة النيتشوية قد هدمت المفهوم المختزل للوجود الانساني في الجانب الفكري الروحي الذي حاول سقراط أن يرسخه في التركيبة الذهنية الآثينية "الجسد الروح "من خلال الإدراك الذاتي للفكر و الذي لا يتحقق إلا بالجسد ،فالوعي بالكينونة هو وعي بالجسد بل هو الجسد بعينه .

لقد فقدت الفلسفة مبررها فكان لزاما على إنسان الحداثة التخلص من المفاهيم الخرافية و طردها بنفس "العبارات تقريبا التي إستعملها أفلاطون ليطرد شعراء المأساة من مدينته"[2] و هنا يصبح مشروع إشكالية الجسد و تأصيله بمثابة إكتشاف متعال يترفع عن الترهات و المعتقدات التي تختزله في مجرد الجنس ، الشهوة ، العبودية .

فالمعرفة الإنسانية الكلاسيكية كانت تنظر إلى هذا الموضوع من زاوية الفصل التام بين الروح و الجسد . و لكن دهشته إزاء الجسد هي أكثر عمقا من دهشته إيزاء العدم ، فالجسد بالنسبة إليه موطن معنى، و مكان ولادة كما أنه أداة للدلالة التعبيرية عن السلوك.

1-فريدريك نيتشه : الفلسفة في العصر المأسوي الإغريقي، ت سهيل القش ،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ،بيروت ،1983 ،ط2 ،ص43.

2-المرجع نفسه ،ص 45.

لقد حاول نيتشه قتل الميتافيزيقا " تكاد القضايا الفلسفية اليوم تتخذ نفس الصيغة التساؤلية التي إتخذتها منذ ألفي سنة ، كيف يمكن أن يتولد شيء ما من نقيضه مثلا : كأن يتولد العقل من اللامعقول و المحسوس من الجامد،المنطق من اللامنطق....."[1]

لقد تلاقت الفلسفة الميتافيزيقية حتى الأن هذه الصعوبات بإنكارها قدرة الواحد على إنتاج الأخر و بإقرارها بأن الأشياء و التي تعد سامية أصلا خارقا ينبع مباشرة من صميم الجوهر (الواقع المطلق).

فلم يحافظ نيتشه على الإرث الفلسفي بل وضع رؤى و تصورات جديدة للوعي و الأخلاق ،بل حتى الميتافيزيقا و الفن و لهذا يكون نيتشه قد قضى على الفكر الديالكتيكي الثنائي "التقسيم الخاطئ كليا بين الروح و الجسد ذلك التقسيم الذي يرزح منذ أفلاطون بشكل رئيسي كلعنة على الفلسفة"[2] .

إن تصور النيتشوي للجسد هو بداية تدشين للجسد القوي هذا الجسد الذي يفكر في الفكر دون أن يفكر به الفكر "إن مفهوم القوة لدى نيتشه هو إذا مفهوم قوة تتعلق بقوة أخرى و بهذا المظهر تسمى القوة إرادة ، إن الإرادة (إرادة القوة) هي عنصر القوة التفاضلي "[3] .

و يقول أيضا "أصغوا أيها الإخوان إلى صوت الجسم السليم إنه صوت أكثر نقاء و عدالة ، فحديث أعدل و أنقى ...فهو يخص معنى الأرض ....فوراء أفكارك يختفي سيد قوي "[4].

1-فريدريك نيتشه :إنسان مفرط في إنسانيته كتاب العقول الحرة ،ت محمد الناجي افريقيا الشرق ،ج1 2002 ،ص 20.

2-فريدريك نيتشه : الفلسفة في العصر المأسوي ـمرجع سبق ذكره ـ ص 73.

3-جيل دولوز: نيتشه و الفلسفة :ت أسامة الحاج المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع، بيروت ، لبنان ،ط،1،1993 ،ص12.

4-Grandillac : nitzstch ainsi parlait zarthoustra, Trd maurise de ,Gallimard paris ,1969, p44-

لقد نشأت الفلسفة الزرادشتية كلحظة إحتضار للروح و إنزاله من برجها العالي التي كانت تحتضنه لقرون " فيما مضى كانت الروح تنظر إلى الجسد بإحتقار لا نظير له كانت تريده نحيفا و جائعاو كانت تظن أنها بذلك ستتخلص منه و من الأرض "[1].

لقد سمى الجسد بالعقل الكبير في مقابل العقل المجرد عند هيغل مثلا " هذا العقل يشبه كائن فوق طبيعي ، هل العقل يستحق التأليه (لأنه كامل) و أن نعتبره كنتاج فوق طبيعي للمخ "[2].

" الرجل الممتاز هو صاحب " العقل الحر" و العقل الحر ليس معناه الفوضى في التفكير و العاطفية في حرية الإعتقاد، و إنما معناه التخلص من كل المعاني السابقة الموروثة و التحرر من سيطرة الأفكار السابقة الأتية عن الوسط أو العصر أو التراث الروحي الإنساني " [3] .

فالإنسانية في نظر نيتشه تعيش على عبادة الأصنام ـ أصنام في الأخلاق، أصنام في السياسة ، أصنام في الفلسفة ، أصنام فهم الحقيقة و الإيمان " فالحقيقة و الإيمان بحقيقة الأمر ، هما عالمان متضادان و متعاكسان إحداهما عن الأخرى ، شبه عالمين متعاكسين ، يقصد كل منهما طريقين مختلفين بالكلية و المعرفة هذا كان تقريبا خلاصة الحكمة في الشرق و هكذا فهمت البراهمة، و هكذا فهمه أفلاطون و كل تلامذته المعرفة الباطنية "[4] .

لقد عمل فيلسوف المطرقة على محاربة الأوثان و عمل على أفول الأ صنام ، فحارب الأفكار الميتافيزيقية و اللاهوتية العدمية التي تحارب الحياة و تميت الجسد، لقد فرض

1-فريدريك نيتشه : هكذا تكلم زرادشت، ت محمد ناجي إفريقيا شرق ،2006 ،ص14.

2-Nietzshe : livre de philosophié ,Trd signa, paris ,1991, p 73.

3- نيتشه خلاصة الفكر الأوربي :ت عبد الرحمان بدوي وكالة المطبوعات ،الكويت ،1975، ط5 ، ص166.

4- يتشه عدو المسيح :ت جورج مخائيل ديب، دار الحوار، ط2 ،د ت ،ص68

نقطة إنطلاق جديدة على الفلسفة أو بالأحرى المقولات المادية التقليدية، و التي غيبت الجسد فبدل الإنطلاق من النفس و الوعي ينبغي إتخاذ منهج مغاير و هو الإنطلاق من الجسم الحي .

فالجسم في التصور النيتشوي يفكر بمعنى الفكر يقوم في الجسم ، فالتاريخ في نظر نيتشه شارك بطريقة أو بأخرى في قتل الجسد " بالأفكار المفارقة للطبيعة ، و أن كل ما كان مضادا للطبيعة أصبح و كأنه شيء أتى من فوق " [1] .

لقد عمل فيلسوف الجينيالوجياعلى تعرية الأصول الكلاسيكية من أجل هدم و تجاوز الحقائق المزيفة ، إن منهج الفهم الذي يعتمده نيتشه في التأويل يعيد إكتشاف التاريخ المنسي و يعيد ترتيب سلم القيم خارج الإطار الموروث ." إن كان الثوري يريد تحسين الإنسانية فالثورة قتلت الإنسان "[2].

" فالتأويل يكون بتنامي قوة الرؤية و البصيرة الروحية ، ينمو البعد و على نحو ما الفضاء المحيط بالإنسان عالمه يزداد عمقا ، وتحوم أفكار جديدة و ألغاز و صور جديدة تحضر أبدا في أفق نظره"[3].

إن الرؤية النيتشوية تعد بمثابة صدمة أو رجة كبيرة أعادت تأثيث الرؤية بالجسد " إن مهمة الجينيالوجي كمنهج نقدي ، هي تعرية التأويلات من هذه الأقنعة ، و تمزيق كل الحجب التي وراءها الزيف بإتجاه كف الذات عن إنتاج الوهم و أسطورة التعالي و الحقيقة " [4] .

1-Nietzsch : la volonté de la puissance, Trd H Albert, p197.

2- بيير بودو : نيتشه مفتتا، ت أسامة الحاج المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، 1996، ط1، ص51.

3-فردريك نيتشه :ما وراء الخير و الشر، ت جيزيلا فالور حجار ، دار الفارابيبيروت ،لبنان ، ط1،2003 ،ص 89.

4- فردريك نيتشه : نيتشه و مهمة الفلسفة، ت: عبد الرزاق بلعقروز، منشورات الإختلاف، 2010، ط1، ص59

من التأثير النيتشوي الكبير تأتي صياغة جديدة منفردة و متفردة للجسد و هي إستحضار المدرسة الفينومولوجية مع ميرلوبوينتي و تنظيرها للواحدية، لقد غيرت الفينومينولوجيا التصور الفلسفي للجسد، و هذا بطرحها لنموذج قصداني يجعل من الجسد أداة للتعبير و الوجود ، فميرلوبوينتي يؤكد أن الجسم يملك قصديته الخاصة، فلكل فرد هو جسمه الخاص " أنالست أمام جسمي ، أنا في جسمي و بالأحرى أنا جسمي ".[1]

يبدو النتاج الإدراكي ينطلق من الوعي بالجسد و قصديته أو هي القصدية شرط التلاحم بين الوعي و الفعل ، و الإنخراط في حركة الوجود بوصفه تواصلا معه ، إذا لن يجد هذا العالم حضورا إلا بتواصله الملتحم بالجسد و العالم الأخر، فالجسد هو العنصر الذي يطبع بطابع الوجود أينما كان فهوليس واقعة من الوقائع بل هو مؤسس الكائن الإنساني " الجسد بهذا المعنى متميز عن الجسم في نقطة لقاء بين النظام الألي للطبيعة و الحرية المبدعة "[2].

لقد إهتم ميرلوبوينتي بفكرة الجسد من كل النواحي الفينومينولوجية الوجودية و النفسية السلوكية ، و تعمق بدراسة السلوك و علاقته بالتفكير و الإبداع ،إن الجسد بعمقه الدلالي يمثل وسيلة تعبيرية تخرج الذات من ذاتها و تظهرها إلى العالم بأنساق و تمثلات متنوعة ودلالات لغوية كانت أو فنية يقول ميرلوبونتي " نحن لسنا وعيا فقط أو موضوعا فقط بل نحن وعي و موضوع ما و كل ما فينا نفس و جسد معا " [3] .

1-merlou ponty : la phénomenologie à la perception ,, gallimard ,1945, p22.

2- I Bid , p268-267

3- سمبة بيدوع : فلسفة الجسد ـمرجع سبق ذكره ـ ص 28 .

لهذا ظل الجسد بتمثلاته قلبا نابضا للوجود الإنساني من خلال تماهيه مع النفس و هذا ما أكدته الفلسفة الفينومينولوجية مع موريس ميرلوبونتى الذي تجاوز الطرح الديكارتي ليحول كوجيتو الفكر الى كوجيتو الجسد.

فالجسد يرتبط إرتباطا بالإدراك الواعي كما أنه منبع الدخول في الحظيرة الانسانية لبناء شخصية فعالة، فالجسد يشكل مدخلا لبناء الشخصية ووسيلة للتواصل الإجتماعي لأن الوجود في العالم يكون إنطلاقا من الوعي بالجسد بصفته جسد فعال، و الذي يتم إدراكه عن طريق رؤية العين للعالم ، حيث يكون هذا الإدراك مرتبط بمجموعة من الإدراكات و التعبيرات و الأفعال الجسدية بمعنى تعبيرية الجسد البشري و ما يحمله من وظائف ليكون موطن ولادة و موطن معنى.

فالأجساد ليست مستقلة عنا بل تحتوينا و تعبر عن أنفسنا لأنني ببساطة أنا جسدي كما فرق بين الأجسام الطبيعية و الأجسام المتعالية بوعيها ، فالجسد وحده الذي يوفر لي إحساسا بالحركة ، إذ يسمح لي هذا الإحساس بإدراك حركة الجسم إدراكا مباشرا و كليا ، فالجسد يجسد الإدراك و التعبير و حضور أمام العالم والأخرين " كل إدراك خارجي مباشرة مرادف لإدراك ثابت لجسدي ، حيث أن كل إدراك لجسدي يطبق عليه لغة كوجيتو الجسد إلا كوجيتو الإدراك"[1].

إن تجربة الجسد الخاص أو الفينومينولوجي هي تجربة المعيش، تجربة الوجود في العالم بغموضها و إلتباسها ، و الإلتباس يتجلى في المقارنة فمن جهة يختلف الجسد عن الأشياء إلا أنه أيضا هو شيء من الأشياء ، يقول ميرلوبونتي " إني أرى أن الجسد هو موجود ذو مظهرين فمن جهة هو شئ ، ومن جهة أخرى هو شيء من الأشياء و من جهة أخرى هو الذي يرى و يلمس "[2] .

1-merlou ponty :le visible et l’invisible ,o p cit p180

2-merlou ponty :le visible et l’invisible ,o p cit p180

"وجسدي ليس شيئا معروضا ليشاهد و هو غير مباشر أمامي .. ففي هذه اللحظة يمكنني فقـط أن أستعيـن بالمـرآة لرؤية جسدي .. لذلك يبقى الجسد معي دوما أشعر بإستمراريته "[1] .

هكذا يتحول الجسد من علاقة جسدي و الوعي الذاتي بإعتباره مؤسس الوجود الذي يكون وسيلة لفهم و تأويل الأشياء و وسيلة أيضا للتواصل مع الأخرين (الجسد و الأخر)، إذ هناك تقاطع بين جسدي و جسد الأخر ، فالجسد يعتبر في نظر ميرلوبوينتي قوام الوجود ، بدليل أن العلاقة بين الوعي و الجسد علاقة تحايث .

فالذات الإنسانية تقوم بعدة وظائف من حركة رؤية ، جنس...إلخ فإنه يصبح وسيطا يحقق الإنسان وجوده في العالم . بالنظر إلى قيمة الجسد في الوجود.

الجسد لم يعد ذلك الكيان الذي يشكو من الدنس و الإحتقار ، أو ذلك الكيان المرتبط بالغريزة و العقد لأنه أدنى مرتبة إذا قورن بالروح ، بل أضحى حافلا بالمعاني الرمزية التي تتوارى خلف الحضور المادي ، فكلما تطور تاريخ الفكر الفلسفي إتسعت الأفاق الدلالاية لفهم ماهية الجسد.

ليشكل مفهوم الجسد منعطفا فكريا وفلسفيا باعتباره مركزا للوجود و ظاهرة تتحدد بذاتها لا بغيرها ومع ذلك لم يتجاوز حدود الثنائية خاصة مع الفلسفة اليونانية و العقلية و لكن لم تبقى هذه النظرة الدونية للجسد قائمة بل تجاوزها التصور الفينومينولوجى ليصبح الجسد كدلالة ومعنى يرتبط ارتباطا وثيقا بفكرة الحداثة و الثقافة أى مرادف لمفهوم الذات و الهوية مما أفضى إلى دمج هذا المفهوم و التعالي من خلال إحتكاره لجل الدراسات السيكولوجية و الأنثروبولوجية وحتى البيولوجية .

فالجسد الخالص بالنسبة لميرلوبونتي في كتابه الأخير الظاهر و المختفي ليس فكرة

1-merlou ponty : signes ,o p cit p210

لوعي دائم و ليس شيئا و لكنه منبع إحساسات دائمة ويعتبر الظاهر و المختفي فلسفة للكائن الخام كثافة المادة الجسدية التي تجعله يرى الأشياء و يقترب منها و لكنه لا يتماهى معها و هذه المادة عند ميرلوبونتي ليست ذات الطابع المادي بل هي تقوقع المنظور على الجسد الرائي .

فنحن اليوم في مسيس الحاجة للإعتراف بالجسد و أبعاده النفسية و الاجتماعية باعتباره بنية ثابتة تتأسس على معرفة البنى الثقافية للمجتمع فالجسد عند فوكو هو الموضوع الرئيسي لعصب السلطة فالجسد لا يصبح قوة نافعة إلا اذا كان جسدا منتجا إجتماعيا من خلال نظم المعرفة و السلطة فمن غير الممكن التفكير بالجسد بمعزل عن الذات الإنسانية و تأثيره على البنى الاجتماعية من النمط الفردي .
حاول فوكو تسليط الضوء على كل من السلطة ،المعرفة ،الجنس، التاريخ إذ لم يخرج بها عن نسق الحفريات أي حفريات المعرفة و ذلك بمحاولة "أبستمة" القيم الانسانية على مقاييس علمية لذلك كان الجسد هو الرهان الأكبر لكل سلطة حيوية .

و بذلك فقد أعاد الإعتبار للجسد من خلال أطروحاته النظرية و المنهجية و نقده بشدة للإرث الديكارتي الذي يعتبر الذات أساس المعرفة على إعتبار أن الفكر مستقل تماما عن الجسد، و ترتب على ذلك تعزيز مكانة الروح على حساب الجسد لقد كانت كل هذه القضايا هي نقطة انطلاق فوكو في تحليل الجسد بدءا بتفكيك هذه الثنائية و تأكيده على الترابط العضوي بين الجسد و الروح " إذن ماهو العنصر الذي ستعمل الجسد بالفعل و يستعمل أجزاء الجسد و أعضاء الجسد باعتبارها وسائل و بالتالي سيستعمل اللغة؟ جيد إنه الروح و لا يمكن إلا أن يكون الروح إذن أن موضوع جميع الحركات الجسمية و الأداتية و اللغوية هو الروح " [1] .

---

1 ميشال فوكو: تأويل الذات دروس ألقيت في الكوليج دوفرانس سنة 1981 1986، ت الزواوي بغورة ،دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 2011، ص 60.

هذا يبين مدى تأثره بالمدرسة الفينومينولوجية وذلك من خلال هيدغر و ميرلوبونتي ليقدم مفهوما للتأويل ولكنه ينتقل من "تأويل العالم "إلى "تأويل التأويل" أو "تأويل المؤول" فعملية الإنتاج الفكري تتأسس من خلال منظومة المعرفة و السلطة وهذا بتقديم تحليل علمي للجسد وفق منهجيات جديدة ،حيث فكك الأليات التي كانت تستعبد الجسد .

"يقال لنا إن القمع إذا كان هو الأسلوب الأساسي منذ العصر الكلاسيكي للربط بين السلطة والمعرفة و الجنسانية ، فإنه لا يمكننا أن نتحرر منه إلا بأداء ثمن باهض فلا ينبغي القيام من أجل ذلك بأقل من خرق للقوانين و رفع للمحظورات و إقتحام للكلمة و إرجاع المتعة إلى الواقع و إقتصاد جديد في آليات السلطة " [1] .

و الحقيقة أن فوكو قد تأثر برؤى نيتشه حول الجسد، خاصة إستعارته لمفهوم الجينيالوجيا التي أصبحت تحتل المرتبة الأولى في سلم إهتماماته كما يصفها بأنها شكل من التاريخ يفسر كيفية تشكل المعرفة و الخطاب دون الرجوع الى الذات، و في سياق تحليل الجسد من منظور جينيالوجي ينطلق فوكو من العلاقة بين السلطة و المعرفة و الجسد ، وما يهم فوكو من المعرفة تحليل تقنياتها المرتبطة بالواقع الإنساني و الاجتماعي و الثقافي في العلم و الصحة الأسواق و المبادلات الإدارة الثقافة الحياة الجنسية التربية التي منذ تزايد غسق السيطرة الحسابية و الأداتية عليها أصبحت محض تكنولوجيا تنتج منطق حقائق للسيطرة و الوصاية يتم تدبيرها بغاية التحكم في مجمل حياة الانسان الاقتصادية السياسية و الثقافية " [2] . و بالتالي فمهمة الجينيالوجى تتأتى من خلال مراقبة الجسد و تطويعه و كيفية إدخاله في الخطاب السياسي كتمثيل للسلطة،و كيف تمارس السلطة على الجسد في المؤسسات المختلفة كالسجن و المدرسة ليتم بناء الجسد إجتماعيا و هذا بإستحضار الأخر .

1-ميشال فوكو: تاريخ الجنسانية 1 إرادة العرفان، ت محمد هشام افريقيا الشرق ، المغرب، 2004 ، ص 7 .

2-حسن المصدق: البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة و معرفة السلطة ، جريدة العرب الدولية لندن ، العدد 11 الخميس 26 /2007/07 .

و بالتالي فالجسد حامل لهوية فردانية و هوية غيرية في نفس الوقت، يعيش الجسد إذن شمولية مكوناته بفضل تضافر أثار التربية و تقمص كل الهويات الأخرى المؤثرة التي تجعل الفاعل يستوعب تصرفات محيطه، لكن إستيعاب طرق التواصل الجسدي في علاقة الفرد بالعالم لا تنحصر في مرحلة الطفولة بقدر ما يستمر طيلة الحياة حسب المتغيرات و المستجدات الاجتماعية و الثقافية التي تفرض نفسها على أسلوب العيش و حسب الأدوار المتعددة التي يجب عليه أن يلعبها في مجرى حياته .

لقد عارض كل من فوكو و ميرلوبونتي التصور الأكاديمي السائد حول الجسد بإعتباره نظاما فيسيولوجيا مغلقا على ذاته، ليصبح الجسد رمز يعبر عن المخزون الثقافي بإعتباره حاملا للإشارات و السلوكيات.

لقد كان فوكو منشغلا على مدار تحليلاته بالكشف عما يكبل الجسد و يقيده، لأن في ذلك تكبيل للعقل و هذا بتقديمه لتحليل علمي يرسخ منهجيات فكره حيث فكك الآليات و النظم المتعددة التي ساهمت في إخضاع الجسد، ليصبح من أهم الوسائط التي تم إستخدامها لممارسة و تمرير السلطة من خلال حرص السلطة على إمتلاك جسد الأخر.

أي تغيير تقنية السلطة من خلال تغيير طبيعة التعامل مع الجسد و جعله مصدرا للتدبير و التطويع و الإنتاج، ليشكل الجنس باعتباره مظهرا من مظاهر فعالية الجسد رهانا سياسيا يتموقع بين التشريح السياسي و البيولوجيا السياسية ،فالتشريح السياسي للجسد يقصد به العمل على تدجين الجسد و ترويضه و هذا من خلال سن قوانين تعمل على كبح و ضبط جماح الجسد و تنميته في أنساق رقابة السلطة .

أما البيولوجيا السياسية فقد إعتبره بمثابة مرتكز لعمليات بيولوجية ، لأنها ترتبط بتنظيم أليات البشرية بتقنيات و أدوات علمية ،وهذا من خلال التدابير الإدارية و الإجراءات العملية إستعارتها السياسة من البيولوجيا و الرياضيات و علم الإحصاء و هذا للإهتمام بصحة وعمران و تعليم المجتمعات من خلال الإهتمام بعدد الولادات و الوفيات و مستوى الصحة .

"العلاقات بالجسد مع مسألة الصحة ، العلاقة بالجنس الأخر مع مسألة الزوجة كشريكة متميزة في لعبة المؤسسة الأسرية ،و الرباط الذي تخلقه " [1] ، كل هذا من خلال رقابة سياسية يسميها فوكو السياسة البيولوجية للسكان، لقد قدم فوكو تحليلا علميا للجسد وفق منهجيات جديدة و متجددة حيث فكك النظم و الآليات التي ساهمت في إخضاع الجسد .

1- ميشال فوكو: تاريخ الجنسانية 2ـ إستعمال المتع ـت محمد هشام إفريقيا الشرق، المغرب، 2004، ص24 .

الفصـل الثـانـــي :

الجسد فـي مـواجهة الذات عند فرويد .

المبحث الأول :

بنيوية الجسد في التحليل النفسي الفرويدي.

المبحث الثـاني :

الجسد الأتوبيوغرافي و الغريزة الجنسية .

المبحث الأول :

بنيوية الجسد في التحليل النفسي الفرويدي.

بنيويــة الجسد في التحليل النفسي الفرويدي

إن إشكالية الجسد في نسقها اللاشعوري لم يسبق تناوله بالطريقة التي تناولها فرويد فالتركيز الفلسفي و السيكولوجي كان يعنى بالأنا و تحولاته المستمرة ، و من هذا المنطلق وضع فرويد الأسس البنيوية* التي يرتكز عليها مفهوم الجسد، و هو كون الإنسان منشطرا على نفسه في قسم لاشعوري و أخر شعوري "إن الصيرورات في التحليل النفسي المثيرة للإستهجان في أغلب الأحيان هي في جوهرها لاشعوريةّ،وأما الشعورية منها فلا تعدو أن تكون أفعالا منعزلة"[1] .

حيث يتكون الشعور من الظواهر الحاضرة فورا في أذهاننا وهو ينفي أن تكون الشعورية ماهية لما هو نفسي، و على العكس من ذلك فما هو نفسي أي لاشعوري لا يمكن أن يكون شعوريا إلا اذا رفعنا الشروط الخاصة، كالرقابة، و الكبت، و هذا الإنشطـار ليس حدا فاصلا يحول دون معرفة الأول للثاني و إنما هو ترابط ضمن بنية يرتكز إليها .

فالذات منشقة على نفسها منذ أن بدأ الإنسان بتكوين دلالات لفظية ، فهي منذ البداية موطن رفض لكل ما هو مخالف لواقع معين ، بل السجل التاريخي للذات يكشف عن النزوات العميقة الجذور من حلم و هفوات، و أمراض عصابية ليدخل التحليل النفسي السلسلة الدالة عليه كوسيلة لمعرفة بنيوية الجسد.

فما يحرك الجسد في الداخل هو المجهول في حد ذاته ، و هو النقص للوجود الذي ما برح يبحث عنه و ما فتئ بالتلاشي، و هذا بمجرد التركيز على الذات و إكتشاف نرجسيتها ، فهذا الوجود هو نقصان في حد ذاته ، منذ أن دخل في عقدة أوديب .

---

* التحليل النفسي ليس تركيبة بنيوية على غرار ما هو متعامل في العلوم الفيزيائية و الرياضية، إنما هو عملية فن يكشف في طياته عن حقيقة الذات و إرتباطها التاريخي.

1- سيغموند فرويد :مدخل إلى التحليل النفسي، ت جورج طرابيشي ،دار الطليعة للطباعة و النشر ،بيروت، ص 20.

إن عقدة أوديب هي مشكلة غرائز متداخلة فيما بينها، قوية تشكل الحياة النفسية عند الطفل بين ثلاث و خمس سنوات، و هي تعتبر بشكل صوري نوعا من المزيج ، مركب من رغبات حب الولد لوالديه من الجنس المعاكس، ومن جهة أخرى من عدوانية ورغبة فى الموت نحو أحد الوالدين من الجنس نفسه، أي جنس الطفل، و للعقدة أشكال منها عقدة أوديب و عقدة إلكترا .

و إعتقاد فرويد أن الناس يمرون بهذه العقدة مهما كانت حضارتهم التي ينتمون إليها لأنها تلعب دورا أساسيا في بناء الحياة الإنفعالية، و على كل فرد محاولة حل عقدته و هنا تتميز الشخصية و تظهر، فإذا كبتت و لم تحل فقد تسبب إضطرابات فى السلوك.

" إن نظرية فرويد هي وصف أمين للتجارب الحقيقية التي وجدها خلال بحثه عن العقدة بما أن هذه النظرية لا يمكن أن تظهر إلا بالحوار، فإن تحضير المفاهيم يبقى متأثرا بعقد الشريكين على حد سواء، لايمكن لأي عالم نفساني إلا أن يكون في حالة يقوم بها بتجريد عقده الخاصة "[1].

إن القيمة الإبستيمولوجية للثورة التي أحدثها فرويد كانت مبنية على تمتيع الجسد بكل أبعاده السيكولوجية ، مع تحقيق قطيعة أولى مع الذات النرجسية على إعتبار أن فعالية الجسد و دلالاته الإنسانية و الثقافية و الحضارية و حتى الجنسية غير مكتملة الإشباع ، أما القطيعة الثانية كانت بهدم الإعتقاد الجازم بأن الوعي هو سيد الجسد .

ففرويد نظريته تأسست على قوة اللاوعي كبناء مرجعي لليبيدو (قوة الرغبة و صانع المعتقد و الفن و الإبداع).

1- روجيه موكيالي :العقد النفسية، ت موريس شربل منشورات عويدات، بيروت ،باريس، ط 1 - 1988، ص 22.

فاللاوعي هو الجزء الهام من الجسد يحتوي على مجموع الميول و الغرائز و الرغبات و القوى النفسية و الباطنية التي تحاول التعبير عن نفسها بشتى الوسائل .

"من المسلم به في نظرية التحليل النفسي أن سير العمليات النفسية ينتظم إنتظاما أليا وفق مبدأ اللذة ونحن نذهب في عبارة أخرى إلى أن ما تبدأ منه أية عملية نفسية مهما إختلفت الظروف ، إنما هي حال من التوتر الكريه المؤلم و من ثمة تتخذ لنفسها تلك العملية سبيلا يؤدي أخر الأمر إلى نقص هذا التوتر و التخفيف منه"[1] .

و هنا يبدأ دور التحليل النفسي الوثيق بالذات المتكلمة ، من حيث أن طاحونة الكلام كما يسميها فرويد لا تتوقف عن تصدير معان تعبر عن كينونة الأنا في صيغ متطورة ، حيث بدأ فرويد بتطهير التحليل النفسي من الرواسب البيولوجية و الفيزيولوجية مع إبقائه على مدى فهم بنية الجسد البيولوجي من أجل إعطاء نتائج تعود بالنفع على الذات .
و هذا بنقله إلى حقل الفكر القائم على الترميز و التأويل عبر سلسلة الدلالات " وهنا يتسائل فرويد هل هناك تناقض بين التحليل النفسي و الطب النفسي ؟ لا تناقض بينهما فكل منهما يكمل الأخر ، فالطب يدرس الخلايا و كيفية التشريح لمعرفة هيكل الجسد و لكن من الخطأ إبعاد التحليل النفسي و معرفة الحياة النفسية الداخلية ، فالطب النفسي يفترض حقا معرفة جيدة بخبايا اللاوعي "[2] .

إن البنيوية النفسانية للذات تطرح من زاويتين :

الأولى اللاشعور و الثانية عقدة الخصاء ،لقد تم إكتشاف عقدة الخصاء ووضعها من قبل فرويد من خلال أبحاثه سنة "1908" بمناسبة تصوراته لحالة هانز الصغير المختلفة لتصبح عقدة الخصاء مرادفة لعقدة أوديب .

1- سيغموند فرويد :ما فوق مبدأ اللذة ، ت إسحاق رمزي، دار المعارف، بيروت ، ط 5 ،ص 23

2-S.Freud : introduction à la psychanalyse, tome 2 ,Trd: jankélévitch ,1921, p15.

يعتقد فرويد أن جميع الظواهر النفسية سواء كانت شعورية أو لاشعورية أكانت مرضية أو سوية فهي تصدر عن قوة دينامية تنبعث عن التركيب الكيميائى البيولوجى للانسان، و تدعى هذه القوى بالغرائز و قد نشر فرويد جميع الظواهر النفسية كإفتراض لوجود غريزتين :

- الأولى الغريزة الجنسية و التي تصدر عن طاقة الليبيدو*، وقد وجد فرويد أن الغريزة الجنسية هي المحرك الأساسي للسلوك الإنسانى ومع ذلك" فقد أعطى فرويد تلك الغريزة كثيرا من الجوانب التي تعارفنا على تسميتها بالجوانب الإجتماعية " [1] .

- أما الغريزة الثانية فهي غريزة الأنا و هدفها حفظ الذات و ذلك بمراعاة الواقع و تبدلاته ،أما عقدة الخصاء فلها دور هام و رئيسى فى التغيرات الليبيدية عن أهدافها فهي بمثابة المنعرج الهام في حياة الطفل و تكوينه الجسدي ، لما لها من وظيفة تنسيقية و صحية في نشاطه أو خموله، لقد أهتم فرويد في كتابه المعروف تفسير الأحلام بهاته العقدة وذكر العديد من الأحلام التي تشير إليها .

و الواقع أنه رغم الفصل اللاشعوري بينهما فكلاهما يتم على غير علم من الذات ،و هي نتيجة معرفة ثانية لمعرفة أولى " لقد بلغ فهم إكتشافهما في التحليل النفسي إلى فرويد الحدسي اللاشعوري أقصى ما يمكن أن تبلغه البصيرة السيكولوجية ، كان قادرا على تتبع أكثر متاهاته تشابكا تلك التي ما كان يمكن لسواه أن يرتادها أو يجوس خلالها.....إذ أن كل خطوة تقود قدما نحو المناطق الخطيرة المظلمة من النفس البشرية" [2] .

---

*-الليبيدو كلمة لاتينية تعني التلذذ استنادا الى شهوة جنسية ، أما في مفهوم التحليل النفسي فهي طاقة نفسية ترتبط بالغريزة الجنسية و هذا ما اقره فرويد في كتاباته الاولى و لكن بعد إكتشاف غريزتي الموت و الحياة أصبحت تعني طاقة الحياة النفسية للكائن الحي.

1- أحمد عكاشة :فرويد حياته و تحليله النفسي ،مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت،دط ـ دت ، ص 32.

2- هانز ساكس :فرويد أستاذي و صديقي: ت سعد توفيق الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985،ص 77

ليس اللاشعور عند فرويد شيئا مجردا ، فارغا من المضمون لا يدرك بل له قيمة منهجية يبنى على تركيب ، فهو يحوي مضامين حية تشهد عن أصالة الحياة النفسية و تميزها نوعا و محتوى .

فهو ينطلق من أي مظهر لحالة اللاشعور ، إنما تمثل فعلا قيما للجسد و هذا من خلال التقسيم الهرمي و يذهب في تحليله لطابع الجسد ضمن أطر الطب النفسي (نظرية سيكولوجية شاملة عن الإنسان).

لقد قام فرويد بدراسة العناصر الطبيعية و السيكولوجية للذات الإنسانية ، و الكشف عن ميوله النفسي و عالمه الداخلي من خلال فهم أليات الذات و ميكانيزماتها .

"إن الهدف الأسمى للحياة في هذا العالم هو فهم طبيعتها، و لكن بالتأكيد هذا الطرح من أصعب الإشكاليات ، فقد فصلوا ببطء الروح عن الجسد ، يجب النظر في كل ما يحدث في هذا العالم"[1] دون إهمال التحولات الثقافية و الإجتماعية لتكوين حياة الإنسان النفسية و ردود فعله مكونا بذلك منهجا علميا في الدراسة التحليلية النفسية للإنسان ألا و هو منهج التحليل النفسي .

لذا فمنهجية التحليل النفسي الفرويدي ترتكز على الإنسان ذاته على أساسه العميق الذي بفضله تتحقق السمة البقائية الوجودية لكل مظاهر الحياتية ذات الطابع النفسي ، بنقلها إلى عمق الماهية البشرية و إقتحام البنى و العمليات النفسية الداخلية ، و بهذا يضفي فرويد أهمية كبرى لفهم العالم الداخلي للإنسان و إظهار تلك القوى المحركة و التي تعد من الداخل ، توجه التطور البشري ، و بهذه القوى المحركة يتم الإعتراف بميول الإنسان " من العسير حاليا فهم الشخصية الجامحة ودوافعها بدون الإستعانة بإحدى تيارات التحليل النفسي، فكل التفسيرات النفسانية الأساسية لسلوك الحدث المنحرف

1-S.Freud : l'avenir d'une illusion, Trd: Bonaparte ,1932 , p17.

2- مصطفى حجازي : تأهيل الطفولة غير المتكيفة دار الفكر العربي، بيروت ،ط 1، 1995 ،ص 13.

و الشائعة حاليا تعتمد على منطلقات، كان للتحليل النفسى دور هام في صياغتها كمشكلة العلاقات مع الوالدين ، مسألة الحرمان العاطفي مسألة مشاعرالذنب* مسألة العقد النفسية خصوصا عقدة أوديب"[1]

فأغلب العقد النفسية حلت شيفرتها من طرف فرويد كانت تتعلق بالماضي الدفين ومنها الشعور بالذنب أو كما يسميها فرويد "الإحساس بالذنب "و ينسب فرويد ذلك إلى حاجة بالمريض إلى المرض أو حاجة به إلى العقاب و يدرج فرويد ذلك ضمن الرغبات الماسوشية** فهذا النوع من العصاب القهري يظل لاشعوريا قد يتوجهون إلى معاقبة أنفسهم و إلحاق الأذى بأجسادهم و يفترض أن غريزة الموت عندهم قد إتجهت منها إلى كميات بداخلهم قد تولد عندهم فكرة الإنتحار و مع ذلك فالمريض لا يشعر أنه مذنب و إنما يشعر فقط أنه مريض.

إن دراسة ما هو فعلي من الناحية النفسية وصراعاتها يتم من خلال الإصطدامات و الإهتزازات الداخلية العنيفة التي تفعل فعلها في عمق الوجود الإنساني " و في كل الحالات التي تضطرب فيها النفس يكون سبب الإضطراب سرا دفين ،وأن هذا السر إما معروف أو أنه غائب في أغواره فلا يعرف كنهه"[2] . ومن بينها الصدمة النفسية و التي تحتل مكانة جوهرية فى نظرية التحليل النفسي حيث ظهر هذا المصطلح منذ البداية في أعمال فرويد" دراسات حول الهستيريا"، و قد ميز بين الصدمة التي تشير إلى أثر داخلي ناتج عن الشخص بسبب حادث ما، و بين الصدمة النفسية التي تشير إلى حادث خارجي يصيب الفرد .

---

*- مشاعر الذنب : يميز فرويد بين الشعور بالذنب عن الشعور بالندم فالندم يكون ناتج عن فعل ارتكب في الماضي اساسه رغبات عدوانية قد اشبعت بينما الشعور بالذنب فلا علاقة له بالزمن باعتباره حالة هوامية لم يتحقق إشباعها بعد.

1- د مصطفى حجازي: تأهيل الطفولة غير المتكيفة - مرجع سبق ذكره ص 13

**- الماسوشية شذوذ جنسي يرتبط فيه الإشباع بالعذاب و الألم أو بالإذلال الذي يلحق بالشخص.

2- سيغموند فرويد : الكبت (التحليل النفسي) ،ت علي السيد حضارة، د ط د ت ،ص54.

و يعتبر فرويد صدمة الولادة مع ما يصاحبها من ألم و إختناق بمثابة أول تجربة للقلق فى حياة الإنسان، ثم عاد فرويد إلى تناول موضوع العصاب الصدمي في عدة مناسبات بعد الحرب العالمية الأولى في كتابه " ما وراء مبدأ اللذة" سنة "1920".

فمنابع أعراض العصاب تكمن فى التأثير البالغ لإنطباعات الطفل و لا سيما في نموه الجنسي الجسدي المبكر، و كذلك نجدها فى الإنفعالات والصدمات فى أثناء إستزادة الطفل من المعرفة بالأمور الجنسية ، و بالتالي فالإنسان في النظرة الفرويدية إنسانا ليبيديا على إعتبار أن الجنس هو المحرك الأساسي للحياة النفسية" لقد شدت هذه الأعصبة دوما و تمردت على فرضية الصراع النفسي الطفولى "[1] .

وقد تناول فرويد الصدمة النفسية من زاويتين أساسيتين وهما من زاوية ديناميكية وزاوية إقتصادية :

1- من وجهة نظر ديناميكية :الصدمة النفسية هي التي تدرس الظواهر النفسية بإعتبارها نتاجا للصراع و لتركيبة القوى ذات المنشأ النزوي التي تمارس نوعا من الإندفاع فهي تضاد لنزوتين، أي قوة اللاشعور الذي يبحث عن الظهور و قمع النظام الشعوري الذي يعارض هذا الظهور وهي دائما أصلها جنسي و تنتج عن الإغراء و الرغبة وهذا لوجود حدثين على الأقل ،إذ يتعرض الطفل في المشهد الأول الذي يسمى الغواية .

أعطى فرويد أهمية كبيرة لمشهد الغواية الأبوية و دور الهوامات فى نشأة المرض النفسي و تأثيره على بنية الجسد ، فالشئ المهم هو إستبدال الخارج بالداخل أي إلى الواقع النفسي، ثم إلى إغراء جنسي من قبل راشد، بدون أن يولد عنده هذا الإغراء إثارة

1- محمد أحمد النابلسي: الصدمة النفسية ـ علم النفس الحروب و الكوارث ـ دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط ،دت ، ص 24.

جنسية، و بعد البلوغ يأتي مشهد ثاني يكاد يكون عديم الأهمية ظاهريا كي يوقظ المشهد الأول من خلال إحدى السمات الترابطية بينهما . و بالتالي ذكرى المشهد الأول هي التي تطلق فيضا من الإثارة الجنسية التي تضفي على دفاعات الأنا، و عليه فوجهة النظر الديناميكية للصدمة توضح أهمية التاريخ النفسي للمريض في حدود الصدمة و كيفية التعامل معها إذ لا يأتي الحادث الصدمي من العدم بل يوجد تنظيم نفسي، و نرجسية و هوية جنسية مختلفة فى صلابتها مع تهيئة دفاعية و قدرة متفاوتة في مقاومة الصدمة التي يتلقاها الفرد من الواقع .

2- أما من الزاوية الإقتصادية: فهي نظرية الحركة و توزيع الطاقة النزوية و كيفية تسييرها وإستثمارها، فالحياة النفسية تأخذ بعين الإعتبار التصورات من جهة، ومن جهة أخرى الوجدانات المترابطة، فقد أكد فرويد أن الصدمة النفسية تعبر عن تجربة معاشة، فطبيعة التكيف تزيد أو تنقص من حدة الإثارة بحيث يصبح فيض الإثارة مفرطا بالنسبة لطاقة الجهاز النفسي سواء نتج ذلك عن حدث فريد بالغ العنف كإنفعال شديد أو عن تراكم إثارات إذا ما أخذت كل منها بمعزل عما سواها.

فالصدمة النفسية ناتجة عن إثارة عنيفة تظهر في ظرف لا تكون فيه نفسية الفرد فى مستوى القدرة على خفض توتر الناتج، و ذلك إما برد فعل إنفعالي مفاجئ ،أو لعدم قدرة الفرد على القيام بإرصان عقلي كاف ،فالخبرة الشاقة تلاقي رغبة لاشعورية مما يؤدي إلى الإخلال بتوازن القوى، فينجر عنه بتر لنظام صاد الإشارات، و كبت مكثف يتولد عنه ظهور الأعراض .

فالأعراض العصابية تعبر عن معاناة نفسية تتخللها كتلة الضغوطات و التراكمات اللاواعية ،بسبب عدم قدرة الأنا على التكيف مع العالم الباطني و صراعاته الأوديبية ، و العالم الخارجي و ما يحمله من قيم و مبادئ .

فقد أعاد فرويد طرح موضوع العصاب من خلال معالجته للمريضة دورا و التي كانت تعاني من وضعيات عصبية تنتمي إلى ميدان الأعصبة اللا نمطية وهي المسؤولة عن الإضطرابات البسيكوسوماتية لدورا ، " فالعصاب هو إضطراب نفسي يشعر به الفرد شعورا مؤلما و يدرك سمته المرضية و لكنه لا يمكنه السيطرة عليه "[1] .

و قد تم تقسيم العصا ب إلى :

أ-عصاب التحويل إنه في تصنيف الأمراض النفسية، عصاب يكون فيه التحويل ممكنا بالتقابل مع العصاب النرجسي، أي الذهان الوظيفي، حيث إنسحاب الليبيدو من الموضوعات إلى الأنا يجعل التحويل صعبا جدا، بل متعذرا" وهو في نظرية التحليل النفسي عصاب مصطنع يحدث في العلاج بالتحليل النفسي حول العلاقة بالمعالج " [2].

ب- عصاب الحصر هذا العصاب الذي وصفه سيغموند فرويد ينمي بإستمرارية القلق، ففيه تضاف إليه أزمات من الحصر تظهر بشكل أعراض جسدية، تنفسية، كالسعال، و عسر التنفس، أو قلبية كخفقان القلب، أو أزمة إحتقان، أو إنقباض أما على مستوى الجهاز الهضمي، فيشعر المريض بتشنجات معدية أو معوية أو عصبية عضلية كالإرتجافات المتكررة و إختلالات في الوجه، و قد تكون لديه إندفاعات إنتحارية وهذا نتيجة للإ ضطرابات الحادة و شعوره الحاد بالدونية .

ت- العصاب الرهابي "وهو مرض نفسي يتميز بخوف حاد جامح و لازب يعانيه المصاب به إزاء بعض الموضوعات مثل شخص أو حيوان أوشئ أو بعض الأوضاع التي لا تسوغ بذاتها إرتكاسا من هذا النوع " [3] .

1- نوربير سيلامي: المعجم الموسوعي في علم النفس، الجزء الرابع، ت وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة ،دمشق 2001 ، ص 1620.

2-المرجع نفسه ص1629.

3- المرجع نفسه ص 1633.

ومن بين أنواع الرهابات :

1- رهابات الإندفاع أو الخوف من قتل أو إيذاء الغير أو إيذاء النفس .
2 - رهابات الأوضاع وهو خوف الفرد من الأماكن الخالية و الممتدة كالساحات الواسعة و الشوارع.

ث- عصاب الصدمة و هو " عصاب يلي صدمة إنفعالية حادة ترتبط بوضع شعر فيه الفرد أن حياته في خطر "[1] وهويسبب أعراضا و إضطرابات جسدية كالإسهال و إلتهاب القولون .

ج- عصاب الطبع و هو " شكل من العصاب لا يظهر بأعراض محددة كعناصر رهابية أو وسواسية بل بإضطرابات المزاج و سمات الطبع، بالتمركز على الذات أو الحذر على سبيل المثال، و تصرفات خاصة كقلة الكلام، العزلة أي يظهر بتنظيم الشخصية المرضي"[2] .

وفي رأي سيغموند فرويد فهذا النوع من العصاب يحدد بالتثبيت على مرحلة مبكرة من نمو الليبيدو فالتثبيت في المرحلة الفمية يولد طبعا هستيريا أ وإلى الإدمان، أما التثبيت في المرحلة السادية الشرجية فيولد طبعا وسواسيا أو ساديامازوخيا

ح- العصاب النرجسي " مصطلح إبتكره فرويد للدلالة على مرض نفسي يتميز بزوال التوظيف عن الموضوعات الخارجية بالنسبة للفرد وتحويل الليبيدو"[3] .

خ- العصاب الوسواسي وهو "مرض نفسي يتميز بظهور الأفكار في حقل الشعور و العواطف أو التصرفات التي تنزع إلى أن تفرض نفسها على الفرد، على الرغم من كل جهوده لطردها أو لا يعود إلى أن يربط بها إنتباهه "[4].

1- نوربير سيلامي: المعجم الموسوعي في علم النفس ـمرجع سبق ذكره - ص 1637.
2- المرجع نفسه ص1638.
3-المرجع نفسه ص1639.
4-المرجع نفسه ص1642.

و يعبر العصاب الوسواسي في نظر فرويد عن نكوص إلى المرحلة السادية الشرجية لدى الفرد العاجز عن إشباع رغباته اللاشعورية و المرتبطة بالهو .

فقد ربط فرويد بين موضوع الصدمة والجسد ومالها من تأثير على الأنا ،فالجسد يهدد الأنا و هذا عندما يكون الجسد هو مصدر الصدمة، الجسد موضوع تهديد و يكون الجسد سليما و لكنه يتعرض لتهديد عوامل خارجية، فبالنسبة للتحليل النفسي فإن الشخص ينبني من الناحية النفسية إستنادا إلى علاقته بجسمه، و ذلك بدءا من اللحظة التى يدرك فيها تما يزه عن جسد أمه، بينما المضطرب نفسيا لا يستطيع تحقيق هذا التمايز بحيث تبقى تجاربهم الجسدية البدائية.

فيظن الطفل أن جسد أمه هوجسده الخاص به، و تعود هذه التجا رب إلى الظهور كلما تعرض الشخص إلى صدمة و بذلك تتحول علاقة الشخص بجسمه إلى تكرار للنمط البدائى .

وهنا يمكننا أن نتكلم عن حالة من التثبيت و النكوص سببتها الصدمة، هذه الحالة تقودنا بدورها إلى إنفصال الأنا، بحيث يبتعد الأنا عن الجسم الذي لا يعود معاشا من قبل الشخص ،وهكذا ينشأ الفارق بين الجسد و الأنا، و ينفصل الأنا عن الجسد، فينظر الأنا للجسد أحيانا أنه مهدد و أحيانا أخرى مضطرب، وقد أطلق فرويد نظرية المنشأ النفسي للإضطراب الجسدي بالهستيري معارضا بذلك نظرية العالم الفرنسي بيار جانيه*

و مع ذلك فكلمة هستيريا هي في الأصل يونانية و تعني الرحم و كان المعتقد في حينه يدور حول رحم الأنثى يتجول في جميع أجزاء جسمها و أينما ينتقل تنتقل معه الأعراض المرضية و أول من إستخدم هذا المصطلح هو هيبوقراط للدلالة على تمثلات تحرك

---

*-بيار جانيه : عالم نفس إكلينيكي فرنسي ولد عام 1859 و توفي عام 1947 تلقى دروسه في باريس و كما فعل فرويد درس مع شاركو و تخصص في الإ عتلالات العصبية و العقلية ، عرف بأعماله حول الهستيريا و الشخصية المتعددة و فسر هاتين الحالتين وفق نظرية المشاركة مؤكدا أن الشخص الهستيري ينقصه قوة متماسكة مما يجعل شخصيته تتجزأ إلى أجزاء واعية و أخرى غير واعية .

الرحم في الجسد و إضطرابه جراء النواقل العصبية و تعني الهستيريا للرجل ثورة جامحة من الغضب أو الخوف او القلق كما تعني الثورة الإنفعالية الحادة التي تصاحبها الكثير من الإضطرابات الجسدية ،بينما في المفهوم السيكولوجي فالهستيريا مرض عصابي ينطوي عليها أعراض فيسيولوجية و التي لا يوجد لها في الأساس سبب عضوي أما من وجهة نظر فرويد ،فالهستيريا نابعة من صراع أوديبي مركزه الهو تولدت على إثر أسباب قهرية كالإتكال الشديد على الغير في الطفولة و الإسراف في التبذير و خداع الذات ومن سمات هذه الشخصية العاطفة الزائدة و تقلب المزاج ،سطحية المشاعر التمركز حول الذات الأنانية و الإعتماد على الكبت و تكثيف الإنفعالات و تحويلها إلى أعراض جسدية و على العموم تكون أعراض مرض الهستيريا في الجوانب الأتية:

أ-أعراض تتعلق بالجسد و المتمثلة في إنعدام الإحساس الجسدي فقد لا يحس ببرودة بعض المنبهات أو بحرارتها أو بالألم الذي تسببه كما يفقد المريض دور حاسة من الحواس لعجزها عن تأدية وظيفتها فقد يصاب بالعمى الهستيري، و يمكن تمييزه بوضع مرآة أمام المريض وإمالة المرآة فنلاحظ أن عين المريض تتحرك مع الشعاع المنعكس من المرآة ، بالإضافة إلى فقدان السمع الهستيري أو فقدان الشم الهستيري ألخ .

ب- أعراض تتعلق بالجسد و تظهر في حركة الشخص و أطرافه و هذا بإرتجافها ،مع ظهور حركات تلقائية أو فقدان التوازن الحركي عند المشي و أعراض تتعلق بالجسد و تظهر بشكل أعراض بطنية كالتقيؤ أو ضعف الشهية و ما يظهر في الرئة كسرعة التنفس أو ضيقه أو إضطرابه.

ومن خصائص الشخصية الهستيرية :

1- يميل الشخص الهستيري إلى السلوك الإنبساطي فقد يكون علاقات ولكن أغلبها سطحية وهذا لتقلب مزاجه بين الحب و الكره .

2- ضعف قدرته على تحمل المسؤولية و سهولة إعترافه بالعجز أمام المواقف
3-الإتكالية في سلوكاته و ضعف قدرته على تحمل المسؤولية .
4- تقبل الآراء دون نقاش أو تردد.

و الجسد الهستيري ممهدا لظهور أمراض سيكوسوماتية والتي تعني مدى قدرة تحويل الصراع النفسي إلى مظاهر جسدية كتعويض جنسي مصدره لاوعي نفسي، هذا ما رفضه علم النفس التقليدي و إقصائهم لإمكانية وجود لاوعي نفسي ،فاللاوعي هو جسدي فقط ،أما النفسي فلا يمكن أن يكون واعيا و هو الوعي بذاته ليستقر تفكيره عند الثنائية روح جسد، معتبرا أن معرفة الروح أسهل من معرفة الجسد فالتفكير عند ديكارت يعني أن نعي أننا نفكر وبالتالي فإن كل ما كان لاواعيا لا مدخل له في الفكر بل يرتبط إرتباطا وثيقا بالجسد .

فقد حاول فرويد مثله مثل العديد من الفلاسفة إعادة إستيعاب التصورات الديكارتية حول تطابق الوضعية النفسية البشرية مع الوعي، ليؤكد أن التجربة السريرية العيادية و فهم سيكولوجية النشاط البشري و فكرة اللاوعي كواقع حقيقي فهو يحوي مجموع الميول والغرائز و القوى النفسية الباطنية التي تحاول التعبير عن نفسها بينما أعتبر الوعي قاصر بشكل كبير عن تفسير مكنونات النفس ، و هنا يتسائل فرويد إذا كانت الحياة النفسية اللاوعية فاعلة حقا، فكيف ينبغي النظر إلى التصورات الفلسفية التقليدية حول الوعي كعلامة لها خصوصيتها حول الماهية البشرية ؟ وماهي العلاقة بين الوعي و اللاوعي ؟

ينطلق فرويد من أن كل عملية نفسية تؤسس قبل كل شئ في اللاوعي بعد ذلك يمكنها أن توجد في مجال الوعي ، إن الإنتقال إلى الوعي ليس عملية إلزامية على الإطلاق لأن الحياة النفسية بعيدة كل البعد على أن تصبح واعية ، و بالتالي فهو يقيم مقاربة نفسية بين اللاوعي و الوعي .

و قد شبه اللاوعي بقاعة البهوالكبيرة و التي فيها كل الحركات النفسية أما الوعي فقد شبهه بغرفة ضيقة و بين قاعة البهو و الغرفة الضيقة يقف حارس هو المسؤول عن إمكانية الحركة ، و لكن هذا لا يعني إطلاقا أن هذه الحركة ستصبح واعية حتما فهي تتحول إلى لاوعية عندما تصطدم بالواقع، وقد ركز فرويد فى تحليله النفسي على معنى الأعراض و القصد منها و صلتها باللاشعور فى جميع سلوكات الأفراد التي تبدي إضطرابا سلوكيا أو مرضا عصبيا " إذا أردنا أن نثبت جدارة و مكانة التحليل النفسي أمام الطب العقلي فإن هذا الأخير لا يستلزم الطرق الفنية فى التحليل و لا ينظر في محتوى العرض فالطب العقلي يعطي للناحية الفيزيولوجية و العامل الوراثي الأهمية و الأولوية مما يجعلنا نلاحظ التكامل بين الطب العقلي و التحليل النفسي "[1] .

و هي جد مهمة فى الحفاظ على التوازن و إستخدامها الإيجابى ،فهي تجدد الراحة النفسية و توقف الصراعات و هذا لن يتحقق إلا بتوازن الجهاز النفسي .

هنا يستخدم فرويد مقاربة أخرى من أجل تحديد التركيب الجوهري للنفس البشرية و التي يتم فهمها من خلال جهازها النفسي الأنا ، الهو ، الأنا الأعلى ،هذه الدرجات أو بالأحرى الأنساق منفصلة و متصلة"تعمل في تناغم و تعاون مع بعضها البعض و بمقدار تناغمها و إنسجامها يكون إستواء الشخصية إذا إضطرب تفاعلهاإضطرب تباعا لذلك السلوك"[2].

و أول هذه الأنظمة الهوId: فهو هذ ا المجهول يحمل حركات نفسية مستترة و معبرة عن مختلف ميول الإنسان ،كما أنه القطب الغريزي للجهاز النفسي ،وهو وراثي فطري في جزء منه و مكبوت في الجزء الأخر يتكون من النزوات الفطرية العدوانية، و الجنسية، و الرغبات المكبوتة كما يجهل مفاهيم الخير و الشر ، و الهو يعني الماضي بإعتباره

1- سيغموند فرويد :محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي ،ت عزت راجح ،مصر للطباعة و النشر، د ط ـ دت ،ص 7

2-S.Freud : le moi et le ca , Trd: janekélivitch ,1923 , p37.

ميراث الأجداد و ما تولد به من مكونات نفسية ووراثية " تعبر قوة الهو عن الغاية الحقيقية لحياة الكائن الحي العضوي و تنحصر هذه الغاية في إشباع حاجاته الفطرية و لا يمكن وصف الهو بأنه يستهدف المحافظة على الحياة و لإتقاء الأخطار بإستخدام القلق فتلك مهمة الأنا الذي يجب عليه أيضا أن يكتشف أنسب الوسائل و أقلها خطرا للحصول على الإشباع"[1].

و خبرات الهو خبرات ذاتية داخلية و لذلك فهو الواقع النفسي الحقيقي للشخصية بإعتباره مخزن الغرائز ، فإذا أستثيرت و تهيجت فإن الهو يعمل على خفض هذا التوتر ليعود إليه توازنه و فرويد يسمي ذلك بمبدأ اللذة .

فهو يعتبر مصدرا للطاقة النفسية لأنه ملتصق بالبدن و بعملياته أكثر منه بالعالم الخارجي (لا يهتم بالمنطق ، و لا بالأخلاق و لا بالواقع)فهو منظمة بيولوجية تنشأ منذ الولادة ، و مع ذلك يمكن السيطرة عليه وتنظيمه وفقا للواقع " فالهو لا يفكر و إنما يشتهي و يرغب و يجري وراء تحقيق هدفه وهو إشباع الحاجات الغريزية بحسب مبدأ اللذة "[2] .

يعتبر الهو مصدر الأنا و الأنا الأعلى حيث ينمو الأنا إنطلاقا من الهو تحت تأثير العالم الخارجي كما يوجد في هذه المرحلة نوعان من الدوافع :

أ- دافع نحو الخلق و الإبداع و الحب أي رغبة في الحياة تسمى الليبيدو أو غريزة الحياة .

ب- دافع الرغبة في العدوان و الموت و التخريب و الشر أو غريزة الموت .

1- سيغموند فرويد : الموجز في التحليل النفسي ، ت سامي محمود علي ، عبد السلام القفاش، مهرجان القراءة للجميع د ط ، د ت ،ص29.

2- د : فيصل عباس :الشخصية في ضوء التحليل النفسي ، دار المسيرة بيروت ، دط د ت ،ص67.

أما الأنا Ego فهو النظام الثـاني من الجهاز النفسي الذي يواجه الناس و المجتمع و يتدبر الأمور و يرسم الخطط و تتحقق به الصور الذهنية و الأحلام ، و الأنا جزء من الهو يتخارج عنه و يعيش بطاقة الهو، وإذا كان الهو لا منطقي فإن الأنا منطقي و سليم و لأن عملية الأنا ليست أصلية كعملية الهو، فإن فرويد يسميها عملية ثانوية. بمعنى يخضع الأنا لمتطلبات الهو ولأوامر الأنا الأعلى و الواقع معا.
فهو يلعب دور الوسيط فهو يدافع عن الشخصية وهذا بضمان توافقها مع البيئة و حل الصراع بين الفرد و الواقع .

و يتبين لفرويد أن الأنا ليس جهازا قائما بذاته يعمل على إنفراد و حرية ، بل هو مرتبط بالأخر و بطلباته منه من حيث أن الرغبة هي رغبة الأخر، فالأنا في مفهوم فرويد ناتج أولا عن التماهيات الخيالية التي تكونه و تصبح صلة الوصل بين الذات و الأخر فالإنسجام الذي يحصل ما بين العديد من هذه التماهيات هو الذي يؤمن التوازن النفسي، و تضاربها و إضطرابها يؤدي إلى التأزم و الصراع النفسي و إلى حالة العصاب .
يطلق فرويد على هذه المرحلة مرحلة الذات الوسطى حيث يمثل الهو الذات الدنيا و بالتالي فالذات الوسطى تحاول تحقيق التوافق بين مطالب الهو و مطالب الضمير أو الذات العليا تلك المطالب التي تتسم بالتناقض .

الأنا الأعلى" Super Ego" و هو نظام وظيفته ضبط الأخلاق وهو يتخارج عن الأنا لأنه هذا الجزء منه الذي يمثل الأوامر و النواهي و القيم الإجتماعية و المثل الدينية " الأنا الأعلى وما يفرضه من صدو تحريم من إشباع هذه الدوافع و التمسك بالقيم الإخلاقية التي إمتصها الفرد خلال حياته "[1] بإعتباره مستودع المثاليات و الأخلاق و الضمير .

1-سيغموند فرويد: النظرية العامة للأمراض العصابية ،ت جورج طرابشي ، دار الطليعة بيروت ،دط ـ دت ،ص70.

" لنعد إلى الأنا الأعلى لقد عزونا إليه ثلاثة وجوه للنشاط : مراقبة الذات و إقامة المثل العليا و الضمير الخلقي ،إنه يرتكز على واقعة بيولوجية غاية في الخطورة لا تقل وزنا عن واقعة سيكولوجية ذات أهمية جسيمة و نعني بهما طول إعتماد الطفل على أبويه و عقدة أوديب "[1] .

فالأنا العليا يبنى من خلال التقمصات الوالدية بإعتباره وريث أوديب ، يقوم الأنا الأعلى بالوظائف المنسوبة إليه فى حيز واسع من اللاشعور، إذ تتولد منه مجموعة من المشاعر النفسية كمشاعر الذنب و مشاعر الدونية،، و بالتالي فالجهاز النفسي في إطار تكوينه هو بمثابة نظام ديناميكي محكم ووظيفي يستجيب لقوانين تنظيمية تنبعث من الجسد فهو يعمل على حسب الإتجاه الإقتصادي بدافع التفريغ و التخفيف من الإثارات ذات المنشأ الداخلي و الخارجي، و يكون التفريغ على حسب مبادئ الجهاز النفسي و هي :

- مبدأ الثبات و يقصد به ميل الجهاز النفسي إلى إبقاء كمية الإثارة في المستوى الأكثر إنخفاضا أو على الأقل ثباتا قدر الإمكان يأخذ بعين الاعتبار سياقات التفريغ التي يرافقها الإشباع و سياقات دفاعية ضد فائض الإثارات .

فآلية الثبات تأتي من خلال تصريف الطاقة الحاضرة فعليا من ناحية ومن خلال تجنب ما يمكن أن يزيد كمية الإثارة و الدفاع ضد هذه الزيادة من ناحية أخرى ،أما مبدأ اللذة فهو نتيجة حتمية لمبدأ الثبات فكل فعل يعود إلى حالة إثارة شاقة تعمل على التوصل إلى خفض هذه الإثارات مع تجنب الألم و توليد اللذة، بينما مبدأ الواقع فهو بمثابة الشكل المعدل لمبدأ اللذة بإعتباره مبدأ منظم للنشاط النفسي كما يعمل على تأجيل الحصول على اللذة أو الحصول عليها وفق شروط يفرضها العالم الخارجي فالسير النفسي تحكمه من جهة مجموعة من العمليات الأولية الخاضعة لمبدأ اللذة و تجنب التوتر و الألم .

1-سيغموند فرويد :محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي ،ت: عزت راجح، مكتبة مصر للطباعة و النشر ، ص 61.

ومن جهة أخرى عدد من العمليات الثانوية تكون الطاقة متصلة و تخضع لمبدأ الواقع، إذن الجهاز النفسي الذي أسسه فرويد ينطلق من ثلاث مبادئ وهي الهو كخزان للغرائز و الرغبات، و الأنا الأعلى ممثل الرقابة و الضمير و الأخلاق، بينما يشكل الأنا القطب الدفاعي بين المتطلبات النزوية للهو و ضغوطات العالم .

إضافة لمتطلبات الأنا وهو بالتالي الركن المسؤول و المكلف بضمان حفظ التوازن النفسي الجسدي ضد الأخطار الخارجية و الداخلية و هذا بتوظيفه لمجموعة من الأليات الدفاعية و هي تشكل أنماطا مختلفة من العمليات التي يمكن للدفاع أن يتخصص فيها من أجل خفض التوترات النفسية الداخلية لضمان إنسجام الجهاز النفسي، ومن خلالها يحاول الفرد تحقيق التكيف مع الصدمات الشديدة و معالجة الصراعات النفسية الحادة التي يواجهها فقد يستخدم الشخص الطرق اللاشعورية كالتشويه أو الرفض أو التحوير.

يقارن فرويد في تعامله مع طفولة الشخص خاصة، و مع البشرية عامة ميول الذات اللاوعية مع الجوانب الجنسية في الأسرة و في الجماعة البدائية ، و كل شيء ينحصر في عقدة أوديب " إن النبذ و القمع و بعض الأليات الغريزية كالعصاب ، و الغرائز الجنسية أعتقد أن مصدرها المجتمع"[1] .

فمعرفة النظريات الجنسية الطفلية و معرفة الإشكاليات التي تتلبسها فى رأس الطفل يمكن أن تكون مفيدة من أكثر من زاوية بل مفيدة أيضا إلى حد مدهش فى تفهمنا للأساطير و الحكايات على أن معرفة كهذه لا غنى عنهاعلى الإطلاق لتطور الأعصبة بالذات . " فهنا تبقى النظريات الطفلية سارية المفعول و يكون لها نصيب عالي في الشكل الذي ستتجلى به الأعصاب " [2] .

---

1 S.Freud :Actes obsédants et exercices religieux, Trd : Marie Bonaparte, 1932, p08.

2- سيغموند فرويد : الحياة الجنسية ، ت جورج طرابشي ،دار الطليعة بيروت ، ط3 ،1999 ،ص 19 .

وبناءا عليه يكتمل إدراك اللاوعي بالكشف فيه عن عقدة أوديب وعن تلك الميول الجنسية الأولى التي يكون تحت تأثيرها، و يتضح أن نظرية المعرفة التحليلية النفسية مشبعة بتخفيض مزدوج .

الأول حصر كل الحاضر في الماضي ، ثانيا حصر كل مظاهر النشاط الإنساني في ميوله الجنسي "هناك العديد من الظواهر التي تبدو تافهة عرضية كالإيماءات و الحركات كلها ظواهر هامة و علامات منبهة لفهم الأفعال النفسية ، بإعتبارها مليئة بالمعاني و التي ترتد إلى الماضي "[1].

و الآن نعرج إلى أهم مصطلح هو بمثابة الأساس القاعدي للبنية النفسية و دلالاتها، و هو مفهوم عقدة أوديب ،فقد ذكر فرويد عقدة أوديب لأول مرة في كتابه تفسير الاحلام و إكتشافه لهذه العقدة كان بعمل تحليلي ذاتي، فقد تبين أن فرويد وجد نفسه مشدودا فى عمله التحليلي ،و نحن نعلم معاناة فرويد جراء وفاة والده " 1897 "و أهميته في الخوض في تحليل نفسه .

فقد ولد لديه شعور بالذنب لم يجد له تفسير إلا كونه تلبية لأمنية طفلية، فما إستطاع إدراكه فى ذاته مكنته من تذليله و إستيعابه عند العصابيين ،كما أن السبب الرئيسى لإكتشاف عقدة أوديب.

فثمة حادثة من حوادث فرويد العديدة توضح ذلك ،لم يكن فرويد يقضي أمسية واحدة بالمسرح ولكنه إستثنى ليلة خصصها لمشاهدة مسرحية "الملك أوديب "عندما عرض المخرج المسرحي المشهور ماكس راينهارت مأساة سوفو كل فى فيينا، لتصبح نموذجا يفسر من خلاله الإضطراب العصابي" أنت تعرف أن المحتوى المكبوت يطفو دائما على السطح مكشوفا غير مقنع تقريبا و لكنه بمنأى عن الفهم "[1] .

1- S.Freud : introduction à la psychanalyse, tome 1, Trd: jankélévitch, 1921, p15.

2-هانز ساكس :فرويد أستاذي و صديقي، ت سعد توفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،1985،ص 61.

فهو في نظر فرويد النقطة الحاسمة في تطور و نمو الإنسان و في تركيبته الحضارية (يمثل نقطة تحول بين الطبيعة و الحضارة).فالإنسان ينفصل عن الطبيعة ليتابع سيره الحضاري هذا ما تناوله فرويد في كتابه (الطوطم و المحرم) حيث جعل من مقتل الأب الفعل الرمزي لبداية الإنسانية و مصدرا للشعور بالذنب .

يتطرق فرويد لهذا الموضوع في كتابه تفسير الأحلام في المقطع المخصص (الحلم موت الأحباب) فهو يعتقد أن مبدأ الحياة الطفولية تتميز بأنانية و نرجسية ،لأنها لم تدخل بعد إطار الحياة الإجتماعية المهذبة ،فتبين أن طباع الأطفال حتى المؤدب منهم ليس هو ما نأمل لهم إذا كبروا ، "و الطفل أناني إلى أقصى حدود الأنانية،و لحاجاته عنده وطأة شديدة و يلح في طلبها و يظل إلى أن تتحقق "[1].

وهكذا يتمنى الطفل زوال كل شخص يكون عائقا أمامه مثل ولادة أخ ،أو أخت ، فهو يتمنى إزاحته والتخلص منه، فتنكشف العديد من الحالات العصابية " مثل الحقد و التعطش للتدمير كرمي الأشياء من النافذة و هو ناتج عن النرجسية الطفولية و رفضه للمنافسة من طرف أخ أو أخت تشارك حميمية الأم و هذا ما حدث لحالة هانز الصغير"[2].

وهذه الظاهرة التي تأخذ أشكالا مختلفة مثل الأمراض العصابية، قد نجدها حتى عند الأسوياء "كان لميلاد أخت صغيرة أعظم الوقع على نمو هانز الصغير الجنسي النفسي ،حيث كان في الثالثة والنصف من العمر ، فقد وثق هذا الحدث صلته بوالديه و حمله على التفكير بمشكلات لا حل لها ،ثم جاء مشهد العناية المبذولة للطفلة الصغيرة ليحيا الأنا و الذاكرية للعهد الذي كان في هانز نفسه ينعم بهذه اللذات، و أن تأثير كهذا بدوره

1-سيغموند فرويد :تفسير الأحلام ، ت عبد المنعم الحفني مكتبة مدبولي ، ط3 ، 2007 ،ص 53.

2- S.Freud : un souvenir d'enfance dans fiction et vérité de goethe, Trd : marie bonaparte, 1933 ,p1.

نمطي ففي عدد يفوق كل التوقع من تواريخ المرضى أو الأسوياء"[1] .

يتبين من خلال تحليل فرويد أن عقدة أوديب تعود إلى مرحلة الطفولة الأولى، والتي تظهر ما بين سن الثالثة و الخامسة حتى تبلغ ذروتها لكي تنحل و يدخل الطفل بعدها مرحلة الكمون.

و تعود فتستيقظ في سن المراهقة ، و المراهقة تعرف في قاموس علم النفس " المراهقة من الرهق و يقال أرهقه الأمر بمعنى أتعبه و إحتمل منه ما لا يطيق و أرهق الأمر دنا منه و إقترب و المراهقة هي الفترة من العمر المتعبة للصبي لأنه فيها يبلغ مبلغ الكبار و يدنو و يقترب من الرشد و المراهقة ثلاث فترات في البداية تكون بواكير المراهقة ثم المراهقة المتوسطة وأخيرا المراهقة المتأخرة "[2] و هي المرحلة التي يحدث فيها الإنتقال التدريجي نحو النضج الجنسي، و الجسدي، و العقلي.

و هكذا يبدو أن مهمة مرحلة المراهقة تكمن في الإنتقال من مرحلة النرجسية إلى مرحلة العلاقات الموضوعية ، لتنتقل إلى إختيار موضوع جنسي جديد ، الشكل الذي تنحل به هذه العقدة و يحدد بالضبط نوعية العصاب أو الحياة السوية و ما ينتج عنها من رغبات جنسية ، فيمكن أن يتحول إلى إيجابي و يدخل في صراع منافسة مع الأب لكي ينتهي بالتماهي وإما أن يتحول إلى سلبي أي يتعلق بالأب بحب شبقي ، و تصبح الأم منافسا له ، و هذا يؤدي إلى الإنحرافات الجنسية أو ما يسميه فرويد بالنظريات الجنسية الخاطئة، " لا يمكن للغريزة السلبية إلا أن تكون غريزة جنسية ذات هدف سلبي "[3].

---

1 -سيغموند فرويد: الأنا و الهو، ت محمد عثمان نجاتي، دار الشروق ،بيروت ،ط4، ص 336.

2- د عبد المنعم الحفني: الموسوعة النفسية الجنسية ،مكتبة مدبولي، ط4 ،2002،ص 100.

3- إدغار بيش : فكر فرويد، ت جوزيف عبد الله ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر دط دت ،ص 73.

يفسرالتحليل النفسي طبيعة التغيرات النفسية الداخلية التي تحدث خلال سن المراهقة وفقا لثلاثة نماذج متكاملة :

فالنموذج الأول : ينطلق من إحياء للخبرات الأولى من الطفولة من الحياة و بالأخص عقدة أوديب .

وفقا لمبدأ البعدية ،يشكل مفهوم البعدية جزء من نظام فرويد المفهومي فما يأتي من بعد يعطي معنى لما حدث من قبل فهو يغير فى معالم الشخصية، حيث لا تأخذ الصدمة معناها إلا من خلال صدمة ثانية تأتي لتجنيسها ،ومنه فالبعدية تستلزم وجود حادثتين، و هما حادث مفاجئ أول لا يعرف الشخص مضمونه و لا يؤدي الى إضطراب فى الشخصية بل يبقى كامنا و مستعدا للإثارة فبمجرد ظهور حادث أخر يأخذ الحادث الأول معناه .

كما يعتقد فرويد أن الذكرى المكبوتة لا تتحول إلى صدمة إلا في البعدية أي فى المرحلة المتأخرة من البلوغ ، فإنعكاسات الشخصية تتعلق بفجائية الحدث و أصله ،وهي تتولد من صراع نفسي يمنع الشخص من إنهاء التجربة التي وقعت له في شخصيته الشعورية ومن هنا يؤكد فرويد على دور الفجأة في حدوث الصدمة و التي تتحدد أساسا بشدة العنف من جهة و فجائية الواقع الذي يهجم على الأنا دون وسيط مسببا بذلك ثغرة فى الأبعاد الزمنية للشخص الماضي، الحاضر، المستقبل، و عليه لا تكون الصدمة النفسية إلا عندما تتعدى كميات الإثارة نفسها قدرات الفرد ،كما أن أصعب الصدمات هي التي تتزامن مع مرحلة المراهقة و إحيائها لذكريات الماضي .

مما يجعل المراهقة مجرد إعادة لمرحلة سابقة وهي مرحلة ا لطفولة، على العموم فترة المراهقة هي فترة إعادة تنظيم لكل ما تم هيكلته من المراحل السابقة ، و بالتالي أهم ما يتوصل إليه فى هذه المرحلة هو إعادة التأكيد و التعزيز النهائي لوحدته الجسدية ككل منفصلة عن الأخر، فالمراهقة من وجهة نظر سيكولوجية يبدأ الفرد خلالها بتعديل

صورته و صورة الآخرين لديه، وتعديل النسق العلائقي للأنا مع المحيط حتى التنظيم النهائي لشخصية الأنا.

و يتم ذلك تحت تأثير النضج الجنسي في مرحلة النفس جسدية و يصفها "نوبير سيلامي" بأنها فترة من الحياة توجد بين سن الرشد فهي فترة حرجة مميزة بالتحولات الجسدية و النفسية تبدأ حوالي"12 أو 13 سنة" و تنتهي حوالي 18" أو 20 سنة" وهي غير محددة الحدود ،لأن ظهورها و ديمومتها يختلفان حسب الجنس، و تتميز المراهقة بإستعادة نشاط و تفتح الغريزة الجنسية، و التي ترتبط إرتباطا وثيقا بالتغيرات الجسدية التي بها المراهق ،و يظهر النمو الجسدي للمراهق من خلال جانبين أساسيين، وهما الجانب الفسيولوجي الذي يشمل نمو و نشاط الجهاز الغددي و بعض الأجهزة الداخلية و الجانب العضوي الذي يشمل المظاهر العامة للنمو كالطول و الوزن ،و مع ذلك يبقى الموضوع له دور مساعد فى تطوير السياقات النفسية حيث أن مجموع هذه السياقات تؤسس و تبني طبيعة الفرد وهي الإدماج الذي يشكل هدفا نزويا و نمط علائقى مع الموضوع، و هو يميز المرحلة الفمية كما يمكن معايشته بواسطة مناطق شبقية مثل الجلد أو التنفس.

أما الإجتياف و هو سياق نفسي يمرر من خلاله الفرد و على المستوى الهوامي من الخارج إلى الداخل مواضيع و خصائص مرتبطة بهذه المواضيع فهو يتعدى الجسد إلى داخل الجهاز النفسي أما التماهيات فهي سياق نفسي يرتبط بعقدة أوديب وهي تنقسم الى قسمين :

1-تماهيات أولية تجسد النمط البدائي لتكوين الفرد سببه نموذج الأخر .

2-التماهيات الثانوية فهي تبعث أكثر لتأكيد الهوية للفرد فهذه التماهيات المرتبطة بالأولياء من نفس الجنس تتم و تنظم تناسليا .

أما النموذج الثاني :فهو الحداد الذي يشكل الركيزة الأساسية لسيرورة المراهقة، فالحداد عملية نفسية داخلية تنتج جراء فقدان موضوع التعلق العاطفي أكان الفقدان مادي أو معنوي .

مما يستلزم من خلاله تقبل ما حدث له، و يعمل على إستيعابه وبالتالي يتحرر من الإنعكاسات السلبية المحتملة التي قد تنجر عن عدم تقبل القيام بعمل الحداد.
فمفهوم الحداد يتضمن سحبا للموضوع الليبيدى من الموضوع المفقود هذا العمل الشاق الذي يباشره الشخص بهدف الإنفصال يجعل الأنا يعاني من الكف الذي يفقده الإهتمام بالواقع مع الإنفصال التدريجي عن موضوع التعلق العاطفي .

أما النموذج الثالث :فهو نموذج التغيير البنيوي ، تعتبر المراهقة وفق هذا الإتجاه كنهاية لمرحلة الطفولة، و بداية لسن الرشد ،و التغير الذى يحدث ما هو إلا إستمرارية لسيرورة الشخصية و نموها وما هو إلا حتمية لازمة للنضج، حيث أن المكتسبات الأساسية للشخصية كلها موجودة و تتحدد منذ الطفولة الأولى تماهيات أولية، وثانوية، قواعد نرجسية،إرصان الوضعية ،الإكتئابية، و المراهقة لا تقوم إلا بإختبار المكتسبات و إظهار نقاط الضعف فيها مع تبيان الدور الفاعل والفعال لها في بناء التركيبة النفسية و العصبية للشخصية و الدور الأساسي للبلوغ هو جعل هذه البنية تحقق الهدف الأساسي من النمو و هو الحياة الجنسية و القدرة على الولادة ،فالتغيير الذي يأتي به سن المراهقة هو جسد الناضج الذى يستطيع به تحقيق رغباته النزوية، و التكرار يتمثل في أن قدرة جسد المراهق على تحقيق النزوات يحي لديه الرغبات الأوديبية المحرمة .

فعقدة أوديب يتم إحيائها من خلال مرحلة المراهقة حيث أن التغيرات الفيزيولوجية الناتجة عن البلوغ تكون مشحونة بكميات من الطاقة النزوية ، الليبيدية العدوانية و الهوامية المرتبطة بعقدة أوديب و التي تتطلب من المراهقة عمل نفسي من أجل إرصانها و مواجهة الخلل الذي تحدثه في البنية الدفاعية بسبب عودة و ظهور عقدة الخصاء .

فإعادة إحياء هاته العقدة يجعلها تمارس ضغطا على الجهاز النفسي، مما يهدد النظام الدفاعي الذي إكتسبه الأنا فى المراحل الأولى، و بالأخص الكبت ليضطر الأنا الأعلى وهو وريث عقدة أوديب بأن يحتوي الهوامات المحرمة .

تعتمد وجهة النظر البنيوية في علم النفس على دراسة الشخصية التي تنتظم وفق بنية عصابية ذهانية قائمة على آليتي الثبات و التغير ،هذه الإزدواجية تكشف أثر المراهقة فى تحديد طبيعة العلاقة بين الجسد و النفس، و الدور الذي يلعبه الجسد فى سيرورة المراهقة، فهي مرتبطة أشد الإرتباط بالتغيرات الفيزيولوجية الناتجة عن البلوغ ،هذا الجسد الذي يحمل إمكانية تحقيق النزوات لديه أيضا أثار صدمية على نفسية المراهق مما تشعره بنوع من التبعية له بعدما كان تابعا في طفولته إلى الوالدين .

و يؤكد فرويد أن العقدة الأوديبية تمثل حالة الكبت و القمع التي تعانيها الذات الإنسانية بالتطرق للحديث عن "أسطورة "أوديب الملك الذي قتل أباه "لايوس" ملك "تيبيس" و تزوج أمه "جوكست" على غير علم منه، هذا هو قدره لأن النبوة تؤكد ذلك ،و قد حددت مصيره قبل ولادته ، و دون أن يسأل أو يكون له الخيار لذلك ، و معرفة حقيقة نفسه هي الفاجعة بحد ذاتها ، فقد دفعته تكفيرا عن ذنبه إلى ترك الجاه وفقع عينيه لكي يسير تائها معدما في البراري .ليفسرفرويد كل العلاقات العاطفية بالإزدواج أي وجود مشاعر الحب و الكره في أن واحد تجاه الشئ .

و هنا يؤكد فرويد أن عقدة أوديب كناية عن إكتشاف مذهل لما يحدث للتحليل النفسي فهي مأساة القدر التي خاط قصتها كل إمرئ قبل أن يشاهد النور ، فأوديب الملك عندما قتل أباه و تزوج أمه حقق بذلك أمنية كل طفل و هي التخلص من منافسه (الأب) و هي تكون واضحة عند الطفل ، خلافا لما هو عند الفتاة .

فالطفل يرتبط بحب متوازي بين الأم و الأب دون أن يخلق له ذلك أي إشكال، فهو يجمع بذاته مابين الإثنين و ينتقل بينهما دون أن ينشأ أي صراع ، و لكن المشكلة تبدأ عندما يتحول هذا الحب إلى شعور شبقي تصبح الأم موضوعا جنسيا يريد إمتلاكه ،فعندئذ يتبين له أن الأب يقف حاجزا أمامه و يحول دون تحقيق الرغبة .

"الرغبة الجنسية بإعتبارها قوة كمية وهي لا تقبل القياس ،هذه الغريزة نعبر عنها بالحب الذي تغنى به الشعراء و لكن هناك أنواع أخرى للحب كحب الذات ، حب الأباء و الأمهات لأطفالهم ، الصداقة ، حب الرجال بشكل عام و يمكن أن نذكر النتائج التي توصل إليها التحليل النفسي بأن كل هذه الأصناف من الحب هي تعبير عن مجموعة واحدة من الإتجاهات و هو الإتحاد الجنسي"[1] .

من هذا المنطلق تتجمع كل التغيرات الحاصلة في البدن من أمراض عصابية ، و نفسية فالنوراستيانيا تنشأ عن الإفراط الجنسي، و عصاب القلق ينشأ عن الإمتناع الجنسي ،أما الهيستيريا و العصاب القهري فينشأن عن كبت الرغبات الجنسية أثناء الطفولة ،و على الأخص فيما يتعلق بعقدة أوديب .فقد إعتبرفرويد ظاهرة القلق بأنواعه ناتج كرد فعل لحالة من حالات الخطر التي تواجه الشخص و قد صنفها إلى عدة تصنيفات :

1 - **القلق الواقعي** و يعني هذا النوع إرتباط القلق بمثير موضوعي خارجي يتعلق بالأنا و ينتج عندما يدرك الفرد خطرا ما في الواقع أو في البيئة، و ذلك بهدف الإعداد لمواجهة هذا الخطر و التغلب عليه أو التخفيف من أثاره .

2- **القلق الخلقي** و هو نوع من الخوف الموضوعي إلا أنه ليس خارجي المصدر بل يكون مصدره الأنا الأعلى، ويبدو في صورة إحساس الأنا بالذنب، أو الخجل الناتجين عن تهديد الهو، و ذلك في تلك الحالات المتعلقة بالضمير أو القيم و التقاليد .

1- S.Freud : psychologie collective et analyse du moi, Trd S.jankélé vitch, en 1921 , p 27.

3- **القلق العصابي** و هو قلق شديد معالمه غير واضحة بإعتبار الهو مصدره أو جملة الغرائز التي تفشل ميكانيزماتها الدفاعية في صدها و من هنا يحدث القلق لاشعوريا بعيدا عن رقابة الأنا .

كما فرق فرويد بين الأمراض العصابية الحقيقية ا لناشئة عن الإضطرابات في الأعصاب أي عن أسباب عضوية و بين الأمراض العصابية النفسية الناشئة عن خبرات الطفولة المؤلمة أي عن أسباب نفسية .

و قد إعتبر فرويد كل من النوراستيانيا و عصاب القلق من الأمراض العصابية الحقيقية ، و إعتبر الهيستيريا و الأمراض العصابية القهرية من الأمراض العصابية النفسية " و قد يسألني أحد كيف وصلت في الماضي إلى هذه الفكرة الخاصة بالتحول ، لقد حدث ذلك عنما كنت أقوم بدراسة الأمراض العصابية الحقيقية في وقت كان لايزال أمام التحليل شوط بعيد حتى يصل إلى التمييز بين العمليات الموجودة في الأنا و بين العمليات الموجودة في الهو "[1].

العقدة الأودبية و عقدة الخصاء تمثلان المحور الذي يدور حوله كل التحليل النفسي فمن هذه العقدة تتفرع الأعراض العصابية ، و من حلها تبدأ الحياة السوية و هي المحور الذي تتكون حوله البنية النفسية في كل مشتقاتها سواء كانت مسلكية إجتماعية أو إحساسات نفسية داخلية .

فهو يؤكد أن عقدة أوديب و عقدة الخصاء لا يمكن الفصل بينهما، فللخصاء دور رئيسي في التحولات الليبيدية عن أهدافها ، فهي التي تؤدي إلى تطورات هامة في حياة الطفل النفسية ، لأن وظيفتها تنسيقية صحية فهي تحرره من النزوات الفردية .

فقد أكد فرويد في كتابه (تفسير الأحلام) بذكره لعقدة أوديب و تأثيرها على بعض الحالات مثل حالة هانز الصغير" كان هانز طفلا ذكيا و مجتهدا ،و عمل والديه على

1- سيغموند فرويد : الكف ، العرض ، القلق، ت محمد عثمان نجاتي ،دار الشروق ،ط4 ،1989 ،ص 23.

تربيته تربية حرة دون إكراه أو قيد على أي شئ بقدر الإمكان، و لشدة ذكائه كان فرويد يستشهد ببعض أقواله و ملاحظاته التي تنمي عن تفكير الأطفال ، و الإهتمام بألغاز الحياة الجنسية في مقال نشره عام" 1907" عن الشروح الجنسية"[1] .

لقد إكتشف عقدة الخصاء من خلال تحليل حالة هانز الصغير و تظهر حين يدرك الطفل الفروق التشريحية بين الجنسين، و يكتشف أن البنات لهن عضوا ذكريا(البظر) ولكنه ظامرا عقابا لهن "إن هذه السمة تبدو للوهلة أولى عسيرة التأويل، لكن سرعان ما تفضي أمامنا تفسيران يزاحم أحدهما الأخر و إن كان لا يتنافيان ، فالموقف المؤنث من الأب ضرب عليه نطاق من الكبت ،حالما أدرك الصبي الصغير أن لمنافسه المرأة على حب الأب شرطا ،وهو التخلي عن عضو ذكورته ، أي الخصاء و على هذا يكون نبذ الموقف المؤنث نتيجة الصراع ضد الخصاء"[2] و من ثمة نجد أن إشتياق الطفل الذكر المحرم للأم و نقمته على الأب تؤدي به إلى الصراع مع الأب ،فهو يتخيل أنه منافسه المستبد الذي سيلحق به الضرر حول أعضائه التناسلية .

"إن القلق الذي يحدثه السلوك غير السوي في الطفل يؤدي إلى خوف جنسي ، و هو خشيته من أن يعاقبه والده بإستئصال قضيبه"[3]و يؤدي الخوف من الخصاء أو ما يسميه فرويد بحصر الخصاء أو قلق الخصاء إلى كبت الرغبة الجنسية في الأم و العدوان نحوها، مما يساعد على حدوث التما هي الذاتي بالأب ،أما بالنسبة للأنثى فهي تشعر بخيبة الأمل عندما تكتشف أن الطفل يمتلك عضوا جنسيا يختلف عنها و من ثمة تعتبر أمها مسؤولة عن حالة الخصاء هذه ،مما يضعف حبها لها و تبدأ البنت تحول حبها لأبيها .

1- سيغموند فرويد :التحليل النفسي لرهاب الأطفال "هانز الصغير " ت: جورج طرابيشي دار الطليعة بيروت ص15.

2- سيغموند فرويد : إبليس في التحليل النفسي ت: جورج طرابيشي دار الطليعة بيروت ط1 ، 1980 ص 28.

3-أحمد عكاشة : سيغموند فرويد حياته و تحليله النفسي مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت دط ، د ت ص 60.

أما لدى الفتاة فإن أثار عقدة الخصاء أقرب إلى أن تكون من نسق واحد، ولكنها ليست أقل عمقا " فبديهي أن البنت الصغيرة لا حاجة بها لأن تخشى فقدان قضيبها غير أن رد فعلها ينبع من كونها لا تملكه فمن البداية تحسد الصبي"[1] .

و هذا ما يطلق عليه فرويد بعقدة إلكترا عند البنت و هي تقابل عقدة أوديب عند الولد و التي تبلغ ذروتها ما بين ثلاث و خمس سنوات أي خلال المرحلة القضيبية .

و يسجل أفولها الدخول في مرحلة الكمون، و تتأجج من جديد أثناء البلوغ ،بينما عقدة إلكترا فهي تشير إلى التعلق اللاواعي للبنت بأبيها و غيرتها من أمها و كرهها لها، لأنها تشكل عقبة تقف أمامها في طريق الإستحواذ على أبيها، ومن هنا تكتسب البنت عادات و سلوكيات الأم مثل ترتيب البيت و العمل على صيانة الأشياء و المحافظة عليها .
كما تختلف بنية و تأثير عقدة الخصاء عند كل من الطفل و البنت إذ يخشى الطفل الخصاء بإعتباره تنفيذا لتهديد الأب له على نشاطاته الجنسية، أما بالنسبة للبنت فيعتبر قلق الخصاء منبعا لرغباتها الأوديبية و رغبتها في إمتلاك قضيب إذ تعيش مشاعر نقص و جرح نرجسي بسبب فقدانها للقضيب الذي تعتقد أنه كان موجودا و بتر، و تزداد مشاعر النقص لتدخل في صراع أوديبي منبثق من عقدة الخصاء بحيث توجه رغباتها الليبيدية نحو الأب بعدما تدرك حرمانها للقضيب، فترغب في أن تحل محل أمها و تتحول الرغبة في القضيب إلى الرغبة في الحصول على طفل من أبيها لتصبح الأم منافسة لها .

هكذا يعترف فرويد بالذات الشهوانية عند الطفل كمحور جوهري يجري حوله تنظيم سائر ميوله و إنجذاباته اللاواعية كقوة محركه تجدد النشاط البشري، و هذا بفك اللغة

1- سيغموند فرويد :مختصر التحليل النفسي ، ت جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط2 1986،ص 64 .

الرمزية اللاوعية بغية الكشف عن مغزى هذه المظاهر النفسية سواء أكانت أحلاما أو أعراضا عصبية .

" فالنشاط الجنسي الذاتي للطفل يستمد قوته و موضوعه من العقدة الأوديبية التي تمثل المحور الأساسي لتكوين العصاب فيما بعد،فالأب يمثل الحاجز الأول لتحقيق الإشباعات الجنسية الذاتية و المنافس الأول لإمتلاك غرضه الجنسي "[1] .

حاول فرويد في البداية إثبات نظريته عبر المعطيات الواقعية، و هذا مابرهن عليه في تحليله لحالة المريضة دورا" Dora" لقد كانت في الثامنة عشرة من عمرها مريضة بالهيستيريا تظهر على شكل كحات طويلة تفقد خلالها صوتها .

كما كانت تشعر بأعراض تشبه أعراض إلتهاب الزائدة الدودية، ويتلخص رأى فرويد في هذا المجال بأن عمليات الكبت المؤدية للهستيريا تترك بصماتها واضحة على ذاكرة المريضة، و ذلك بعجز هذه المريضة عن عرض تاريخ حيا تها بطريقة متماسكة و محترمة للتسلسل المنطقي.

وكانت أعراضها الرئيسية هي الإكتئاب ، و الإضطرابات الطبائعية ،كما كانت منغلقة إجتماعيا أما عن تاريخ مرضها فقد أسرده فرويد كما يلي :
في السادسة من العمر أصيب والد دورا بمرض السل، وهذا ما جعلها تتعلق بأبيها، و في سنها الثامن كانت تعاني من التبول اللاإرادي، كما عانت من صعوبة في التنفس وكان بداية لظهور مرض الربو وبمجرد ظهور هذا المرض إختفى سلس البول .

و سنها الثانية عشر ظهرت لدى دورا ألام الشقيقة، و قد أعتبر فرويد هذا الصراع من الأمراض البسيكوسوماتية و لكن عند بلوغها سن السادسة عشر إختفت ألام الشقيقة لتبقى

1- عدنان حب الله : التحليل النفسي من فرويد إلى لاكان ،مركز الإنماء القومي، دط دت ،ص 83.

تلازمها نوبات السعال العصبي، و التي كانت تترافق مع حالة من الزكام .

لقد عانت دورا منذ طفولتها أعراضا جسدية و التي كان العلماء يعجزون عن تفسيرها مما إستدعى بوالدتها إلى توجيهها للعلاج على يد فرويد وهي في الثامنة عشر من عمرها ليبني العلاقة الحتمية بين تاريخ المريضة و مرضها و التي حددها في محطات أساسية وهي :

1-العلاقة الأوديبية : إن لظهور السيدة ك في حياة الأب دورا كبيرا في تفجير ذلك الصراع الأوديبى العنيف، فقد كانت دورا متعلقة بوالدها أشد التعلق بالإضافة إلى ضعف شخصية الأم و التي إنساق على إثرها تدهور العلاقات الأسرية علاقة الأب بالأم " كانت والدة دورا إمرأة غير مثقفة منخفضة الذكاء و عندما مرض زوجها إتجهت إهتماماتها نحو المنزل فصارت على حد قول فرويد نسخة لما يمكن تسميته بذهان ربة المنزل "[1] ،فهذ االصراع هو السبب الرئيسي وراء نوبات الشقيقة

2 - الثنائية الجنسية : لقد عانت دورا من مظاهر الثنائية الجنسية منها حميمية علاقتها بإبنة عمتها وأحاديثها الجنسية مع السيدة ك، وما بينه الحلم من إشتهائها الجنسي للسيدة ك، تخيلها للممارسة الإستمنائية لإبنة خالتها، ومن هذا المنطلق إستطاع فرويد أن يكشف ما كان مكبوتا في نفسية دورا و هي عقدة ديان *

3-المشهد الأول : و هو مشهد العلاقة الجنسية بين الوالدين فقد تذكرت دورا ما كان بين والديها على إعتبار أن غرفتها ملاصقة لغرفتهما .

1- مارتي بيار فان م دوميزان م دافيد س النابلسي محمد: بسيكوسوماتيك الهستيريا و الوساوس المرضية حالة دورا بين فرويد و مارتي ،ت د غزوى نابلسي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، دط ، 1990 ،ص 18

* عقدة ديان : إن عجز الفتاة عن تخطي العقدة الأوديبية خاصة عقدة إلكترا يؤدي إلى إضطراب نضجها الجنسي و يتيح لنرجسيتها هيمنة مطلقة بحيث تتحول هذه النرجسية إلى ثانوية، و تتدفع بالفتاة إلى البحث عن شبيهة لها تصب عليها هذه النرجسية.

و إستطاعت فى إحدى الليالي أن تكتشف ببعض الدلائل التي توحي بوجود شئ ما فلجأت إلى التخيل الهوامي مما يولد هواما أوليا وهو مصدر القلق .

4 -إرتباطها بالسيد ك نتيجة لثنائية العواطف حب و كره السيدة ك زوجة أبيها، تعلقت بالسيد ك و لكنها بعد فترة إكتشفت تلاعبه و خداعه ، و قد وجد فرويد أن دورا تحب والدها و تكره أمها و لكنها تحولت عن والدها، و هددت بالانتحار، إذ إكتشفت علاقة بين والدتها و بين صديق العائلة السيد ك . و أن والدها قد إتجه بتشجيع خفي من والدتها نحو السيدة ك .

ووجد فرويد أن دورا نفسها كانت تميل إلى السيد ك و لهذا تخيلت أن رغبتها في السيد ك قد أشبعت و أنها قد حملت منه، و أن ما ظهر منها من علامات الزائدة الدودية هي عوارض حملها منه ،و لكن الحقيقة أن دورا لم تضاجع السيد ك و أنه إلى جانب حبها له ، حبها القوي لوالدها ورغبتها الشاذة ناحية والدتها .

و هنا تظهر الدراسات النفسية الفرويدية أو بالأصح الدراسات التحليلية النفسية أن الطبيعة البشرية في أخص خصائصها تتكون من غرائز أولية، يمتلكها كل إنسان عملها إشباع حاجات أولية معينة " تمر بمرحلة طويلة من التطور قبل أن تبدأ عملها بشكل إيجابي لدى البالغ ، و لكنها أحيانا تتوقف عن العمل و تتجه بنشاطها نحو أهداف أخرى و قد تنصرف إلى مناطق أخرى غير المناطق المنوطة بها ، و قد تتداخل أحيانا ، و قد تعارض بعضها البعض "[1] .

توصل فرويد إلى أن العصاب (حالة هانز الصغير، و دورا) لا ترتكز على حالة فيسيولوجية بل على حالة عقلية أو نفسية ، فالكبت هو الألية المسببة للمرض ، فلو أن مريضا يعاني من عقد نفسية فهذا يعني أن ثمة دوافع و أفكار مكبوتة في اللاشعور و

1- سيغموند فرويد : الحب و الحرب و الحضارة و الموت ، ت عبد المنعم الحفني ، دار الرشاد ، ط1 - 1992 ، ص 16-17.

محتفظة بشحنتها الأصلية من الطاقة النفسية و سرعان ما تتحول إلى نزوات جنسية "هكذا كانت المنطقة التناسلية في الجبلة الجنسية لهانزالصغير هي منذ البداية من بين المناطق الشهوانية التي توفر له أعظم لذة "[1] .

و قد كشف من تلك المرحلة ما يلي :

1 - اكتشاف أهمية التنفيس الانفعالي .

2 - قناعة فرويد بأن الإضطرابات الإنفعالية المؤلمة و المؤدية إلى الإضطرابات الهستيرية ترتبط بخبرات جنسية مؤلمة في الطفولة .

3 - الإضطرابات الإنفعالية المؤلمة هي أساس الإضطرابات الهستيرية .

4 - إكتشاف دورالتنويم المغناطيسي المحدود و إرتباطه بأعقد المشكلات النفسية خاصة عقدة أوديب و عقدة الخصاء .

و هكذا يتبين لنا أن ماقاله فرويد عن عقدة أوديب و عقدة الخصاء هي التي تميز المرحلة الجنسية ، فلا يحق الحديث أن الصيغة الجنسية قبل دخول الطفل في المرحلة القضيبية و يعتقد أن هناك حتمية لا يفلت منها المرء و هي منافسة الطفل للأب.

و لا يخفى بأن هذا الأوديب له صلة فيلوجينيكية تعود إلى تطور الإنسان البدائي (أسطورة أوديب) " إذ لو كانت السيرورات النفسية عند جيل بذاته لا تنتقل إلى جيل أخر ولا تتواصل لدى جيل أخر لكان على كل جيل أن يعاود من جديد تعلمه و تمرنه على الحياة مما كان سينفي كل تقدم و كل تطور"[2].

1- سيغموند فرويد : الأنا و الهو ـمرجع سبق ذكره ـص 123.

2- S.Freud : totem et tabou, Trd S.jankélé vitch, ED Payot, paris, 1968, p 181 .

يظهر جليا أن صورة جسدنا تبني تدريجيا خلال مرحلة الطفولة الأولى، ثم تكتسي في بداية المراهقة التكيف بعد بلوغ سن الرشد، فكل واحد منا في إعتقاد فرويد يعيش هذه المراحل الليبيدية بشكل مختلف فكل فرد يعيش جسده على حسب تاريخه ، و تجاربه الشخصية و إحباطاته .

فلكل جسم مكان للخيال و الهوام البدائي ومدى تأثير الطفولة بالموضوع ،إن التفاعل المتبادل بين مختلف الأليات المكونة للهوية الشخصية ومرونتها أو صلابتها يحدد و بدرجة كبيرة نوعية و حالة الشخصية .

تتحدد وفق نظرية التحليل النفسي بنماذج ثلاث و هي العصاب ،الذهان ،و الحالات البينية و هي تختلف فيما بينها في مراحل التثبيت و بذلك فى النكوص و كذلك كيفية توظيف الموقعية الأولى و التي ترتبط بالشعور، ما قبل الشعور، و اللاشعور .

فالشعور وظيفة من وظائف الإدراك بإعتباره وعي الذات لذاتها ،و مقرعملية التفكير و يمثل التفكير المنطقي الواقعي الذي يراقب بإستمرار النزوات والرغبات المندفعة من اللاشعور بإعتباره خاضع لمبدأ اللذة، أما ما قبل اللاشعور فهو نظام يتميز تماما عن نظام اللاشعور ومع ذلك فهو يتضمن مشتقات اللاشعور، من جهة ومن جهة أخرى يحتفظ بإنطباعات العالم الخارجى .

و بشكل أدق يدل على ما هو حاضر ضمنيا فى النشاط الذهني و لكن دون أن يكون مطروحا كموضوع للشعور و يعرف فرويد ما قبل اللاشعور بإعتباره لاشعوري وصفيا مع قدرته على النفاذ إلى الشعور بينما يضل اللاشعور مفصولا عن الشعور، أما اللاشعور فهو مقر النزوات الفطرية للرغبات و الذكريات المكبوتة يحكمه مبدأ اللذة وهو يحتوي على المحتويات المكبوتة التي تمنع من العبور إلى نظام ما قبل الشعور و الشعور بفعل الكبت أي الكبت الأصلي، و الكبت البعدي لتبقى المادة اللاشعورية نشطة تبحث عن التفريغ أو تشويه الرقابة لتجد منفذا في بعض السلوكيات منها الهوام ،الأحلام النسيان .

فالتحليل النفسي مدرسة تدين لمنشأها لفرويد فقد طبقت الكثير من الأفكار و النظريات بإحكام خاصة في مجال فهم طبيعة البشر و ما تعانيه من إضطرابات و عقد نفسية فالمرض النفسي مهما كان مصدره فهو ناتج عن حصيلة لعقد نفسية و التي تكونت في الفترات المبكرة من حياة الإنسان .

و بالتالي فالأعراض النفسية المضطربة ترتبط إرتباطا وثيقا بذكريات لخبرات جنسية و صدمية مبكرة لتصبح لاشعورية ،و يهدف التحليل النفسي إلى تحرير المريض من القلق و الإضطرابات السيكوسوماتية و التي تتخذ أشكالا جسدية منها :

1 -البول السكري .

2 -الربو الشعبي .

3 -ضغط الدم .

4 -آلام الظهر و المفاصل الروماتزمية .

5 -بعض الأمراض الجلدية .

6 -بعض أمراض العيون .

7 -التبول اللاإرادي .

8 -السعال الدائم حتى فقدان الصوت .

9 -مشاكل على مستوى الجهاز الهضمي قد يسبب فقدان للشهية العصبي ،و هي حالات يزيد حدوثها عند الفتيات من الطبقة العليا في مرحلة المراهقة، ومن الأعراض المميزة لهذه الحالة ،رفض الطعام و نقص الوزن بصورة ملحوظة و إنقطاع الطمث، و قد تكون هذه الحالة مصحوبة بتناول الطعام بصورة قهرية في نوبات من النهم العصبي في نفس المريضة .

و من المتغيرات النفسية التي ترتبط بصورة الجسد الإكتئاب ،فالشعور بعدم الرضا عن الجسد يجلب الشعور بإنخفاض تقدير الذات ،و هذه المتغيرات السلبية تتضافر معا لتفسح الطريق لأعراض إكتئابية تؤدي في نهاية المطاف الى إعاقة قدرة الفرد على التواصل و التفاعل مع الذات و مع الأخرين .

المبحث الثاني:

الجسد الأتوبيوغرافي و الغريزة الجنسية .

الجســـد الأتوبيوغرافي و الغريزة الجنسية

تشكل الغريزة ترجمان الجسد ، و هو لا يترجم هنا سوى قدراته الكامنة فيه و المخبأة إنه يحاول أن يؤصل له ، أن يثبته على أرض الواقع فهو يؤكد للذات ما يرغب فيه و ما يود الإنتقال إليه من صعيد الواقع إلى صعيد الرغبة و الجنس.*

إن الرغبة الجنسية تعد دائما مدى قدرة الذات على الإنفتاح على الغير وعلى ذاتيته في الوقت نفسه ، و لكن هذا الموضوع لطالما همش طويلا من قبل الفلاسفة ذلك أن الجنسية** أعتبرت في أغلب الأحيان من المحرمات إلى درجة أن البعض أصبح يعتبر الفكر الفرويدي فكرا قمعيا متصلبا.

و لكن تبقى إشكالية العلاقة بين الجسد و الجنس تطرح غموضا، هذا ما جعل فرويد يركز كثيرا على ماهية و خصوصية الجسد خاصة من داخله، و على أهمية اللاشعور فيه و الذي يشكل محطة علم نفسية حاول فيها تبيان حقيقة الجسد للكشف عن أساس الحركة الفاعلة فيه .

و من هنا طرح الإشكال : ما الذي جعل الجسد مفتوحا على العالم و منغلقا على ذاته؟ ؟ و كيف يمكننا التعرف عليه في أيروسيته و ثناتوسيته ؟

يعتقد فرويد أن الدوافع الجنسية هي التي تحرك الوجود حتى وإن كبتت" فالجنسية تشبع الشرط الإنساني وجوده الأرضي نهايته، و هي تشرك دائما الرغبات و الحاجات الشهوات و الدوافع المخاوف و الإحباطات الإستيهامات و الجروح " [1] .

---

*- الجنس sex فهو الحالة التي يكون عليها الفرد من حيث أنه ذكر أو أنثى أو أنه غير مؤكدة الأنوثة أو الذكورة .

**- الجنسية هي المعايشة الشخصية للجنس بإعتبار الشخص ذكرا أوأنثى و مردودها على الزواج و الحب و التناسل

1 - ميشيلا مارزانو: فلسفة الجسد ،ت نبيل أبو مصعب ـ مرجع سبق ذكره ـ ص 139.

لقد ربط فرويد بين الجسد من حيث دلالاته و فهمه، و بين مفهوم القمع الجنسي أو المكبوت الذي يتعلق بالإنفعالات و الدوافع مما يخل بوظيفة الجسد و يبقيه عاجزا عن إثبات تاريخه و قد ميز فرويد بين اللاشعور و المكبوت " فاللاشعوري هو المفهوم الأعم و المكبوت هو المفهوم الأخص ، فكل مكبوت لاشعوري، لكن لا يسعنا الجزم بأن كل لاشعوري مكبوت فاللاشعور مصطلح وصفي محض و غير محدود من أكثر من زاوية ، أما المكبوت فمصطلح دينامي ينشق عن صراع القوى النفسية"[1] .

إن الجنس ليس الحاجة البيولوجية الكامنة في كل جوهر فقط ، بل هو أيضا الدافع المتحايل و المتخفي وراء سلوكنا بدءا بنشاط اللعب و الحركات الطفولية وصولا إلى العدوانية و الإضطرابات العصابية .

إن البحث عن جينيالوجيا الجنس يصطدم في الحقيقة بجدران سميكة من القمع و الكبت ظلت تلازمه منذ الأزل و هو ما يصيب كل محاولة جدية تتلمس هذا المفهوم و تحاول تحريره من الضوابط و الحتميات المختلفة، فجوهر النظرية الفرويدية حول الجنس هو القفز على كل المعايير وتجاوزها وهذا بإرتكازه على مسلمتين أساسيتين و هما:

محور الجنس الطفو لي كإنحراف متعدد الأشكال، و محور جنس الراشد من حيث هو تفرع للجنس الطفولي و مرتكز عليه بكل حيثياته وفقا لمبدأ التكرار .
" لقد قيل عن الطفل أنه أبو الراشد من وجهة النظر السيكولوجية و أن خبرات أعوامه الأولى يكون لها أبلغ الوقع على إمتداد حياته اللاحقة " [2] .

1- سيغموند فرويد :الهذيان و الحلام في الفن، ت جورج طرابيشي ،دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ،ط1 - 1978 ص54.

2- سيغموند فرويد: مختصر التحليل النفسي، ت ج طرابيشي دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت ، ط 2- 1986 ، ص 57 .

لقد أصيب التاريخ بعمى إبستمولوجي طمس هوية و حقيقة الجسد من خلال تقزيمه و فصله عن الروح وربطه فقط بالشهوة و الجنس .

و لكن شئنا أم أبينا يبقى الجنس بإيماءاته محرك الإنسانية و هو فعلا ما أقره فرويد بنظرته الطفرة و التي غيرت مسار التاريخ الإنساني و نظرته التحليلية حول الجنس

فوجود الإنسان منذ ولادته مرتبطا بغريزة فطرية و طاقة حيوية كامنة في جسده تجعله يقوم بواجب معين عن طريق عضو من الأعضاء، و في الجنس تتمثل هذه الطاقة التي أطلق عليها فرويد مفهوم الليبيدو " ويمكننا أن نعتبر هذه الطاقة مقدارا كميا و لكنه غير قابل للقياس بعد و نواة ما نسميه بالحب تتألف بطبيعة الحال مما يعرف عامة بأنه هو الحب و مما يتغنى به الشعراء أي الحب الجنسي الذي حده الجماع"[1].

و قد إكتشف أن الليبيدو قد لا يتوجه دوما نحو الأخرين بل قد يرتد إلى الذات فيغرق الفرد في حب نفسه و هذا ما يسمى بالنرجسية*، تبقى النرجسية بناءا تحتيا نستطيع أن نغلق به موضوعات الحب لنطرحها خارج أنفسنا حتى لا تدمرنا فكل ما يعبر عنه الأنا من زخم فني دلالي يصعد من خلاله و ينفس به عن حبه النرجسي لذاته"و قد إكتشف أن الليبيدو قد لا يتوجه دوما نحو الأخرين بل قد يرتد إلى الذات فيغرق الفرد في حب نفسه و هذا ما يسمى بالنرجسية "[2].

1- سيغموند فرويد :علم نفس الجماهير ، ت جورج طرابيشي ،دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ،ط1-2005 ص29.

*النرجسية هي عشق الذات و لفظ النرجسية مشتق من الأسطورة اليونانية عن نرجس و هو شاب جميل رأى صورة وجهه على الماء فعشقها وهام بحبها يقصد بها في التحليل النفسي تلك المرحلة التي تتميز بميل الطفل الى إتحاد ذاته موضوعا لعشقه.

2- زين الدين المختاري : المدخل إلى نظرية النقد النفسي ـ سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد "نموذجا " منشورات إتحاد كتاب العرب دمشق ،سوريا ، د ط ـ 1998، ص 10.

و قد تتمثل في إنجذاب بين قطبي الإنسان لكي تتحقق فعلا ، أي تنتقل من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل فيكون إندفاعا ، أو إنفعالا ، أو نزوة ،أو لذة ، أو هيجانا عندما يصل إلى غايته"جل النواحي الجسمية تؤثر في الحالة النفسية و بالأخص في الناحية الإنفعالية المزاجية التي تعتمد في أساسها على التركيب الكيميائي والغددي و الدموي و هناك أمثلة كثيرة توضح أثرالنواحي الجسمية في الحالة العقلية والنفسية "[1] يعد الجنس في الإنسان تعبيرا عن فعل الكيان ككل لذا يتأثر بعوامل نفسية و إجتماعية ، فنحن نعلم أن ولادة الإنسان تعني وجود الدافع و التلقائية ، فالغريزة الجنسية تولد مع الإنسان و تنمو وفق البيئة الإجتماعية و الثقافية و بها إما تكتمل الشخصية أو تنحرف (الأمراض العصابية) ، " قد أقدم بعض الأدلة لدعم نتائجي و التي قد تفاجأ البعض والمتمثلة في أن الأمراض العصابية مشتقة من الحياة الحميمية و الجنسية للمريض "[2].

فالطفل كما يؤكد فرويد له حياته الجنسية فهو يركز جل إهتماماته على نفسه و على أعضائه يتحسسها مستكشفا إياها ، و قد يجد لذة في لمسها فالحياة الجنسية لدى الطفل تتميز في بداياتها بالتعقد و التفكك و التي تميل فيها الغريزة إلى المتعة ، تتكثف و تنتظم في إتجاهين رئيسيين على الرغم من أن الخاصية الجنسية للفرد غالبا ما تكون قد تشكلت في نهاية مرحلة البلوغ ، فالجنس الطفولي يتوجه عبرثلاث مراحل و هي المرحلة الفمية التي يتم فيها الحصول على المتعة عن طريق الفم ،المرحلة الشرجية التي يتم فيها الحصول على المتعة من خلال الإحتجاز و الإخراج، و أخيرا المرحلة التناسلية التي تعتبر المرحلة النهائية للشبقية "يبدأ خلال الشهر السادس يفقد الفم أهميته ليجد في

1-محمد عويضة كامل : التحليل النفسي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1- 1996 ،ص 13.

2- S freud :Actes obsédants et exercices religieux, Trd marie bonaparte, 1932, p8 .

أعضائه التناسلية شعورا بالراحة تبدأ في نهاية السنة الثالثة و تنتهي في السابعة على الأكثر "[1]، فالجنس الإنساني فريد من نوعه ذلك لأنه يتجاوز الحاجة البيولوجية، و لكن هذا لا يعني تقسيم الإنسان و تجزئته إلى كيانين متباعدين نفسي و جسدي ، فالطعام و الجنس حاجتان نفسيتان جسديتان على علة أن الحاجة البيولوجية في تحول إلى نمط و أسلوب من التفكير ينعكس على الذات وفق ديناميكيات نفسية .

إن ميكانيزمات النفس تحرك دلالة الجسد ، فالعامل السيكولوجي لا يدرك إلا ضمن حلقة البعد المادي الفيزيولوجي ، فالحلم مثلا يشاركه الجسد في تأويلاته و الكشف عن رمزيته " و لعل من المناسب أن أذكر مثلا طريف هو أول حلم إستطعت أن أستدرج حفيدي كي يقصه علي، و هو حلم حقق له رغبة و لكن الحالة الإنفعالية التي كانت تراوده في تحقيق هذه الرغبة في اليقظة لازمته في الحلم من غير أن يكون في ظاهر الحلم ما يبرره "[2].

إن تسامي الإنسان عن الحيوان يشير إلى أن الجنس أكثر من حاجة بيولوجية، ففرويد يفرق و يميز بين مفهومي الجنس و التناسل " فالأول هو المفهوم الأعم و يضم أنواعا عدة من النشاط لا شأن لها بالأعضاء التناسلية "[3] ، فالحياة الجنسية تتمثل وظيفتها في الحصول على لذة من مناطق جسمية و هي وظيفة تخدم الإنسان على إعتبار أن الجنس ملازم لمبدأ اللذة مع أنه لا يتجاوز الغريزة " كلما زادت حريتنا و صراحتنا في الإعتراف بما للحياة النفسية من أثر في التكوين البشري كان ذلك من الخير لنا و من الأفضل أن ننظر إلى الجنس نظرات موصولة ثابتة أو ندركه في جملته " [4] .

1-سيغموند فرويد و ويليام شتيكل : التحليل النفسي، ت علي السيد حضارة ، المكتبة الشعبية القاهرة، دط ـ د ت ، ص 125.

2-سسيغموند فرويد: تفسير الأحلام، ت نظام لوقادار الهلال ،القاهرة، دط ـ 1962، ص 132.

3- سيغموند فرويد : الكبت (التحليل النفسي) ،ت علي السيد حضارة، د ط ، د ت ،ص54.

4- جوزيف جاسترو : الأحلام و الجنس، ت خوري الشتوي، دار الكتاب للنشر مصر، ج1- 1467 ه ، ص 35.

و مما لاشك فيه أن الجنس يشير إلى حقيقتين تدرك من خلالهما دلالات الذات الإنسانية أولها نزوع إلى إتصال حميمي مع الأخر .

و هو بهذا يعبر عن حقيقة وجودية تسكن ماهية الكائن، فالرجل و المرأة هما وجها الوجود الإنساني و الوحدة بينهما أساس لإستمرار الحياة ،فالجنس لم يخلق كمتعة في ذاتها بل هي وسيلة هامة لحفظ النوع، و مما لا شك فيه أن الإنسان شأنه شأن أفراد الفصيلة الحيوانية خلق مزودا بعديد من الدوافع البيولوجية التي تخدم بقاء نوعه وتحافظ على وجوده الحي إنه في ذلك كالحيوان غير أن ما يميز الوجود الحيواني هو ما يبدو من تلقائية في التعبير عن هذه الدوافع لتحكم الغرائز و هذا لا ينطبق مع الإنسان إذ يخضعها للتعديل كما يشكلها وفق النمط الثقافي و الإجتماعي السائد .

أما الثاني فهي تعبر عن الشخصية ككل لتسير الحياة الجنسية عبر تطورها في جانبين أولهما ما يتعلق بتطور الرغبة الجنسية من الشبقية الذاتية إلى االنرجسية، ثم إلى إختيار الموضوع و الجنسية الغيرية، ففي البداية يكون الطفل موضوعا لنفسه، ثم ينتقل الليبيدو من الذات إلى الموضوع وأخيرا يوجه الليبيدو إلى موضوع مستقل عن الذات وهذه المراحل أطلق عليها فرويد بتتابع مصطلحات و هي ليبيدو الأنا ، و ليبيدو النرجسي و ليبيدو الموضوع ،و بالمقابل هناك تطور للمناطق التناسلية و يكون ذلك في البداية بالحصول على الإشباع من أنواع النشاط غير التناسلي مثل الإشباع الفمي بمص الطفل لإصبعه ، ثم يجبره التعلق بالموضوعات المستقلة عن الذات أن ينحو إلى نشاط تناسلي ، فالرغبة الجنسية تتأثر بعوامل عدة و تمر بمراحل تدريجية حتى تنضج أو تنحرف ، و هذا بحسب طبيعة النفس و ما يحيط بها " تمر بمراحل لنموها بدءا بالتنظيم الجنسي القبلتناسلي (فموي) ، والطور الثاني القبلتناسلي (الطور السادي الشرجي)"[1].

1- سيغموند فرويد : ثلاثة مباحث في نظرية الجنس، ت جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1 ، 1981 ، ص 27.

إن إشباع الدافع الجنسي كجزء هام من مركب الليبيدو يصطدم بكوابح طبيعية ثقافية إجتماعية تحول دون تحقيق رغبة ، فالقمع الحضاري و معارضته لمبدأ الهو و ما يحمله من مكبوتات موروثة و معارضة للقيم و المبادئ يكون سببا مباشرا لظهور إضطربات تبدو واضحة المعالم منذ الطفولة لتشكيلها لعقد أوديبية جنسية "نحن نعلم جيدا أن الحضارة مكرهة على أن تنقطع من الحياة الجنسية مقدار غير قليل من الطاقة النفسية "[1].

إن هوية الجسد و الجنس يمثلان وجهان متكافلين متصلين و بديلين قابلين للتواصل الطبيعي، و سوف يبني فرويد نسقة الجسدي الجنسي على أهم مصطلح هو بمثابة اللبنة الأولى لتكوين الحياة النفسية و هو مصطلح الهو المرتبط باللاشعور، و المؤسس للطاقة الأولية للحياة التي تخلق أعضاء الجسد و البنيات النفسية على حد سواء ، و قد أكد فرويد أن ثمة "دوافع غريزية و نزوات تتصف بأن أصلها كامل في مصادر بنية الجسد و تتجلى كقوة مستمرة يستحيل التملص منها بأعمال هروبية " [2].

فالنزوات مثلا والتي قسمها فرويد إلى قسمين نزوة الحب و الحياة "إيروس" و نزوت الهدم و الموت أي الشر "ثناتوس" فما هو خارجي مفارق لذاتيتنا أدخله فرويد ضمن الجهاز النفسي الذاتي ، فهاتين النزوتين المتعارضتين تشكلان في عمقهما تيارا مستمرا لإدراك البنية المفصلية للذات.

فنزعة التدمير فطرية تلازم النفس و لكن يجب الإعتراف بها للتحكم فيها و تحويلها عن أهدافها المدمرة " قوة الحب إيروس المتمثلة في الحياة، في التوالد في التعايش المشترك

1- سيغموند فرويد : الكبت (التحليل النفسي) ـ مرجع سبق ذكره ـ ص 54.

2- أتر يواناي : الأنوثة من زاوية التحليل النفسي، ت طلال حرب المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر لبنان، ط1 1992 ،ص25.

في الإبداع و في الإنتاج الإنساني تقابلها قوة منعكسة ثناتوس تحبط أعماله إنها متمثلة في النزعة التدميرية أو النزعة المميتة "[1].

إن إكتشاف التحليل النفسي الفرويدي للنزعة التدميرية المميتة " ثناتوس" كان بمثابة كشف النقاب عن حقيقة بيولوجية من حيث أن كل خلية تحمل في طياتها أسباب موتها و لفهم هذا التصور الفرويدي علينا بإستقراء الواقع ،فهناك ذوات تؤذي نفسها (الإنتحار) أو تؤذي غيرها (الإعتداء) و هذا الفعل له روابط داخلية غلبت فيها كفة النزعة التدميرية من خلال تصعيد العقدة الأوديبية بطريقة خاطئة " دافع الكبت نتيجة صده من إفراغ شحنة الطاقة النفسية ليصبح لا واعيا و لكنه يظل محتفظا بقوته ، و لا يتوانى هذا الدافع المفعم بالشحنة النفسية يحاول أن يحتل مكانا في الوعي حيث يجد في نهاية الأمر طرقا غير مباشرة يفرغ من خلالها بعض شحناته "[2].

لقد أطلق فرويد الليبيدو في كتاباته الأولى على الطاقة النفسية المتعلقة بالغرائز الجنسية على إعتبار أن جميع الظواهر النفسية سواء كانت شعورية أو لا شعورية إنما تصدر عن قوى ديناميكية أساسية تنبعث من التركيب الفيزيولوجي و الكيميائي للجسد تسمى هذه القوى بالغرائز، و لما عدلها فرويد فيما بعد قسم الغريزة إلى قسمين غريزة الحياة أو الحب "Eros " و تدخل ضمن غرائز حفظ الذات و غرائز حفظ النوع باعتباره مبدأ الحياة عند الاغريق و يتضمن كل الأنشطة الصادر ة عن الشخص أكان و غريزة الموت "Thanatos عند هذه النقطة يمكننا أن نتوقف لحظة للحديث عن نظرية الليبيدو ـ تحليل العصاب التأويلي و علاقته بالغرائز الجنسية ، على إعتبار أن طبيعة النفس تكونها الأنا الأعلى و هي الأولى التي تعمل على الحفاظ على الحياة النفسية"[3] .

1- عدنان حب الله :التحليل النفسي من فرويد إلى لاكان، مركز الإنماء القومي، دط – دت، ص07.

2-S Freud : ma vie et la psychanalyse, Trd marie bonaparte, Ed Gallimar ,P52.

3-S Freud :Au de la principe de plaisir, Trd S.jankélévitch, 1920, p46.

فغريزة الحياة عملها المحافظة على البقاء و تكاثر النوع و منها الجوع و العطش و الجنس، و الطاقة التي تستخدمها هي الليبيدو، إن إعطاء فرويد للجنس الاولوية و الأهمية الكبرى لأي فعل سلوكي يصدر عن الجسد بإعتباره القوى المحركة الأولى له و الجنس ليس غريزة واحدة بل غرائز متعددة على إعتبار أن الرغبة الشبقية تستحثها عدة حاجات بالجسد و تستثيرها مناطق متعددة" الغرائز تعمل وفقا لمبدأ اللذة "[1].

و قد إتخذ فرويد من مبدأ اللذة أساسا يفسر به الظواهر النفسية المختلفة كما نفسر به الأعراض العصابية ، فالدراسات العيادية التحليلية مع المرضى العصابيين و الأطفال جعلته يقتحم أكبر منطقة جنسية و هي المنطقة الفمية الشرجية التناسلية هذه المناطق بالنسبة لفرويد المنطلق الحاسم في الرفع من العقد و الإضطرابات " فلم يكن ذلك الطب يلتفت في بحثه لهذه الوظيفة البيولوجية الهامة و هي الوظيفة الجنسية ...و فضلا عن ذلك فقد كان يدعم الوجه الطبي ، إنما لها جانبها الجسمي أيضا و يمكن أن تغزو إليها عمليات كيميائية معينة "[2].

لنعرج إلى أهم تقسيم في مسار حياة التحليل النفسي و هو تقسيم الغريزة إلى غريزة الموت أو التدمير" Thanatos" ، فالموت هو الهدف الذي ترسم كل حياة في نظر فرويد بإعتباره حتمية بيولوجية نفسية و هو يعمل فينا منذ الميلاد و إن كان عمله غير ظاهر ، و هذا الهدم المستمر في خلايا الجسم الذي يسمى بالأيض هو موت و التفتيت في الطبيعة، و التدمير الملاحظ في الكون يشكل حلقة من حلقات غريزة الموت.

إذا غريزة الحياة و الموت يعملان بشكل منسجم ، و قد تميز بأن الأكل ففيه إستمرار

1- وعلي إسماعيل علي :نظرية التحليل النفسي و إتجاهاتها الحديثة في خدمة الفرد ،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية د ط-1995، ص 20.

2 - سيغموند فرويد : حياتي و التحليل النفسي، ت مصطفى زيور، دار المعارف الإسكندرية، ط4-د ت، ص 43.

للحياة بإعتباره قوة و طاقة و لكن يحمل غريزة التدمير من خلال المضغ و القضم و قد تعمل هاتان المجموعتان من الغرائز على تحييد أثر بعضهما البعض ، فالحب غريزة جنسية و المحب عندما يحب يستبعد الكراهية .

"غريزة الموت هي المسؤولة في نظر فرويد عن كل مظاهر الحروب و التدمير و الخراب و القتل و السفك و العدوان حتى يصل هذا العدوان إلى الذات فيؤدي الى إنتحار المريض "[1] .

فالكراهية من غرائز الموت و لكن في بعض الحالات تكون منافسا قويا لغريزة الحياة "الكراهية قد تفلح في إستبعاد الحب و تحل محله ،و عندئذ يكون هذا المقت الذي نعرفه عند المحبين عندما يكرهون و لربما يلجؤون إلى القتل "[2] .

والغرائز تختار موضوعاتها التي يكون بها إشباع رغباتها و حاجاتها، وإختيار الغرائز غريزي أي لا إعمال للفكر فيه و لا تمييز، و الغريزة بتوجهها للموضوع و إرتباطها به تشحنه شحنا نفسيا أي أنها تضفي عليه من طاقتها ما يجعل ظهوره من بعد لأي دافع من الدوافع .

و هنا تظهر وظيفة الأنا من أجل كبح جماح الهو المسيطرة عليه ،و بالتالي التحكم في الغرائز، من خلال الشحن المضاد أي يجعل الموضوع الذي هو جاذب للغرائز محل إشمئزاز و نفور و الأنا ليس وحده من يقاوم الهو بالشحن المضاد ، فالأنا الأعلى كذلك يشحن موضوعات الهو شحنا مضادا.

هذه التحولات في الطاقة تجعل الذات الإنسانية في صيرورة من النمو والتحول وفي صراع دائم مع القوى والدوافع، فالصراع لا يكون بين قوى النفس وحدها بل أيضا

1- د عبد الرحمان العيسوي :إضطرابات الطفولة و علاجها ،دار الراتب الجامعية ،بيروت لبنان ،ط1 - 1460هجري ص 14.

2-S.Freud :Abrégé de psychanalyse, Trd : berman Ed p u f, paris ,1978 ,p8-9.

بيننا و بين البيئة لأنها تشكل أحيانا تهديدا لحياتنا و بالأخص غرائزنا ما يشبع رغباتنا و ما يسبب لنا قلقا و إضطرابا .

و كأن البيئة هي بمثابة المؤشر الفعلي للتوتر أو التوازن ، فإذا كان المحيط الإجتماعي بأطره يشعرنا بالخوف و التهديد فقد يصاب الأنا بقلق مرضي، مما يفرز عنه أنواع ثلاث للحصر حصر الواقع ، حصر العصاب ، الحصر الخلقي و النمط الأساسي هو الحصر الواقعي و منه يشتق الحصر العصابي و الخلقي .

بالنسبة للحصر الواقعي هو خوف من الأخطار الواقعية للعالم الخارجي بمعنى خشية الذات للواقع الاجتماعي، أما الحصر العصابي فهو العجز عن السيطرة على الغرائز فتكون النتيجة التعرض للعقاب، والحصر الأخلاقي هو خوف من الضمير و شعوره المتواصل بالذنب خاصة في سلوكياتنا و أخلاقنا "الأنا الأعلى و ما يفرضه من صد و تحريم من إشباع هذه الدوافع والتمسك بالقيم الإخلاقية التي إمتصها الفرد خلال حياته "[1]

فالحصر يعمل كنذير للأنا حتى يكون على حذر، و هذا بأن يزيد من حوله الخطر بتنبيهه و تهيأته لحالة التوتر، فهو يعتبر بالنسبة لفرويد بمثابة التملص أو النكوص "و من ثمة يكون على الشخص أن يقوم بعمل ما كأن يهرب أو ينصاغ للضمير "[2].

و الحصر الذي لا يجدي إزائه أي طريقة من طرق الإفراغ يسمى بالحصر الصدمي و هي حالة من العجز التام و الكلي يرتد بها إلى أن يصبح عاجزا كالأطفال، و أول صدمة تتعرض لها الذات هي صدمة الميلاد، فعندما نولد لا يكون الأنا قد تشكل، و لا يكون لدينا الإستعداد التام للتكيف و التأقلم، إنها مرحلة اللاتمايز غير أننا نتجاوز هذه الصدمة بمساعدة البيئة بدءا بالأسرة و بالأخص الوالدين.

1-سيغموند فرويد : النظرية العامة للأمراض العصابية، ت جورج طرابشي دار الطليعة بيروت ، دط – د ت ص 70 .
2-سيغموند فرويد : الكف ، العرض ، الحصر ،ت جورج طرابشي، دار الطليعة بيروت ،1982 ،ص28.

و لكن الأنا قد يعجز عن مجابهة و مواجهة الواقع فيلجأ إلى طرق غير واقعية أو كما يسميها فرويد بمكانيزمات الدفاع أو الحيل الدفاعية و هي الطرق التي يستخدمها الشخص لاشعوريا و أحيانا بصورة قبل شعورية من أجل خفض التوترات النفسية الداخلية لضمان إنسجام الجهاز النفسي ، فآليات الدفاع هي أنماط مختلفة من العمليا ت التي تتنوع تبعا لنمط الإصابة و تبعا للمرحلة التكوينية و كذلك لدرجة إرصان الصراع النفسي فيتنوع إستخدامها حسب تنوع المواقف و الإصابات، و بالتالي محاولة التكيف مع الصدمات و معالجة الصراعات النفسية الحادة التي يواجهها .
لأن الأنا يحتال بها على المواقف والمؤثرات المؤلمة فينكرها أو يزورها أو يحرفها ولا يتعامل معها بالطرق المنطقية ومن أهم الحيل الكبت، النكوص، الإسقاط...إلخ.

أ-الكبت :وهو آلية دفاعية يلجا إليها الأنا لطرد الدوافع و المواقف المؤلمة و إجبارها إلى التراجع إلى اللاشعور، فالكبت محرك أساسي في اللاشعور ورغم هذا فإن المكبوت الذي يستمر في تواجده في اللاشعور يخلق تصورات بديلة يحاول عن طريقها إيجاد مخرج له ينحصر في ميل اللاشعور إلى أن ينسى موضوعا ليصبح لا واعيا ، كما يهدف إلى منع الألام الناجمة عن الشعور بها ،و حتى الوظائف العادية للجسم قد تكبت فقد تعجز العين لرؤية شيء ظاهر للعيان ، و قد يأتي الكبت في صورة شحنات مضادة أو في شكل إزاحة كأن ينقل شخص ميولا عدوانية إلى شخص أخر بآلية الرمز ومن أجل فهم الكبت علينا فهم الطفولة بإعتبارها المنطلق الأول للحياة بدءا بالعقدة الأوديبية وهنا يقسم فرويد الكبت إلى:

1- كبت الذكريات الطفولية المبكرة مثل عقدة أوديب عقدة الخصاء .
2- إمتداد للكبت الأساسي وهو يتجلى بالمثيرات التي يتلقاها من المحيط ويبين كل ما من شأنه أن يحرك الرغبات والذكريات المكبوتة، فالطفل يصبح يدرك ويفرق بطرحه للأسئلة كبحثه عن المعرفة الجنسية (مثلا العلاقة الخاصة بين الوالدين)

ب-الإعلاء و التسامي: و هو إستخدام ميكانيزمات تقلب الموضوع و الهدف إلى ضده فيتحول من السلبي إلى الإيجابي ، ففي التسامي تتلاشى العقدة الجنسية لأن طاقتها تنسحب لصالح طاقة بديلة و هذا ما يحدث للأدباء و الفنانين.

ت-الإغماء: هو ميكانيزم دفاعي ، من حيث هو إيقاف للوظائف المنطوية على التهديد فتتخذ الإنفصال و الإستئصال كحل و منعكس شرطي من أجل التخلص من التوتر و المحافظة على توازن الوظائف العضوية .

ث-الإسقاط :حيلة دفاعية يعزو بها الفرد دوافعه و أحاسيسه و مشاعره إلى الأخرين أو إلى العالم الخارجي ،و يعتبر بمثابة عملية دفاعية تتخلص بها الذات من الظواهر النفسية الغير مرغوب فيها ، فالأنا يلجأ إلى إخراج الدفعات العدوانية أو تهديدات الضمير بأن ينسبها للعالم الخارجي أو أشخاص معينة ليجد الاسقاط مبدأه الأعم في مفهوم النزوة فالجسد يخضع لنوعين من الإثارة المولدة للتوتر يتكون النوع الأول من الإثارات التي يمكنه التهرب منها أو حماية نفسه منها ،بينما النوع الثاني من الإثارات التي لا يمكنها التهرب منها أو تجنبها.

وهنا يظهر الإسقاط بإعتباره الوسيلة الدفاعية الأصلية ضد الإثارات الداخلية ،فالإسقاط بهذا المعنى إدراك داخلي بعد تعرض محتواه إلى تشويه بحكم إنتقاله من اللاشعور إلى الشعور كما يعتبر وسيلة الفرد الأولى التي تضمن الأمن ضد الألم و الخوف فيعتقد بواسطة هذا الميكانيزم المواقف المؤلمة التي يحس بها أنها موجودة بعيدة عنه .

ج-النكوص : آلية دفاعية تقوم على الرجوع المنظم و المؤقت لأنماط تعبيرية سابقة للفكرو للسلوك و للعلاقات الموضوعية مقابل خطر داخلي أو خارجي مثير للقلق كما أكد فرويد على مدى تأثير الماضي على شخصية الفرد وبالتالي ينبثق الماضي في الحاضر مما يستدعى إسترجاع الحالات الطفلية من جديد كنمط من أنماط الحيل الدفاعية ، فعندما يعجز الأنا عن مجابهة موقف فإنه قد يرتد إلى مرحلة سابقة من مراحل

النمو النفسي ، و النكوص يكون أساسه ما تثبت في النفس منذ مرحلة الطفولة، و مع ذلك فهو وسيلة دفاعية لما يلعبه الأنا في النكوص بإتخاذ أدوار مختلفة، ليصبح النكوص حيلة دفاعية لتبرير الفشل في التكيف فعندما يواجه الشخص صراعا نفسيا حادا يتقمص أدوار سابقة من عمره كأن يرتد من شخص بالغ الى شخص مراهق .

ح-الكذب : إن الهدف الواضح من الكذب هو حمل الأشخاص الأخرين على تصديق شيء غير حقيقي أو عدم تصديق شيء حقيقي و هدف الكذب هو "محاولة إقناع شخص بتصديق شيء غير حقيقي تقوم دليلا على إمكانية أن تكون بعض معطيات الذاكرة هي الأخرى كاذبة"[1].

خ-الإنكار: وهي وسيلة يلجا إليها الشخص الذي يبوح بإحدى أفكاره ورغباته التي كانت مكبوتة ،ومع ذلك يستمر في الدفاع عن نفسه وإنكار ما ينسب إليه .

د-العزل: يعني القضاء على إمكانية الإحتكاك بحيث لا يسمح للأفكار التي تتعلق بهذا الإنطباع أن تتصل من خلال الترابط مع ما عداها من الأفكار.

ذ-العقلنة : هي محاولة الفرد إعطاء صياغة منطقية لصراعاته و إنفعالاته أي تغليب التفكير المجرد على بروز الإنفعالات و الهوامات، كل هاته الأليات الدفاعية هي حيل نفسية يستعملها الأنا بصورة شعورية أو لاشعورية بهدف التخفيف من الإضطرابات النفسية وتحقيق التوازن و التكيف مع الواقع كل هذه الدفاعات يمكن أن تظهر لنا الجانب الفعال الذي يتواجد عند الشخص .

1- سيغموند فرويد: التحليل النفسي في العصاب ،ت صلاح مخمر و عبده ميخائيل رزق، مكتبة الأنجلو، مصرية 1966 ،ص76-77.

.

و هنا تتمايز و تختلف ردود السلوك الجسدي النفسي حسب تمايز مراحل النمو النفسي الجنسي، فهي تبدأ بالطبع منذ ولادة الإنسان، فالتظاهرات الجنسية لدى الرضيع ترتبط إرتباطا وثيقا بوظائف حيوية أخرى كإهتمامه بمناطق الجسم الشبقية " الحياة الجنسية الطفلية لديها عدة محطات جزئية من بينها تمتع الطفل بأعضائه التناسلية (الإستمناء)"[1].

و قد قسم فرويد مناطق الجسم و إرتباطها بالغريزة إلى المرحلة الفمية، فالفم هو مركز النشاط تليه المرحلة الشرجية حيث تشحن الوظيفة الإخراجية شحنا نفسيا
" إن أول عضو يعلن عن نفسه كمنطقة شهوية و يطرح مطالب ليبيدوية على النفسية هو منذ الولادة الفم، فكل النشاط النفسي يتركز أولا على إشباع حاجات هذه المنطقة " [2] .

ثم تأتي **المرحلة القضيبية** فتكون الأعضاء الجنسية وهي المناطق الشهوية الأساسية ففرويد يطلق على المراحل الثلاث بمراحل قبل تناسلية وتعقبها مرحلة الكمون.
فالمظاهر الجنسية للطفولة تمر في حوالي سن الثالثة أو الرابعة بفترة من الكمون وهذا لتعرضها لبعض الحواجز التي تقيمها مجموع القيم والمعايير التي تأخذ طابع المعيارية ،هذه المرحلة الحاسمة من الكمون الجنسي فيه يستحوذ الموضوع الجنسي على إهتمامات وتساؤلات الطفل لتتلاشى بعد إكتمالها وإنتظامها لتترك المكان للمظاهر الجنسية الرئيسية التي ستبرز بقوة أثناء مرحلة المراهقة.

تفصل مرحلة الكمون بين التطور الأول المتميز بالطبيعة الطفلية والتطور الثاني الذي يبدأ مع البلوغ ،والذي يحدد ماهية الحياة الجنسية، هذه المرحلة تعد حاسمة في ا لعمل على تخفيض النشاط الجنسي أي خالية من الجنسية جزئيا كما يحدث تعديل من حيث طبيعة العلاقة مع الوالدين فيصبح بذلك الوالدين مواضيع المكافئة النرجسية .

1-S Freud : introduction à la psychanalyse, tome 2, Trd jankélévitch, 1921, p15.

2- سيغموند فرويد: مختصر التحليل النفسي ، ت جورج طرابيشي، دار الطليعة بيروت، ط2 -1986،ص 18 .

هذا التغير نحو هدف غير جنسي يولد نوعا من الإستثمار، حيث تمنع الطاقة الإستثمارية النزوية من طرق الإشباع المباشرة أي جسد الوالدين، فجسد الطفل في مرحلة الكمون يفقد إستثماره الشبقي العلائقي إلى إستثمار نرجسي، الشيء الذي يساعد الطفل على الخروج من الصراع الأوديبي.

فيزاح الإهتمام فقط بالقضيب كعضو ويلحق بذلك الجسد كله، فتميل الغرائز إلى حالة من الهدوء لتنشط من جديد في سن المراهقة، فإذا إستطاع المراهق أن يزيحها إلى نشاطات أخرى، ويتسامى بها فإنه يتنقل إلى مرحلة النضج الأخيرة وهي المرحلة التناسلية.

أ-المرحلة الفمية :يوصف جسد الرضيع كجسد مجزأ ففي بداية نموه لا يفرق بين الذات و اللاذات و بين الخارج و الداخل، فهو في مرحلة اللاتمايز، فالموضوع الخارجي غير موجود بدقة أو على الأقل غير متميز وهي أول مرحلة من مراحل النمو النفسي المسماة إنتظام الليبيدو ترتبط بخبرات الجوع و الشبع و كذلك بالإندماج مع أسرته خاصة الأم و يتجلى الأمر بوضوح في مرحلة مص الإبهام الذي هو ظاهرة واضحة في الطفل الرضيع ، بالإضافة إلى البلع و العض و كلها نشاطات تعبر عن السيمات المستقبلية للشخص ، فمص الثدي لا ينطوي فقط على إشباع الجوع بل أيضا على إثارة الغشاء المخاطي الفموي المولد للشبق .

وبالتالي فالطلب الفموي يعني شيء أخر غير الطعام، فهو طلب جنسي بخلفيته، فالطفل لا يكتفي بالغذاء الذي يعطيه له الآخر ،و إنما مطلبه أن يتغذى من الآخر من جسده خلال هذه العملية لا يتوجه نحو موضوع مجزأ بل لشيء يشبعه.

فخلال الرضاعة يكون الرضيع والثدي في إختلاط وفي هذه الفترة يشبع لذته من الإستثارات التي تمس التجويف الفمي و الذي يحمل معنى هوامي وتكون اللذة مرتبطة

بإشباع حاجات التغذية و الوظيفة الجسدية ،فتمنح هذه المنطقة الشبقية مصدرا للجنسية . فالعلاقة الأولية تظهر كيف يتوحد الطفل مع الثدي ، و في نفس الوقت تبزغ رغبة سادية في إلتهام الثدي .

و عليه فالأهمية في هذه المرحلة لا تقتصرعلى المنطقة الشبقية إثارة ، بل حول النمط العلائقي الإدماجي، فالطفل يتخيل توحده و إلتحامه مع الأم ليكون جسد الأم و الطفل في حالة إشتباك عن طريق مناطق التبادل الجسدي ،هذا التبادل المزدوج و الإيجابى ينمي شخصية الطفل و يدعمها و يخفض من الصراعات، فمرة يأخذ الطفل من الداخل و يمنح للخارج و مرة يستقبل من الخارج لإثراء الداخل .

ب-المرحلة الشرجية: هذه المرحلة الثانية من التطور الليبيدي و التي تبدأ تقريبا من سنتين إلى أربع سنوات ،فالنضج الحركي يمكن الطفل من المشي و التوسع الفضائي فبإستخدام جسده في التجريب و الإكتشاف كما يتعلم في هذه المرحلة النظافة التي تنظم العلاقة بين الأم و الطفل ،حيث تطلب الأم من الطفل إكتساب طريقة التحكم بالطرح حيث يمكنه طرح و حبس الفضلات هذه المرحلة تتميز بنقلة نوعية لعلاقة الطفل مع الأخر .

فإذا كانت المرحلة الفمية تتوجه إلى الأخر بطلب الحاجة، فهذه المرحلة تتوجه من الأخر إلى الطفل بمعنى يصبح الطفل موضع طلب ، أي يطالب بالإحتفاظ ببرازه ، و تتوقف نتائج هذا التعلم على أسلوب الأم مع الطفل و كيفية تدريبه ،و من هذا المنطلق ركز فرويد على المرحلة الشرجية كونها مرحلة سادية أي يتعدى بمفهومها عملية إلغاء حاجة بدنية ، فهي تتعداها إلى مفاهيم جنسية .

فالمرحلة الشرجية تلعب دورا أساسيا في تكوين الطباع خاصة من ناحية النظام الإقتصاد، العناد.

فالبراز الذي كان يخرج بحكم عملية ميكانيكية من الأمعاء دون ضبط، كان يلبي حاجة بدنية عند الطفل، إلا أن تدخل الآخر بطلب منه لضبطه وإعطائه في توقيت زمني معين، يخرج البراز من كونه نفاية إلى موضوع ذي أهمية لدى الآخر، ويصبح بالمقابل حصر البرازعملية تتعدى الحاجة البدنية فيه فهو ذو مدلول يستمد معناه من نظرة الآخر.

من هذا المنطلق يصبح باب الجسد مركز إستثمار شبقي يؤسس لتركيبه جهازا نفسيا هذا ما يسميه فرويد بالنزوة الجزئية، فمن خلال برازه يتماهى به لكي يصبح جزءا من بنيته النفسية ،ويتوقف عليها العديد من التطورات النفسية، فعندما يبلغ المرحلة القضيبية تتكون لديه مشاعر اللذة المرتبطة بالإستمناء وبالتخيل عند الطفل والتي تتواكب مع نشاطه الشهوي الذاتي وتمهد لظهور عقدة أوديب وهي التي تعتبر من أهم إكتشافات فرويد في مجال علم النفس.

المرحلة القضيبية تتميز عن المراحل السابقة بواسطة توحيدها للغرائز الجزئية التي تكونت تحت سلطة الأعضاء التناسلية، فهو في هذه المرحلة لا يعرف سوى عضوا واحدا وهو العضو الجنسي الذكري الذي لا يعد بالضرورة جزءا من الجسد فيطرح الطفل أسئلة حول وجوده وأصله.

فالطفل قبل إدراكه ومعرفته للفروقات الجنسية يتوهم بأن كل المخلوقات تملك مثل ذكره والبشر جنس واحد، وما يؤكد هذا التخيل هو التوظيف النرجسي لهذا العضو نظرا لما يؤمن له من متعة كبيرة ،بالإضافة إلى إستثمار للأنا في حقل النشاط القضيبي ،ففي المستوى الرمزي لا يمثل القضيب عضوا تناسليا فقط بل هو رمز للقوة، كما يطابق مرحلة حساسة هي قلق الخصاء و عقدة أوديب، فهي تتشكل و تختلف لدى الذكر و الأنثى بإعتبارها فترة حرجة تقوم على تعيين إختلافات السن و الجنس و إستدخال

موانع المحارم، لترتبط بمجموع الإستثمارات الوجدانية التي يحملها الطفل نحو الوالدين وتختلف بنية وتأثيرات عقدة الخصاء عند كل من الصبي والبنت ،إذ يخشى الصبي الخصاء بإعتباره تنفيذا لتهديد الأب له على نشاطاته الجنسية مما يولد لديه قلق خصاء

شديد أما غياب العضو الذكري عند البنت فقد يولد لها مشاعر النقص وقد تتطور إلى عقدة الرجولة وهذا بسبب تشبثها القوي بفكرة الرغبة في القضيب، فبالنسبة للفتاة فيعتبر قلق الخصاء منبعا لرغباتها الأوديبية في إمتلاك القضيب.

إذ تعيش مشاعر نقص و جرح نرجسي بسبب فقدانها للقضيب، الذي تعتقد أنه كان موجودا وبتر لتقنع نفسها بأنه سينمو و تعوضه بقضيب خيالي و الدم المتكرر للعادة الشهرية يحي لديها ألم الخصاء لأنه دليل دم قطع القضيب، و بهذا تدخل الفتاة في الصراع الأوديبي المنبثق من عقدة الخصاء ،إ ذ توجه رغباتها الليبيدية نحو الأب بعدما تدرك حرمانها للقضيب فترغب في أن تحل محل أمها و تتحول الرغبة في القضيب إلى الرغبة في الحصول على طفل من أبيها و تصبح الأم منافسا لها و نظرا لإستحالة تحقيق هذه الرغبة بسبب وجود الأم التي تشكل حاجزا منيعا لرغباتها الأوديبية فإنها تتخلى عن منا فستها .

أما الطفل فعند دخوله في العقدة الأوديبية يضعه في موقف منافسة مع الأب ، فهو يميل إلى أمه و يغار من أبيه و يتحصل له الخوف من الأب نتيجة عقابه و تهديده له بإيذاء أعضائه التناسلية ، و التهديد قد يكون مباشرا موجها إلى ذكره أو غير مباشر موجها إلى يديه و النتيجة هي ذاتها ،إذن عقدة الخصاء ترتبط إرتباطا وثيقا بنظريته في الجنسية الطفلية و التي تتأسس على إفتراض أن عضو الذكورة له دلالته النرجسية و يشكل منذ تكوينه منطقة شبقية و لا تصبح لعقدة الخصاء أهمية عند الولد إلا بعد إكتشافه للفروقات الجنسية بينه و بين الفتاة ،مما يؤثر عليه نرجسيا و هذا بتصوره للقضيب كجزء من ذاته كما أن الخصاء موجود في عقدة أوديب .

فالعمى الذي عاقب أوديب نفسه به بعد أن تكتشف له مأساته إنما هو بديل رمزي للخصاء، وتتمثل تخيلات الخصاء في المواقف المهددة التي يمكن أن يلحق منها الأذى ليجد الأب في مواقف الخصاء بدائل عنه في الحيوانات كما في حالتي "هانز الصغير" و "رجل الذئاب ".

و قد أكد في كتابه (التحليل النفسي للعصاب الوسواسي)"ما كان له أن يتخذ قرارا كهذا إلا إذا كانت رغبته المستهجنة في التخلص من أبيه العائق له قد ظهرت لديه لأول مرة و الحال أنها كانت رغبة كبتت منذ عهد بعيد، رغبة ما إستطاع أن يواجهها إلا كما واجهها في طفولته و من ثمة بقيت في مأمن من التدمير، هذه الرغبة في التخلص من الأب العائق له "[1] .

كل هذه العوامل تعزز عند الطفل واقعية تهديد الخصاء، فهو إحتمال وارد تؤكد الرؤية عند الطفلة التي حرمت من ذكرها، والتي قد تظن أنها فقدته لنفس الأسباب التي مر بها الطفل " فالطفل عندما يدرك التباين الجنسي من خلال عقدة الخصاء يتبين له أن الجنس الأخر (الفتاة) لا تمتلك مثل ما يمتلك، ولكن دخوله في العقدة الأوديبية يضعه في موقف المنافسة مع الأب الشيء الذي يعيد إلى ذهنه صورة الفتاة المحرومة من الذكر "[2].

فالتهديد الذي يطال الطفل تجعله أمام خيارين الأول الحفاظ على إستثماره النرجسي للذكر و تعلقه به، و قد تعددت إستخدمات مفهوم النرجسية في التحليل النفسي الفرويدي و إستقرت عند التعريف "التوظيف الليبيدي في الأنا و بالتالي هي الحب الموجه إلى صورة الذات و أي موضوع يعكس نرجسية الذات يكون موضوعا للحب "[3] .

1-سيغموند فرويد : التحليل النفسي للعصاب الوسواسي (رجل الجرذان) ،ت جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، ط7-،1987 ص35.

2-S Freud : nouvelles conférence sur la psychanalyse, Trd anne berman, 1936, p75.

3- د عبد الله عسكر: مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد23 ،صيف2009.

وأمام هذا التأرجح ينتصر الخيار الأول إذا سارت الأمور بشكل طبيعي فيتخلى عن تعلقه الشبقي بالأم و يحتفظ بذكره، و هكذا يتماهى مع الأب لحل عقدة الخصاء و يدمج في ذاته سلطة الأب عبر تركيبة نفسية تمثل النواة الأولى للأنا الأعلى هذا هو المخرج الإيجابي لعقدة أوديب ،و لكن المخرج السلبي لمسار عقدة الخصاء " هي تعرض الطفل للقمع من طرف سلطة الأب و هذه الأحداث قد تكون السبب المباشر للقلق و تنامي عقدة أوديب و بالتالي قد تؤثر عليه مستقبلا في تكوين شخصيته (عودة المكبوت)" [1] .

فبدلا من أن يتماهي بالأب يتماهى بالأم ويتحول موضوعه الجنسي من الأم إلى الأب حيث يتشبث ويتشبه بها، وبالتالي تظهر الإضطرابات العصابية و الإنحرافات الجنسية المثلية.

وهكذا يتبين لنا أن تماهي الطفل بالأم يضعه في موقف سلبي ،فنتيجة هذا التماهي يفقد ذكره ولكن تلقي ذكر الأب تعويضا عنه فهذا الموقف هو إنكار لتهديد الخصاء " وأخيرا فان النشاط الجنسي في السنوات الأولى من الطفولة يمكن أيضا أن يكون مظهرا من مظاهر السلوك الخفي ،فالصدمات النفسية قد تكون مصدرا للتحفيز في حين قد تظل غير فعالة وعادة ما تتكون على أثرها شخصية تافهة " [2]

عبر هذه المراحل الذكورة سابقا يطور الفرد مجموعة من العمليات النفسية الخاصة تتلخص بتركيز حقيقي لسمات وصور مستعارة من إنسان أخر، فهي لا تخرج عن إطار العلاقة بالموضوع في مختلف أشكالها، ومن بين السياقات النفسية الإدماج وهو السياق

1-SFreud : l'inquiétante étrangeté (das unheilmliche) ,Trd marie ponaparte, 1933 ,p26.

2-SFreud : l'avenir d'une illusion, Trd bonaparte, 1932, p 17.

الأول الذي يتم من خلاله النفاذ أو الحفاظ على الموضوع بداخل جسد الطفل وهذا على المستوى الهوامي، فهو يشكل هدفا نزويا ونمط علائقي مع الموضوع بإعتباره يميز المرحلة الفمية.

كما يمكن معايشته بواسطة مناطق شبقية أخرى غير التجويف الفمي فيمكن أن يكون بواسطة الجلد أو السمع، أو التنفس، أما الإجتياف فهو سياق نفسي يمرر من خلاله الفرد و على المستوى الهوامي من الخارج إلى الداخل مواضيع و خصائص مرتبطة بهذه المواضيع.

فهو النموذج الأول لكل فصل ما بين الداخل و الخارج ،إذ ترجع عملية الإدماج بالوعاء الجسدي بينما التماهيات فهي ترتبط بعقدة أوديب خاصة من خلال أثارها البنائية و تنقسم التماهيات إلى قسمين:

1-التماهيات الأولية: وهي نمط بدائي لتكوين الفرد حسب نموذج الأخر والتي لا تكون نتاج علاقة قائمة في حد ذاتها أين يقدم الموضوع كتابع، فالتماهيات الأولية مرتبطة بالإدماج.

2-التماهيات الثانوية: وهي لا تعاكسها لمجرد ترتيب زمني، بل يتعلق الأمر بالعلاقة بالموضوع التي لم يتأسس بالمعنى التام، هذه العلاقة التي لا يمكن تمييزها عن إستثمار الموضوع هي الأسلوب العلائقي الأول مع الموضوع قبل تميز الذات عن الذات الاخر هذه العلاقة تكون مميزة بسياق الإدماج ،وبالتالي فالتماهيات الثانوية هي التي تؤكد على الهوية الجنسية للفرد.

و للغريزة الجنسية هدف و طاقة و موضوع و يطلق فرويد على طاقة الغريزة الجنسية إسم الليبيدو، ليثب التحليل النفسي أن الأطفال يولدون بالغرائز الجنسية و من مظاهرها الشبقية الذاتية و أن الغريزة الجنسية تشكل أحد عوامل الصراعات النفسية بإعتبا رها صادرة من الجانب اللاشعوري .

ومنه فالجنس ليس تلك الحاجة البيولوجية الكامنة في كل جوهر حي فقط، بل و أيضا الدافع المتحايل و المتخفي وراء سلوكاتنا بدءا بنشاط اللعب، الرقص، الأحلام وصولا إلى غرائز أشد وحشية كالحرب و العدوان .

إن البحث في جينيالوجيا الجنس يصطدم في الحقيقة بجدران سميكة من السرية و الخطروالإهمال، ظلت تلازمه منذ الأزل وهو ما يصيب كل محاولة تلتمس جذوره في التاريخ، بعمى إبستمولوجى يستحيل معها الولوج إلى عالم الجنس السري و المحظور إلا عبر بوابة الجنسانية، فهل تكفي تلك الإيماءات بما في ذلك الرمزية الجسدية وتمثلا تها، أن تستوعب ما هو مكبوت في ذاتية الإنسان؟ وفعلا هذا ما أسسه فرويد بنظرته الطفرة والتي غيرت مسارالتاريخ الإنساني و نظرته العاتمة حول الجنس.

تشير هذه الحقيقة إلى أن وجود الإنسان منذ ولادته يرتبط بالجنس، بإعتبارها طاقة حيوية كامنة في جسده تجعله يقوم بواجب معين عن طريق عضو من الأعضاء، و في الجنس تتمثل هذه الطاقة التي أسماها فرويد الليبيدو و التي توجه السلوك الإنساني. ولكنه إكتشف أن الليبيدو قد لا يتجه دوما نحو الأخرين

يعد الجنس في الإنسان تعبيرا عن فعل الكيان ككل لذا يتأثر الجنس في الإنسان بعوامل نفسية و إجتماعية،و نحن نعلم أن ولادة الإنسان تعني وجود الدافع و التلقائية فالطفل كما يؤكد فرويد له حياته الجنسية فهو يركز كل إهتماماته على نفسه و بأعضائه يتحسسها مستكشفا وقد يجد سرورا في لمسها فإذا فرغ من ملاعبة نفسه، جعل يلاعب خياله و يؤانسه ناظرا إلى المرأة معجبا ببنيته الجسدية و تنتهي عند السادسة أو السابعة و تسمى مرحلة حب الذات و هذه المرحلة كما أسلفنا الذكر لها ثلاثة أطوار-

المرحلة الفمية ، الشرجية ،التناسلية .

الجنــس الإنسانــى فريــد مــن نوعه ذلك لأنه يتجاوز الحاجة البيولوجية، و قد إتفق الكثير من العلماء و الحكماء على أنه ليس في الإنســان حاجــات بيولوجيــة صــرفة، لـذا لا نستطيع تقسيم الإنسان أو تجزئته إلى كيانين متباعدين نفسي و جسدي ، فالطعام و الجنس مثلا حاجتان نفسيتان جسد يتان ، فالطعام في الإنسان يتحول إلى أفكـار، و لكنه في الحيوان أو النبات لا يتخطى حدود الغذاء، و الإنسان لا يحيا بالطعام و حده و بالتالي لا يفكر من خلاله فقط.

فالموسيقى و القراءة و التأمل و الأحلام عوامل هامة في تشكيل أفكاره و رغباته .

إن تسامــي الإنســان عن الحيوان يشير إلى أن الجنس أكثر من حاجة بيولوجية فقط، و بما أن الجنس يقع وفق مبدأ اللــذة، فإنــه لا يتجاوز الغريـزة و في هذا السياق يقول فرويد " كلما زادت حريتنــا و صراحتنــا فــي الإعتـراف بـمـا للحياة الجنسية من أثــر فــي التكويـن البشري، كان ذلك من الخير لنا و من الأفضل أن ننظر إلى الجنس نظرات موصولة ثابتة أو ندركــه فــي جملته "[2] .

ومما لاشك فيه أن الجنس يشير إلى عظمة الكائن الحي في نزوعه نحو الحقيقة،فالجنس تعبير عن واقعين إثنين:

أ- نزوع إلى إتصال حميمي للآخر لأنه يقيم علاقة عاطفية مع هذا الأخر، ويعبر عن حقيقة وجودية ما، فهو إذن حركة تدفع إلى لقاء الأخر من أجل إكتمال الكائن الحي.

ب-تعبير عن الشخصية ككل، فالرغبة الجنسية تتأثر بعوامل عدة وتمر بمراحل لنموها بدءا بالتنظيم الجنسي القبتناسلي، " وهو الذي يسميه فرويد بالفموي، والطور الثاني القبتناسلي الثانــي والذي يسميه فرويد بالطور السادي الشرجـي " [3].

1- سيغموند فرويد : تفسير الأحلام، ت-نظمي لوقا دار الهلال، القاهرة ،دط-1962، ص 132.

2- جاسترو جوزيف :الأحلام و الجنس، ت- فوزي الشتوي دار الكتاب للنشر، مصر، ج2-1467ه. ،ص 45

3- سيغموند فرويد : ثلاثة مباحث في نظرية الجنس، ت-جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ، ط1-1981 ،ص 72.

إن إشباع الدافع الجنسي كجزء هام من مركب الليبيدو يصطدم فيما يبدو بعوائق طبيعية و ثقافية شتى و لهذا يقول فرويد " و نحن نعلم جيدا أن الحضارة مكرهة على أن تنقطع من الحياة الجنسية مقدار غير قليل من الطاقة النفسية لكي تستخدمه لأغراضها "[1].

حيث يجري صراع بين الأنا والهو و الأنا الأعلى، كما تعتبر مراحل الطفولة المبكرة قاعدة لتشكل العقد النفسية الأساسية لدى الانسان.

فلا شـك فـي أن النفس و الجسد يعتبران معطيين أساسيين لحقيقتنا الإنسانية و نحـن نعلم هذا من معرفة مباشرة دقيقة يتعذر دحضها، فالجسد هو هذا الحجم الواقعي و الجلي المجزأ في المكان هو هذه البنية المادية الملموسة ذات الترتيب المعقد و المحدود الذي يتم إدراكه بوصفه ملكا لي، و بوصفه أنا ،و الجسد أيضا من المنظـور نفسه هو هذا الموضوع الخارجي الذي يماهينى معه الآخرين و الذي به يعرفوننى و يعترفون بى ،و الذي يكون في أغلب الأحيان الشـيء الأول ، و الأخير الذي يدركونه مني، أما الرغبة فهي هذه الحالة النفسية الديناميكية، هي هذه الحركة أو الحادثة الداخلية هذه الكثافة الشعورية المشحونة بالصور و الأشكال فبالرغبة يتملص الجسد من تصرفاته الآلية و يجعلنا نتذكر، فبقوة النفس يتحين الجسد و يهتز و يدرك نفسه بإعتباره نبضا حيا بها يجعل نفسه حاضرا ،كما أن للنفس أدواتها و رموزها و شعاراتها و لكن السؤال الذي يطرح نفسه على أي قواعد يجب تأسيس الجسد و النفس ؟ و ماهي التمفصلات القائمة بين معطى نفسي و بين وحدة عضوية ؟ حسب أي المعايير و الأسس يجب تحليل تلك العلاقات و التمفصلات ؟

يرى فرويد أن هوية الجسد و النفس يمثلان وجهين متكافلين متصلين و بديلين قابلين للتبادل الواقعي و سوف يلجأ فرويد لمصطلح الهو المرتبط باللاشعور

1-سيغموند فرويد : قلق في الحضارة ، ت- جورج طرابيشي دار الطليعة ،بيروت، د ط-1977 ،ص 60.

فهو الطـاقـة الأولية للحيـاة التي تخلق أعضاء الجسـد و البنيات النفسيـة علـى حـد سواء.

فالهو بإعتباره علــة عميقـة و إبداعيـة كونيــة تعبر عن نمطية النفس المرتبطة إرتباطا وثيقا بالجسد و دلالاته ،ومع ذلك يؤكد فرويد أن المرأة تحمل رغبة جنسية تفوق رغبة الرجل و من الممكن إعتبار الأنوثة كنمطية لحياة المرأة النفسية نمطية جوهرية " فليست الأنوثة إلا فعل الولادة بوساطة فرج المرأة و هذا تصور يخفي مجموعة من المـؤثرات و الطرق الإنفعاليــة المرتبطة بتقديمـات فضاء الجسد الداخلي بالرغبة في الحمل و اللذة النرجسية في أن تكون ممتلكة كموضوع حي" [1].

لقد أكد فرويـد أن ثمـة لـدى البشـري إذ ما ندعـوه دوافـع غريزيـة أو نزوات تتصـف بأن أصلهـا كامـل في مصـادر بنيــة الجسـد " و تتجلـى كقـوة مستمرة يستحيـل التملـص منهـا لأعمـال هروبيــة ، و هـي تهدف إلى إشبـاع مـن خـلال تناولهـا لموضـوع ما " [2]. فقد وجد فرويـد " أن الغريزة الجنسية و الرغبـة المرتبطـة بهــا هـي المحرك الأسـاسـي للسلوك الإنسـانــي " [3].

و لم يكتفي فرويد بإرجاع الأمراض النفسيـة إلى إضطرابات جنسية أو إلى كبت الرغبـة خاصة فـي مرحلة الطفـولة و "إنما فسـر السلـوك الجنسـي السـوي بأنـه تعبيـر عـن سلامـة هـذه الغريزة " [4] فإضطرابات الوظيفـة الجنسية يؤدي إلى مرض يسميه فرويد العصاب يقول فرويد " و قد تمنيت أن أكون قد ملأت بذلك فراغا في العلم الطبي فلم

1- أنزيوا ناي : الأنوثة من زاويـة التحليل النفسي ،ت- طـلال حـرب المؤسسـة الجامعيـة للدراسـات و النشـر و التوزيـع لبنان، ط1-1992 ،ص 25.

2- روزن بول : الحريم الفرويدي ، ت- ثائر ديب، دار كنعان للدراسات و النشر ،ط1-1985 ،ص9.

3- أحمد عكاشة :فرويد حياته و تحليله النفسي ـ مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت ،دط-دت، ص 32 .

4-المرجع نفسه ص32.

يكن ذلك الطب يلتفته في بحثه لهذه الوظيفة البيولوجية الهامة و هي الوظيفـة الجنسيـة " [1].
فما يعبر عنه الإنسان من مكبوتات ورغبات جنسية التي تأخذ أشكالا مختلفة كالرقص و التمثيل و الأحلام يقول فرويد " و لنتسائل بالأحرى عما إذا كان للحلم من معنى و عما إذا كان في وسعنا أن نغزو إليه قيمة سيرورة نفسية، العلم يجيب كلا و يعلن أن الحلم المحض سيرورة فيزيولوجية لا تستوجب أن نبحث فيما ورائها عن معنى أوعن مدلول أو عن نية، الأمر لا يعدو مجرد تنبيهات بدنية أثناء النوم " [2].

قد أكد فرويد في كتابه الحياة الجنسية بقوله " و بعد مضي بضعة سنوات و بهدي من خبرة تحليلية قاهرة إستخلصت من جملة و خبرة من الإنطباعات إستنتاجا مؤداه أنه لا مناص لنا من التسليم بأن النمو الليبيدي البشري يمر قبل مرحلة الزعامة التناسلية بمرحلة من تنظيم قبلتناسلي " [3].

إنطلاقا من المفهوم الفرويدي ندرك أن الطاقـة الجنسيـة وبتطويرها المتميز من جهة بين الرغبات ما قبل الأوديبية أو ما قبل التناسلية التي تغذيها تثبيتات طفولية و عوامل نكوصات عصابية، و من جهة أخرى بين الرغبات المكونة للتناسلية المقدمة و كأنها تتويج للتطوير الليبيدي.

فالرغبة إذن هي حالة توتر و شحن متزايدين تستدعي بإلحاح تفجيرا أي تفريغا و إسترخاء و هي تأخذ أشكالا مختلفة من بينها الأحلام يقول فرويد " الأحلام تحقيق مقنع لرغبات مكبوتة "[4].

1- سيغموند فرويد :حياتي و التحليل النفسي ت- مصطفى زيور عبد المنعم المليجي، دار المعراف للطباعة و النشر القاهرة، ط4-دت ،ص47.

2- سيغموند فرويد : الهذيان و الأحلام في الفن، ت- جورج طرابشي دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت، ط1-1978 ،ص6.

3- سيغموند فرويد : الحياة الجنسية، ت- جورج طرابشي دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ،ط1-1982 ص 105

4- سيغموند فرويد:الحلم و تأويله، ت- جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1-1982، ص50.

و هنــا نستنـتج أن الرغبـة بمثابـة الأساس المحكم الذي يسير هويـة الجسـد فمن خلالها نعبر عن مكنوناتنا و ما يخـالج صدورنا، و إن حدث العكس نعاني من برود جنسي أو عصاب أو ما شابه ذلك " فالمرأة التي تعاني من البرود الجنسي و من الكبت المرتبط بالإحساسات الجنسية غالبا ما تمثل مشكلا بالنسبة لكل من يحاول أن يكون على صلة بهـا، و المرأة التي تعاني من النقص الجنسي غالبا ما تحاول أن تعوض هذا النقص بإظهار حماسها في مجالات أخرى من النشاط"[1] .

و لهذا فقد كانت مهمة فرويد معالجة المرضى النفسانيون و الذين يعانون من أمراض متفاقمة مثل الهستيريا و الرهاب، " و ركز على أهمية الدوافع اللاشعورية، و قد رأى أن جذور الكثير من الأمراض سببه اللاشعور، أي إلى تلك الدوافع الجنسية و العدوانية التي غالبا ما يتم كبحها و إخفائها بعيدا عن الأجزاء الواعية من الذهن " [2] .

و منه فكل منا مسكون بجسد و رغبات تملأه تعبر عن شخصيته و هويته، و لكن " حقيقة الجسد تتجاوز حامله و محموله ، فهو موغل في القدم و في بؤرة الإستفهامات إنه أكثر من هوية فاصلة و من جسد بسيط ،إنه مركب و متعدد حيث تلتقي فيه الثقافات الرؤى ،الأوهام الشعورية، و اللاشعورية " [3] .

وبعـد كـل هـذا هـل بمقـدرونـا فعـلا مقـاربـة الجنـس كمـوضـوع نفسي؟ وإذا كان ذلـك ممكنـا فهـل يستحيـل تـأسيـس خطـاب مـوضـوعـي حـولـه علـى نقيـض مـمـا أنتجتـه الأسـاطيـر والأديـان والإيديـولـوجيـات؟ .

1- بسيوني محمد :التربية الفنية و التحليل النفسي، عالم الكتب قطر، ط2- دت،ص 188.

2- أروبنسون بول :اليسار الفرويدي، ت- عبده الريس، المجلس الأعلى للثقافة، ط1-2004، ص 7.

3- محمود إبراهيم : ديالكتيك الجسد و الجليد، وزارة الثقافة، دمشق، دط -2007، ص 6..

الفصل الثالث :

الحلم و لغة الجسد .

المبحث الأول :

من الحلم إلى الفنتازيا.

المبحث الثاني :

الجسد ، اللغة ، اللاوعي .

المبحث الأول:

من الحلم إلى الفنتازيا.

من الحلم إلى الفنتازيا

إن محاولة تفسير الحلم كان من بين الأمور التي شغلت الفكر منذ القدم ، فقد كانت الأحلام تعتبر أكبر مشكلة إنسانية يحاولون إيجاد مفتاح لتفسيرها، و هذا لإختلاف الآراء عبر مختلف الحضارات ، و قد تصدت لهذه المهمة الشعوب القديمة فقد كانت تولي لها الكثير من الإهتمام ،على إعتبار أن الأحلام هي التجربة الفعلية التي تخوضها أنفسنا بعد مفارقتها لأجسادنا أو تعتبر الأحلام نفحة من الإلهام الإلهي أو عملا من أعمال الشياطين ،وفي العصور السابقة كان الفلاسفة يروجون لفكرة أن " الحلم هو أصل خارق للطبيعة و حالات الحلم في نظرهم يكمن مبدؤها في حالة خاصة من النشاط النفسي أي هو ضرب من إرتقاء الروح نحو حالة عليا " [1].

و كان من المسلم به عندهم أن للأحلام علاقة بعالم الكائنات فوق الطبيعة ، و بدا لهم بالإضافة إلى ذلك أن الأحلام لابد أن تخدم غرضا يتعلق بالحلم هو كقاعدة للتنبؤ بالمستقبل لأنه تعبير عن أرفع و أشرف الملكات الموجودة فينا .

يقول فرويد " فالأحلام إنما هي رسائل كائنات إلاهية فوق مستوى البشر "[2].

ثم جاء أرسطو بتفكيره العلمي ليكون أول من أرسى وجهة النظر النفسية في دراسة الأحلام، فقد إعتبر الأحلام لون من النشاط النفسي صادر عن النائم، و ليست كما كان يدعي البعض أنها مرسلة من لدن الله "كانت الأحلام بالنسبة لأجدادنا بمثابة رسائل من الإله ،و مع أن هذا الإله خالد لم يهبط على الأرض فإنهم كانوا يعتقدون أنه يراقب الأفراد

1- د كمال وهبي ،د كمال أبو شهدة :مقدمة في التحليل النفسي ، دار الفكر العربي بيروت ،ط 1 - 1997 ،ص 74،75.

2- سيغموند فرويد :تفسير الأحلام ، ت نظمي لوقا ، دار الهلال القاهرة ،د-ط ، 1996 ، ص12.

و هم فانون في صراعهم من أجل فهم سر الحياة لقد كان للأشوريين و البابليين و السوماريين إله للأحلام"[1] .

فأرسطو هو أول من ألغى القول بالتقسيم القديم بين الأحلام الإلهية و النفسية و رد تفسير الأحلام إلى المنبهات الفيزيولوجية للحالم .

وأشار" أفلاطون إلى أن الأحلام و الخيالات ـالفنتازيا ـ هي تعبير عن رغبات تشبع، و أوضح أن المجتمع و الحضارة يؤديان دورا مهما في التأثير في فكر الإنسان و سلوكه غير أن أرسطو الذي جاء بعد أفلاطون يرفض هذا الوسيط الاجتماعي النفسي "[2] .

و قد إرتبطت هذه التفسيرات المتفاوتة للأحلام بمشكلة تأويلها، فقد كان من المتوقع منها أن تقدم حلولا لبعـــض السلوكات الصـــادرة عـــن الشخص (التخيلات) ،ولكن لم تكن كل الأحلام مفهومـــة ،هـــذا مـــا جعـــل فرويد بنظريته الجديدة أن يفسر مضمون الحلم و ما يخفيه من دوافع لا شعورية قد تتحول إلى إبداعات فنية أو العكس.
فالحلم ما هو إلا تعبير هام عن حياتنا العميقة، و إن كل الأحلام خاضعة للفهم شرط أن نمتلك مفتاحها أي تقودنا إلى فهم اللاوعي ،ومن ثم إلى فهم أعمق القوى التي تكمن وراء السلوك البشري سواء كان سلوكا مرضيا أو سلوكا سويا .

"فالحلم في مفهوم السيكولوجيا هي المادة الأولية لفهم النفس البشرية لأنها حقيقة تعبر عن ذواتنا ،وما تحمله من تعقيد و ترميز و تأويل و يستخدم الحلم على نطاق لا محدود اللغة الرمزية التي تبقى دلالاتها في غالب الأحيان مجهولة " [3] .

1-نيرس دي : الأحلام تفسيرها و دلالاتها ،ت محمد منير مرسي ،عالم الكتب ،2004 ،ص20.

2-قاسم حسين : الوجيز في إضطرابات النفس و العقل و سيكولوجية الشواذ، الكتاب العربي للعلوم النفسية ،الإصدار عدد 26 .

3- د كمال وهبي و د كمال أبو شهدة :مقدمة في التحليل النفسي ـ مرجع سبق ذكره ـص 68.

كما يؤكد علماء النفس على أهمية الأحلام في تفسير الحياة النفسية بإعتبارها إنعكاس لعمليات متخفية تحمل وجها دلاليا كامن يعكس رغبة لاشعورية مدفونة داخل العمق النفسي مع ما يصاحبها من إنفعالات و ذكريات تشكل المضمون الخفي للحلم " فللأحلام موارد أخرى ، فإن التوصل إلى الأمور المرتبطة بكل محتوى من محتويات الحلم بعد أخر يتيح للفرد أن يتغلغل في الذكريات "[1] .

فأهم مورد تستمد منه الأحلام تفاصيلها المهجورة و المنسية هي مرحلة الطفولة ، فالطفل يسعى جاهدا لإشباع رغباته الغريزية المحصورة في الوظائف الجسدية أي مناطق اللذة ،فهو لا يستطيع أن يدركها مع عائلته فيمحوها في منطقة اللاشعور لتبقى مكبوتة في ذاكرة الطفل و لكنها مشحونة بطاقات تسعى للظهور والتنفيس بطرق مختلفة منها الأحلام ، فإنطباعات من طفولتنا قد تظهر في الحلم مع أنها في اليقظة تبدو بعيدة عن تناول الذاكرة ،و للأحلام جزء مهم من التطور البشري ولعل الإنسان قد لاحظ منذ القدم أن أحلامه ساهمت كثيرا في إنجازاته وفي إكتشاف قدراته.

فهو يقدم لنا مصدرا لمعلومات قيمة و التي تكمن في المادة اللاشعورية أو التغلغل في الأنا، فالقوام الأساسي لعمل الحلم هو المعالجة اللاشعورية لأفكار ما قبل شعورية وهنا يميز فرويد بين اللاشعور وما قبل الشعور في علاقتهما بالشعور ،فالأفكار الموجودة فيما قبل شعورية تكون قريبة من الشعور و تعمل كوسيط بين الشعور و اللاشعور ،كما يمكنها أن تصبح شعورية بسهولة ،أما الأفكار الموجودة في اللاشعور فلا تصير شعورية إلا بعد جهد كبير و إن الشيء المكبوت في اللاشعور لا يصير شعوريا مباشرة و إنما يتصل بالصور اللفظية الموجودة فيما قبل الشعور ليصير شعوريا وفي هذا الصدد يقول فرويد " ونحن نرى مع ذلك أنه يوجد نوعان من اللاشعور الذي يكون كامنا و لكنه

1- جوزيف جاسترو : الأحلام و الجنس نظرياتها عند فرويد، ت :فوزي الشتوي ،دار الكتاب المصري ،ج2 –د ت ،ص 83.

يستطيع أن يصبح شعوريا فما هو كامن و لاشعوري فقط بالمعنى الوصفي و ليس بالمعنى الدينامي فإننا نسميه قبل شعوري، أما لفظ اللاشعور فأننا نبقيه للمكبوت اللاشعوري بالمعنى الدينامي ،وما دمنا لا ننسى أنه يوجد من الناحية الوصفية نوعان من اللاشعور، أما من الناحية الدينامية فلا يوجد إلا لاشعور واحد فقط " [1] .

فكتاب تفسير الأحلام كان بمثابة الإنقلاب الرئيسي الذي إنتقل من خلاله فرويد من العالم البيولوجي الفيزيولوجي إلى عالم التفكيك وإكتشاف الرمز و هذا بمعرفة المسببات السيكولوجية و البيولوجية و حتى الفيزيولوجية ،هذا الكتاب له إعتباره الشخصي عند فرويد لأنه كما يؤكد أنه جزء من حياته الخاصة بعد وفاة والده ،فتصديه للكتابة في موضوع الأحلام كان بمثابة رد فعل لفاجعته في أبيه ،فقد كان الهدف الأول من الكتاب هو أن يصنع من تأويل الأحلام علما ، و الغاية من ذلك فهم الإنسان و تفكيك سلسلة العقد المكبوتة و التي تلازم الشخص منذ طفولته ،فغالبية الأحلام الطفولية تدور حول موضوعات جنسية لا ترضى عنها النفس أو بالأحرى الأنا الأعلى ، فمصادر الأحلام هي دائما من أكثر ظواهر العقل بدائية لذلك لا تتفاعل ولا تشرح نفسها بنفسها ولكن بداخلها التعقيد و الرمز و التأويل .

على إعتبار أن الحلم يشكل نوعا من التواصل لأحداث طفولية فلابد من قراءته و إعطائه دلالات نفسية وهذا من خلال طرح سؤال جوهري و هو ما علاقة الحلم بماضينا ؟و لماذا نحلم ؟ و هل له علاقة بالعمليات الباطنية ؟

1- سيغموند فرويد : الانا و الهو ،ت محمد عثمان نجاتي ،دار الشروق، بيروت لبنان، ط 4- 1982 ،ص 25.

فأحلامنا تدور حول موضوعات جنسية لا ترضى عنها النفس، ومن ثم تحاول رغباتنا الجنسية أن تستتر و تخرج من اللاشعور إلى الشعور عن طريق الرموز التي تشير و لا تفصح و تنتهز فرصة النوم لتبين في شكلها الحلمي بالتمويه على الرقابة النفسية التي تفرضها النفس على كل رغبات محرمة، ففي النوم تضعف الرقابة و تلجا الأحلام إلى الترميز لما للحلم من دلالات و معاني فهي تعكس كل ما هو باطن و كامن في النفس من نزوات و صراعات بسبب ما تشكله الحياة اليومية من ضغوطات، ومن هنا فهو يعتبر بمثابة متنفس للجسد و النفس .

" و في الأحلام قد نشبع دوافعنا الجنسية و دوافع العدوان أو قد نحاول أن نشبعها و تطلعنا الأحلام على حقيقة الإعتبارات الجنسية و العدوانية في الحلم ،وهنا يكشف الحلم مجمل الصراعات و التي هي محتوى الحلم ،فتفسير الأحلام هو الطريق الملكي لمعرفة خفايا النفس الإنسانية " [1] .

فالحلم ليس أمرا مستقلا عن سائر أحوال النفس بل هو يتصل بها أوثق الإتصال ويكون حلقة من حلقات الحياة النفسية، فكل رمز أو حركة في الحلم هي ذات دلالة ولها تفسير في أعماق شخصية الإنسان الحالم فذلك المحتوى الثري للأحلام إنما هو نابع من النفس وما تحتويه من مكونات شعورية و لاشعورية .

من خلال الأحلام يستطيع الإنسان أن يتصل مع جذور ذاته و مع حقائق إحتياجاته و مواطن كبته ، فالحلم في مفهوم السيكولوجيا هي المادة الأولية لفهم النفس البشرية، فقبل ذلك كان الإنسان يتأمل و يتفلسف و يبحث عن الحقيقة الكونية خارج ذاته ولكن مع علم النفس بزعامة فرويد كان التغيير الجذري ،إذ إعتبر الحقيقة كامنة في ذاتنا

1- سيغموند فرويد :الأنا و الهو ـمرجع سبق ذكره ـص 25.

وهي تحمل الترميز و التعقيد والإنفعال .

كما أن الحلم هو في النهاية عامل موازنة للمصالحة مع التأثيرات النفسية و الضغوطات اللاواعية والرغبات المكبوتة، بإعتبارها تعبر عن الحيز اللاعقلاني من شخصيتنا لأنها تنطوي في دواخلنا على قوى و رغبات لا نعي منها شيئا ، " فمعظم الأحلام هي في الواقع صراع يحاول فيه الشخص أن يحقق رغبته فإن نجح فذاك و إلا فقد يستيقظ و هو ما يزال في صراع و كل ذلك يجري بأسلوب النفس القديمة أي بذلك العقل الباطن الذي لا يعرف الطرق الحديثة لحل المعضلات التي تعترضنا "[1] .

هذا هو المنطلق الذي يجعلنا نحاول فهم رمزية الحلم و مصدره، فالأحلام تتقنع كي تهرب من طريق الرقابة الواعية التي لن تسمح بمرورها عارية لذلك تختفي الأحلام وراء الرموز كي تتسلسل إلى اللاوعي، فاللاوعي يختص بأمرين أساسيين و هما أننا لا نعي وجود اللاوعي كما أن هناك رقابة شديدة تحول بيننا و بين وعينا لها .

" لفهم الأحلام العميقة المعنى والرمزية المصدر الأحلام نزيهة و لكنها تتقنع كي تهرب من طريق الرقابة الواعية التي لن تسمح بمرورها عارية لذلك تندثر الأحلام بالرموز كي تتسلل إلى اللاوعي و إلى الأحلام " [2].

فالأحلام قد تؤدي إلى الكشف عن كثير من أسرار النفس و طبيعة الشخصية لهذا ،يسعى العلماء و المحللين النفسانيون إلى حل شفرتها و فهم أصولها ،من خلا ل تأويلها فالتأويل هو صميم تقنية التحليل النفسي الذي يقوم على التداعي الحر من خلال تفسير و كشف ما وراء الحلم فالأحلام نشاط نفسي يصدر عن الحالم و يقبل التأويل ، فالتحليل

1- سلامة موسى :العقل الباطن، كلمات عربية للترجمة و النشر، القاهرة ،دط-،2011 ،ص 38.

2- رمزي النجار: أحلامك تحت مجهر علم النفس، معجم موسوعي سيكولوجي ،دط-1987،ص 10.

النفسي الذي يقوم على التداغي الحر من خلال تفسير و كشف ما وراء الحلم ، فتأويل حلم في نظر فرويد هو أن تعطي له معنى و مغزى و تسلكه ضمن الأفعال النفسية كمادة لها قيمة و شأن كغيرها من المواد النفسية، و يقوم تأويل الحلم على فرضية أن ما نتذكره منها بعد اليقظة ليس هو عملية الحلم الحقيقية و أن للحلم مادة ظاهرة و أفكار كامنة.

"وعلى هذا توصل فرويد إلى الإفتراض أن طبيعة الأحلام هي التحقيق الوهمي لرغبات لاعقلانية "[1] ،هذه الرغبات اللاعقلانية التي نراها محققة في الحلم تعود بجذورها إلى طفولتنا و أنها عاشت في أعماقنا عندما كنا لا نزال أطفالا، فالقاعدة التي يجري عليها العمل في الحلم ،"أن مشاهدة الطفولة لا تمثل في تفسير المحتوى الظاهر للحلم إلا تلميحا و ليس من سبيل إلى تبنيها فيه إلا من خلال التفسير ،و التفسير هو الذي يجلو أمرها و يخلصها مما علق بها و مما يضللنا عنها " [2].

فلغة الأحلام ليست لغة الجذور بل هي لغة متشعبة العلاقات و من ثمة يصفها "إريك فروم" على أن لها علاقة باللغة البدائية و لغة الأساطير و هي تعبر عنده باللغة المنسية .

و من ناحية أخرى فالأحـلام ترتبط إرتباطا وثيقا بلغـة الفـن و الإبـداع ، و هنـا يستوقفنا الإشكـال الآتي ألا يبـدو الفنـان في كثير مـن الأحيان شخصا يحاول إستعادة تلك اللغة التي تعبر عن مكبوتاته يستعيدها حين يبدع و حين يحلم ،إن الإبـداع الفني في نظـر فرويد أشبـه ما يكون بالحلم حين ينفلت عن الرقابة فتكون فيه الصورة رمزية لها باطن و ظاهر ، و يصرح فرويد أن الرمزية ليست خاصية من خـواص الأحلام فقط بل من خواص التفكير اللاشعوري .

1- إريك فروم : الحكايات و الأساطير و الأحلام ،ت صلاح حاتم ،مكتبة الإسكندرية ، دط دت ،ص49.

2- سيغموند فرويد: تفسير الأحلام ، ت عبد المنعم الحفني ، الدار الفنية للنشر و التوزيع، ط 1 ، 1988 ،ص 278.

فالرمز بمعناه الواسع في التحليل النفسي يمثل تصويرا غير مباشر للأفكار و الرغبـــات اللاشعورية و قد عـده فرويد أحـد ميكانيزمات تفسير الأحلام، فقد أفرد له بحثا مطولا في كتـابـــه(تفسير الأحلام) ليشير إلى العلاقـــة الثابتـة بيـن عنصـــر الحلـــم و تأويلـه فسمـــاه العلاقة الرمزيـــة .

الرمزية لغة عالمية و عامة و شائعة و كونية، و هنا يتأكد بأن الرمز يدل على أن طبيعة العقل البشري واحدة في الأساس و الفروق الموجودة هي فروق داخل قوانين العامة "و قد تستخدم الرمزية في الأحلام و الأساطير و الخرافات و الأقوال و الأغاني الشعبية وفي اللغة الدارجة وأخيلة الشعراء و ميدان الرمزية متسع و ليست الرمزية في الأحلام إلا جزءا صغيرا منها " [1]، كما رمز الحلم هو تعويض لفكرة لاشعورية تخفي وراءها أفكارا مستترة.

إن تأويل الأحلام من وجهة نظر نفساني يستند إلى دعامتين أساسيتين أولهما : تداعيات الحالم و ثانيا تأويل الرموز ، فبالنسبة للرموز فهي تشمل و تمتد بجميع أشكال حياة الأسطورة كالدين و الفن "الرموز هي شيء يقوم مقام شيء يشير إليه ،فالرمزية تقوم على ثلاث مبادئ هي التشابه في الشكل ،التشابه في الوظيفة ،التشابه في الإنفعال الذي يحركه الرمز و المرموز إليه " [2] .

فالتصورات اللاشعورية تترجم صورة رمزية يشير إلى منظومة من الدلالات و التي يمكنها أن تتوافق مع عناصر لاشعورية و هو نتاج عمل يهدف إلى فعل التكثيف ،الذي لا يتحقق إلا عن طريق الحذف ،بمعنى أن الحلم ليس ترجمة أمينة للأفكار التي تحفز إليه

1-عبد المنعم الحفني: المعجم الموسوعي للتحليل النفسي، المجلد الثاني ، دار نوبليس، بيروت ،لبنان، ط1- 2005، ص28.

2- د كمال وهبي و د كمال أبو شهدة :مقدمة في التحليل النفسي ـ مرجع سبق ذكره ـص 82.

و لا هو إسقاط لهذه الأفكار نقطة بنقطة، و إنما هو إستحضار لهذه الأفكار إستحضارا منقوصا بشدة و يغيبه أنه حافل بالثغرات إلى أبعد حد ، فيمكن للرغبات المكبوتة خاصة الجنسية أن تجد لها ترجمة لها داخل المضمون المعلن للحلم عبر صور و رموز و كيفيات مناقضة تماما لمبدأ تحقيق هذه الرغبات ،ومع ذلك فهذه ا لعمليات تكشف عن الدلالة الحقيقية وفقا لمبدأ التداعي .

وهذا للكشف عن هواجس النفس و عللها الباطنية ،عبر إثارة الذكريات المكبوتة من أجل إيجاد علاج يخفف وطأة الأمراض النفسية و هذا بمعرفة كنهها و تأسس إنطلاقا من هذه الأبحاث العيادية إجراء نقدي ينصرف إلى دراسة و فهم الأعمال الأدبية إعتمادا على الثالوث الدينامي للحياة النفسية وهي :الأنا ، الأنا الأعلى ، الهو .

و كان فرويد منذ عام" 1907" قد بدأ في تطبيق التحليل النفسي على الأعمال الأدبية و الفنية خاصة أعمال ليوناردو دافينشي وديستوفسكي " لقد كان ليوناردو دافينشي حالما و كان نحاتا و مهندسا ، موسيقيا و كاتبا مخترعا مرموقا"[1] ، "فقد وجد الحاجة الماسة لإيجاد منبرا علميا ينشر فيه الأعمال الأدبية و الفنية مع تلاميذه" [2].

و قد أكد في كتابه تفسير الأحلام "إن هدفي الأول أن أثبت بصورة قاطعة أن تفسير أحلامنا على ضوء المنهج النفسي أمر مستطاع و أن إتباع ذلك المنهج كفيل أن يدلنا على الصلة بين موضوع أحلامنا و ما تضطرب به نفوسنا من الشواغل " [3] .

و قد إعتمد فرويد على منهج يخضع لتقنية يصح وصفها بأنها الطريقة

1- نيرس دي : الأحلام تفسيرها و دلالاتها (المرجع السابق) ،ص 48.

2- د : أحمد عكاشة :فرويد حياته و تحليله النفسي ، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر ، بيروت ،.،دط دت ،ص 53.

3- سيغموند فرويد :تفسير الأحلام ، ت نظمي لوقا ، دار الهلال القاهرة ،د-ط ، 1996 ، ص12.

النظـاميـة لتـأويـل الأحـلام ، و تقـوم هـذه التقنيـة علـى غـض النظـر عنـد التلاحـم الخـارجي للحلم الظاهر و على تناول كل جزء من مضمونه على حده و علـى طلـب إشتقاقـه من إنطباعـات الحـالم و ذكـرياتـه و تداعياته الحرة "[1].

و الحقيقة أن الفن يزداد ثراء لما يحتويه من رموز، و كلما كان لهذه الرموز صدى في اللاشعور كان هذا داعيا بظهورها عند تصويرها و هي تحمل معاني تعبيرية قوية . و قد إعتبرفرويد الأحلام خير وسيلة للبحث و التي يمكن أن نأمن إليها للكشف عن عمليات النفس العميقة وفهم بنيانها .

و لذلك كلمـا إستطـاع المحلل أن يفك الرموز و يقرأ ما تنطوي عليه المعاني، يكون قد وصل في تفكيره لتكوين المادة التي تعنيه في تشخيص بعض ما يعانيه هذا الفنـان فالنزعات اللاشعورية تعتبر مصدرا مهما لفهم صورة الحلم و الإستفادة منها ، يقول فرويد " تستخدم الأحلام الرموز من أجل تصوير الأفكار الكامنة تصويرا مقنعا ،ومن الرموز المستخدمة عدد كبير يعنى أو يكاد يعنى دائما بذات الشيء ،غير أننا لا يجب أن ننسى المادة النفسية لها هذه الميزة إنها مرنة بشكل عجيب و من الممكن في أحيان كثيرة ألا ينصرف الرمز كما يجئ في محتوى الحلم إلى معنى رمزي و إنما إلى معنى حرفي " [2]

ففرويد يركز على أهمية العناصر ما قبل شعورية التي توجد في الذاكرة القريبة و توظف لإنتاج المضمون المعلن للحلم، فأغلب الذكريات ترتبط بماض قريب و يسميها فرويد ببقايا أحداث النوم ، فقد يحدث تشويه في محتويات الحلم عن طريق ميكانيزمات دفاعية أو نظام الرقابة اللاشعوري حيث يعمل على منع خروج الرغبات المكبوتة إلى الوعي و يتم تشويه الحلم بعدد من الميكانيزمات وهي التركيز، التحويل، أو الإبدال التمثيل البصري ،المراجعة الثانوية، فالأحلام في نظر فرويد لها وظيفة إشباعية تنفيسية

1- سيغموند فرويد : الهذيان و الأحلام في الفن ـمرجع سبق ذكره ـ ص 83.
2- سيغموند فرويد : تفسير الاحلام ـ مرجع سبق ذكره ـص 46.

كما أنها ذات طبيعة نكوصية ترتبط بخبرات الطفولة خاصة الرغبات المكبوتة و المؤلمة و المرتبطة بالجنس و العدوان، حيث أن الإشباع ليس بالضرورة يرتبط باللذة بل قد يرتبط بغريزة العدوان كما أنها قد تعمل كميكانيزم لتشويه الحلم و إخفاء الرغبات من الظهور إلى الوعي .

و يؤكد فرويد إلى أن الولد " يوطد الرغبات الجنسية حيال الأم و إدراك الأب كعائق في وجه هذه الرغبات عقدة أوديب و بدءا من هذه اللحظة المتضمنة منذ البداية في التقمص قد أصبحت جلية "[1].

و يؤكد فرويد أن أغلب الأحلام هي إدراك لمكونات الليبيدو و التي ترتبط بالعقدة الأوديبية و لكن ليست بالضرورة تحمل دلالات جنسية ،فهناك رغبات ترتبط بماضي قريب و الحالم قد يحلم بأحداث الأمس القريب و لكن هذه الأحداث رغم أهميتها التي تظهرها في الحلم إلا أنها تبقى ثانوية .

كما يمكنها أن تستند إلى المرحلة الطفلية التي تعود إلى ذكريات بعيدة جدا في مرحلة الطفولة و هي المرحلة التي تنتظم من خلالها ،و على نحو لاحق الحياة اللاشعورية للنفس البشرية ومن بين الأحلام التي حللها فرويد سرد إحدى السيدات لحلمها و المتمثل في أنها حلمت بأن إبنتها قد توفيت و هي لم تتجاوز بعد السابعة عشر من عمرها ،فكان تفسير فرويد أن السيدة كانت قد تمنت الموت لإبنتها و ذلك على نحو شعوري، ثم أصبحت هذه الرغبة لاشعورية تعبر عن الماضي الدفين ،فالأم عندما كانت حاملا بإبنتها ضربت نفسها من أجل إجهاض نفسها و هذا على إثر شجار حدث بين الزوجين فتفسير فرويد للحلم كان وفق قراءة للمحتوى الظاهر المعلن .

---

1 -د عبد المنعم الحفني : التفسير النفسي للأحلام ،دار نوبيليس، ط1 ، 2005،ص 21 .

و الذي يفسر بدوره المحتوى الكامن ،أما في الأحلام المعقدة فيأخذ المضمون المعلن صيغة مبهمة و غامضة للمضمون اللاشعوري و يصف فرويد هذه العملية بمفاهيم مثل التكثيف و الإزاحة و الترميز و الدراماتية .

" فالحلم تحقيق رغبة ليس فقط بتطبيق الآليات الحلمية النموذجية للسيرورة الأولية إستخدام الصور ،الترميز، الإنزياح، التكثيف و لكنه أيضا بواقع مفاده أن المسألة ليست مسألة فعل طاقي واقعي يجند الحركية ،ذلك أن كل شيء يحدث على النمط الإستيهامي هذا التفاوت فيما يخص المستوى هو الذي يتيح الإشباع إلى حد معين ومع التحولات المقابلة للرغبة ذلك أن علينا أن لا ننسى الرقابة و نجوعها الجزئي "[1] .

فا**لتكثيف** يعمل على تجميع الأفكار المنفصلة و توحيدها في صورة واحدة، و بذلك فإن عنصرا من المحتوى الظاهر للحلم يكون مكان تجمع و تكثيف أكثر من عامل ،و بتأثير من الأفكار الكامنة و المحتوى الضمني فهو يعمل على جمع مواضيع أحداث في منتوج ظاهر يبدو ملخص و لكنه غنيا يقول فرويد " إن أفكار الحلم قد أجريت عليها عملية تكثيف ضخمة و الحلم شيء ضخم هزيل ملئ بالثغرات إذا قورن بما عليه أفكاره من إتساع و غنى، و كتابة الحلم قد تملأ نصف الصفحة بينما كتابة الحلم و رصد الأفكار التي يأتي بها التحليل قد يتطلب تلك المساحة ربما ست مرات أو ثماني مرات أو إثنتي عشر مرة "[2] .

أما الإزاحة فهي سيرورة تعمل على نقل الطاقة النفسية من تصور إلى تصور أخر و يشمل إزاحة الرغبات المرفوضة برغبات تستدعي التكيف، كما تلعب دورا مهما في مخادعة الرقابة الشعورية أما مفهوم **الدراماتية** هي تعبر عن وضعية أو أفكار مجردة فتتطلب من

1- د بيلاغرانبرغ : النرجسية دراسة نفسية ،ت وجيه سعد ،منشورات منشورات وزارة الثقافة دمشق ، دط - 2000 ص 36 .

2- سيغموند فرويد : تفسير الاحلام - مرجع سبق ذكره - ص 56.

أجل أن تدخل في الحلم أن تتحول إلى صور دراما أو صور شاعرية و هذا ما يتجلى بوضوح في الفن ،فهو يمثل في بعض الأحيان بالنسبة للمريض الصفحة التي تمكنه من أن يعكس عليها ألوان صراعاته و مكبوتاته " فكل تفصيل من تفاصيل الحلم هو بكل معنى الكلمة تمثيل في مضمون الحلم لزمرة من زمر الأفكار المتناثرة تلك "[1].

فالعلاقة قائمة بين مضمون الحلم الباطني و مضمونه الظاهري ،بمعنى للحلم ظاهر و باطن أي المحتوى الظاهر للحلم و المحتوى الكامن للحلم ،و للتعرف على المحتوى الباطني وجب فك شيفرته ،إذ يستخدم الحلم التمويه للتستر على محتواه الباطني إلا أن الأحلام ليست من صنف واحد فمنها ما هو واضح لا يقبل التأويل و هي أحلام و اضحة و معقولة ومنها ما هو رغم وضوحه إلا أنه يثير الدهشة ،أما الصنف الثالث فهو الذي يتعارض فيه مضمون الحلم الظاهر مع مضمونه الباطن ،مما يضفي بوجود علاقة خفية بين الطابع المبهم و اللامفهوم للحلم و بين صورة الحلم و بين المقاومة التي تواجه كل محاولة لكشف المكبوت، فالعملية التي تحول الحلم الكامن إلى ظاهر تسمى عمل الحلم .

ولشرح المحتوى الظاهر للحلم، يذكر فرويد في كتابه "تفسير الأحلام" أننا نستنبط معنى الحلم من محتواه الظاهر وهو البديل المحرف لأفكار الحلم اللاشعورية ،وهذا التحريف هو نتاج لعمل قوى الأنا الدفاعية أي المقاومات، ففي حياة اليقظة تعمل قوى المقاومة على منع الرغبات المكبوتة في اللاشعورمن الولوج إلى حيز الشعور كلية .

---

1 ـ سيغموند فرويد : الحلم و تأويله ،ت جورج طرابيشي، دار الطليعة لبنان ،ط4 مارس 1980،ص 18.

أما في حالة النوم فتتراجع هذه المقاومات التي كانت تظل على قدر من القوة الكافية لإجبار الأفكار المكبوتة على رداء التخفي و" لذا فالحالم لا يستطيع فهم معنى أحلامه إلا بقدر ما يستطيع الهستيري فهم أعراضه و مغزاها " [1] .

أما المحتوى الكامن فهو الكشف عن باطنه وهذا من خلال الإنطباعات الجسدية و النفسية التي ترتبط بذكرى الطفولة ، "و قد تمتد صلة الحلم بحوادث الحياة الماضية البعيدة و خاصة الصدمات الإنفعالية و التجارب العاطفية التي لا تنتهي وفقا لرغبة الشخص وهنا تتضح فائدة الحلم في كونه تحقيق لرغبة مكبوتة " [2] .

أما العملية التي تنفذ من الحلم الظاهر لتصل إلى الحلم الباطن تسمى عمل التأويل، يقول فرويد "ويمكن تقسيم الأحلام إلى ثلاث فئات في الفئة الأولى نضع الأحلام الواضحة المعقولة التي تبدو مستعارة بصورة مباشرة من حياتنا النفسية الواعية لا تكاد تستهل إهتمامنا لأنه ليس فيها ما يدهش، ومجموعة الأحلام المعقولة التي لا تكف معناها بالرغم من وضوحه التام عن إدهاشنا لأن ما من شيء فينا يبرر نظير تلك الإهتمامات ،و أخيرا الأحلام التي تفتقر إلى المعنى و الوضوح معا الأحلام المتفككة " [3] .

1- سيغموند فرويد : خمس محاضرات في التحليل النفسي، ت د نيفين زيور، مكتبة الأنجلو المصرية ،دت ـ دط ص 40.

2- د بيلاغرانبرغ : النرجسية دراسة نفسية- مرجع سبق ذكره ص 36 .

3- سيغموند فرويد : الحلم و تأويله، ت ج طرابيشي، دار الطليعة لبنان، ط4 مارس 1980 ،ص 17،18 .

لنطرق الآن باب الأحلام بأضخم مؤلف عند فرويد المتمثل في (تفسير الأحلام) التي توصل فيه إلى نظرية خلاصتها أن الأحلام عملية يقوم بها اللاشعور لإشباع ما بداخله مـن دوافــع مكبوتة و هذا فعلا ما ينطبق على الفنان .

و هنا ستوقفني إشكاليتين: الأولى هل الحلم يتضمن ذكريات من مرحلة الطفولة ؟ و الثانية: هل وظيفة الحلــم تشويــه و إخفــاء للمعنى الحقيقي للحياة النفسيــة ؟ أم أن الحلـم هــو المعبر الوجداني و الحقيقي لهـــا ؟ إن أغلب الدراسات النفسية أفضت إلى أن سيرورة الحلم تنتج من طبيعة نظرتنا إلى الواقع الذي نعيش فيه وإلى حالاتنا المزاجية فكل حلم هو محاولة لحل صراع مكبوت، ذلك ما يجعل طبيعته مبهمة و يبقى لغزا مبهما إلى حين تفسيره ،فتفسير الأحلام هو أحد ركائز التحليل النفسي، و تكون مهمة المحلل النفسي هي أن يتخطى التفاصيل السطحية و التي تعرف بالمضمون الظاهر و يفسر بالمضمون الكامن و هو المعنى الرمزي للحلم، كما يرتبط تفسير الأحلام بما في أذهان الناس من إنطباعات و ميولات تعكس التجارب الحياتية لديه .

تفسير فرويد لمعنى الحلم مبني لرؤية أكبر عن الطبيعة البشرية ،فالنفس البشرية في صراع مستديم مع طبيعتها البدائية الحيوانية و التي تحتوي على جوهر الروح أسماها فرويد "الهو" ،أما "الأنا و الأنا الأعلى" تطورت تدريجيا لتنتج الرغبة في الحياة ،و طبيعة البيئة الاجتماعية ،إن قوانين المنطق التي تحكم عالمنا الواعي لا تنطبق على مملكة النوم لابد إذن عند تأويلنا للأحلام من أن نستبدل الحصر بالإثارة الجنسية ،فالحصر الناشئ عن هذه الإثارة يمارس في أغلب الأحيان تأثيرا إنتقائيا على مضمون الحلم و يدخل على هذا الأخير عناصر تمثيلية توافق في الظاهر حسب التصور الواعي و المغلوط للحلم التأثر الحصري .

لقد قدم فرويد طريقة تجعل تفسير الأحلام ممكنا ،به نطل على معظم أسرارنا النفسية حيث يبين أن أغلب أحلامنا الغرض منها إرضاء لرغباتنا و التي يحكم عليها المجتمع بأنها غير مقبولة ،كما يؤكد على أن الحياة الحالمة بنفس أهمية الحياة الحقيقية كتجريد لإظهار الضروريات ،ففي كل حلم هناك قصة أخرى أكثر مما ترى العين ،فللحلم وظيفة ديناميكية و المتمثلة في التنفيس الإنفعالي و خفض درجة القلق الناتج عن الصراعات اللاشعورية ، لقد إستطاع فرويد أن يجد قراءة جنسية تقريبا لكل صورة من الحلم كما شرح العقل بمصطلحات ميكانيكية ،لقد تصور المخ كشبكة عصبية معقدة حيث تضع الخلايا العصبية شحنة كهربائي، و لذلك تحتاج إلى إعادة الشحن و تصور أن الأحلام تحدث أثناء إعادة الشحن .

إن ربط أحلامنا بالذكريات الطفولية يعتبر عند فرويد المخرج الرئيسي الذي يسهل علينا فهم اللغز الموجود في حلمنا و بصورة مرضية ومقنعة إلى أبعد الحدود، فالأحلام هي منتوج نفسي يبدو ظاهره بدون معنى ، لكنه هو السبيل الأساسي لمعرفة أنماط التعبير عن الرغبة اللاشعورية ، و هذا بإرجاع أحلام الفنانين الغامضة و اللامفهومة إلى النمط الطفولي إنه عند فرويد" أن ما يشفى يكون مرتبطا بحادثة في الطفولة الباكرة و هذه الحادثة مكبوتة و لأنها مكبوتة تظل تعمل " [1] .

وغالبا ما تستعيد الذاكرة في الحلم إنطباعات من طفولة النائم الأولى، و هذا يؤكد بأن هذه الإنطباعات ما كانت منسية فحسب بل أصبحت لاشعورية بفعل الكبت، و لهذا لا يسعنا إلا أن نحاول أن نعيد بناء طفولة الحالم .

1- اريك فروم: فن الإصغاء ،ت محمود منقذ الهاشمي ،دار اتحاد كتاب العرب دمشق، دط ، 2004، ص 80 .

و إذا حاولنـــا تفسير هذه الظاهرة نطـــرح الإشكال الاتي :

- ألا يمكننا البحث عند الطفل عن بداية النشاط الفني ؟ ،إن العمل الملائم و المفضل في حياة الطفل هو اللعب و هنا يمكن القول بأن كل طفل يلعب يكون فنانا من حيث أنه يخلق عالما خاصا به " فهو يعيد تركيب الأشياء الموجودة في هذا العالم الذي يعيشه على شكل تركيب جديد "[1] والطفل من خلال اللعب يكتشف حقائق العالم أكثر فأكثر بعينه هو و هو يبحث بكل الحرية عن سند أو دعم في الأجسام والأماكن التي يتخيلها في الأشياء الملموسة و الظاهرة في العالم الحقيقي .

فالفنان يتصرف مثل الطفل الذي يلعب إنه يبدع عالما خياليا متأثرا بعدة عوامل، و لكي نعرف التضاد الموجود بين الحقيقة و اللعبة ، عندما يكبر الطفل يتوقف عن اللعب و عندما يجبر خلال سنوات التطور النفسي والجسدي على إدراك حقائق الحياة، فإنه يتوقف عن اللعب و بالتالي يتخلي تدريجيا عن المتعة التي يجدها فيه لكن العارف بالحياة النفسية للإنسان يعلم أنه قلما توجد أشياء أصعـب مـن التخلـي عـن المتعـة ، فحتى المراهق عندما يكبر فإنه لا يتخلى عن أي شيء عند توقفه عن اللعب فهو عوض أن يلعب " فإنه يعطي إهتماما لخياله و أوهامه و هذا ما يسمى أحلام اليقظة "[2].

كما أن معظم الناس في مراحـــل معينـــة مـــن حياتهم يبدعون من خلال خيالهم وهذا بالعودة إلى الذكريات الطفولية خاصة المرتبطة بالجنس ،وفي هذا يؤكد فرويد أن جميع المواقف تقريبا التي تعرضها علينا أحلامنا ليست شيئا أخر سوى ترجمة لذكريات طفولية.

وفي الواقع فإن" فرويد قد أدرك في وقت مبكر أن الحلم يمثل الإنجاز المتنكر لرغبة منسية أو على الأقل محاولة إنجاز الذي يأتي ليضاف إلى تحقق أمنية أكثر راهنية بإستعمال عناصر و أحداث اليوم السابق و بتساؤله عن الأسباب التي تجعل الأمنيات السرية

1- Sigmund Freud: assai en psychoanalyze, appliqué ED folio gallimard (SD), p69.
2-I.BID p70

التفكير المستتر تتحول لتؤلف هذه القصة بلا رأس و لا مؤخرة هذه السلسلة الغريبة من الصور و الأقوال التي نعرفها جميعا المحتوى الظاهر كان فرويد قد توجه إلى وضع الحلم في نفس مستوى العرض " [1] .

فقد تحدث فرويد عن العمل الفني بإعتباره من أعقد المشاكل لأنه يرتبط بالأعماق الدفينة للفنان و التي إنبثق عنها فنه ، ومن ثمة فهي لا تنظر في نتاج فني ملموس قدر نظرها في منبع و علة و كيفية حدوث هذا النتاج ، و هي أعقدها لأن البدايات الكاملة غالبا ما تكون غامضة عن العمل الفني الظاهر، فإكتشاف الدافع الدفين في أعماق الفنان هو الذي يحركه لكي يبدع معبرا من خلالها عن رغباته و أحلامه و أماله ، و قد يظهر الإبداع من خلال الشعر أو الموسيقى أو الرسم و الحق أن عالم الأحلام عالم رحب لا يعرف أي نوع من القيود أو الحدود ، ولا تخضع فيه الأشياء إلى منطق يؤلف فيما بينهما و ينظمها كما أنه لا توجد حدود زمنية أو مكانية تنظم الأشياء وفقا لها "إذ يمكن أن نجمع في اللحظة الواحدة أشياءا متباعدة من حيث الزمان ومن حيث المكان بحيث تعكس الأحلام في الفن "[2].

إن علاقة الفن بالحلم علاقة قوية من حيث أن الفن وسيلة للتعبير التصوري للأحلام وفي هذا الصدد يقول فرويد "أن الحلم إنما هو صورة تعبر عن إندفاع طاقة نفسية كانت تصدرها اليقظة فوجدت فرصتها بتسلسل متخفية متنكرة تحت جنح الباب بين أعماق اللاشعور التي لا تسمح لها طبيعتها بالخروج على ما هي عليه إلى مسرح الشعور و بين ذلك المسرح شقه من الأرض الحرام هي الذي نسميه ما قبل الشعور و هو الذي يقوم بدور

1-جان بيلمان نوبل :التحليل النفسي و الأدب ،ت حسن المودن ،المجلس الأعلى للثقافة ،دط - 1997،ص 33،34 .

2- علي عبد المعطي محمد : فلسفة الفن (رؤية جديدة) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ،دط-1985 ص 113.

الوسيط وينفذ منه التسلل الذي نسميه تعبيرا بصريا للأحلام عن الطاقات اللاشعورية " [1]

كما أن الحلم فيه من الشطحات و التحولات لا يمكن أن تقود العمل الفني من أوله إلى أخره ،فقد بين فرويد كيف أن الحلم غير مترابط كما نرويه و أنه مكون من لحظات متتابعة ،إذ أن الربط بين هذه اللحظات لا يتوفر في الحلم نفسه بل هو من صنع عقلنا المتيقظ ليضفي على الحلم نوعا من المعقولية .

أضف إلى ذلك أن أحلام اليقظة نفسها وهي أكثر تماسكا من أحلام النوم تتقدم في وثبات تكون بعضها مشحونة بالصور، وبعضها مشحونة بالألفاظ ومع أن هذه الوثبات جميعها تدور حول محور واحد و هو الدافع إلى هذا الحلم.

فإنها إذا جمعت إلى بعضها البعض ظلت مفككة لا يتحقق بينها التكامل ،وينتج عن ذلك أنه لا بد من جهد اليقظة كي نخلق من الحلم فنا، و لا بد لضوء العقل أن ينفذ في الأحلام ليعيد تنظيمهاو ربطها و خلقها في فن أو إبداع فني .

كما ذكرنا أن رسم الفنان للصور راجع إلى دوافع داخلية عميقة مستهديا برغباته و إهتماماته لينتقي موضوع لوحاته و هذا هو ما نقصد به من العلاقة بين الفن و الحلم.

فالفن تعبير بالصور عن صور ذهنية لأفكار بعضها لاشعوري و بعضها شعوري و بعضها رغبات و إهتمامات و صدى لصراعات ، فالفن و الأدب بإعتبارهما خبرة جمالية يشاركان الحلم في نفس الخبرة ، إذ الفنان أو الأديب و هو يرسم أو يكتب يستحضر صورا لاشعورية و يطرحها بشكل شعوري لا سبيل إليه إلا من خلال أن يحلم بالعمل الفني أو الأدبي

1- سيغموند فرويد :تفسير الاحلام تبسيط وتلخيص، ت نظمي لوقا ،كتاب الهلال سلسلة ثقافية شهرية ،العدد 137 أوت 1962 ،ص 188- 189.

و كذلك فإننا و نحن نستمتع بالعمل الفني، فالغالب أن هذا العمل يتطابق مع أنماط أحلامنا و يتوافق مع شخصياتنا .

إذا فالأحلام تتضمن في ثناياها إلهامات توجه الفنان نحو إبداع فني ما ،لتبقى الفكرة العامة والتي جعلته يهتم أكثر بالفن هو ربط الحلم بالطفولة في نظر فرويد، و بالتالي فحاضر الفنان ليس سوى نتيجة لهذا الماضي البعيد و هكذا حاضر كل شخص فيما يرى فرويد نتيجة حتمية لماضيه الطفولي.

"فالأحلام ذات ذاكرة مغرقة ،و إنها تنفذ إلى مادة من عهد الطفولة فذلك ما صار ركنا رئيسيا فيما نذهب إليه ،فنظريتنا في الحلم ترى في الرغبات الناشئة من الطفولة قوة دافعة لا يستغنى عنها في تكوينه " [1] .

فالفن يهدف أساسا نحو تحقيق السرور بينما الحلم يسعى إلى تجنب الألم ، ولهذا فإن كلتا النزعتين قوامها " اللذة و الألم " و بالتالي فالأسس التي تقرر شكل الفن هي نفس المبادئ التي يقوم عليها الحلم والتي تدخل فيها عوامل مثل التكثيف ، الإبدال ، التعويض، الرمز ...إلخ.

فهناك عدد من الرموز النموذجية والتي ذكرت في كتابه تفسير الاحلام حيث تتجلى السلطة الأبوية أو الأمومية غالبا في رمزية صورة ملك أو ملكة ، فالحالم يرى نفسه في دور الأميرأو إذا كانت حالمة ترى نفسها في دور الأميرة ،إن الاحلام تشير في كثير من الأحيان الى حالة الفرد النفسية و ما يعانيه من مشاكل نفسية إنفعالية تنعكس على تركيبة الجسد و على هذا الأساس وضع فرويد مصادر أربعة تثير الأحلام و هي :

1ـسيغموند فرويد :تفسير الأحلام ـفرويد نسخة كاملة ـت مصطفى صفوان ،دار المعارف القاهرة، د ط ـ دت ،ص 575.

أولا :المنبهات الحسية الخارجية و هي ناتجة عن الإنطباعات الحسية الليلية من أصوات و ضوضاء و التي تدخل في علاقة مع النشاط الحلمي، و هذا يدل على أن النفس أثناء النوم لا تنقطع عن العالم الخارجي .

ثانيا : المنبهات الحسية الذاتية مصدرها الإحساسات الذاتية البصرية و السمعية التي نألفها في حال اليقظة، أما المنبهات الجسمية الباطنية فهي مرتبطة بالإضطرابات التي تصيب الأعضاء الباطنية وهي تعمل بشكل كبير على إثارة الحلم بينما المصادر الخالصة للتنبيه فيقصد بها فرويد علاقة حياة اليقظة بالحلم وما يقوم به يعتبر من أهم المصادر النفسية .

ولكن من الصعب علينا أن نحصر العوامل النفسية التي تثير الحلم ،و لذلك لجا فرويد إلى خفض نصيب العوامل النفسية في إثارة الحلم ،و هذا لتدخل عوامل أخرى منها العوامل الحسية و الجسدية .

و من هنا نستنتج أن الفن كالحلم من حيث أنه يخضع إلى تأثير الميول الجنسية و الرغبات المكبوتة فيوجد الفن توازنا نفسيا من خلال الإعلاء أو التسامي .

" إن غالبية أحلامنا تدور حول موضوعات جنسية محرمة لا ترضى عنها النفس، و من ثم تحاول رغباتنا الجنسية أن تتستر و تخرج من اللاشعور إلى الشعور عن طريق الرموز التي تشير و لا تفصح" [1] .

إن الرموز التي يمكن أن تتغلف بها النزعة الجنسية قد تتخذ أشكالا تحمل بعدا تأويليا يبين نوع الكبت الذي يعانيه الحالم من عدم القدرة على تحقيق هذه النزعة ،و لذلك فالفنان عندما يعبر عن فنه فهو يخرج وبطريقة لاشعورية رغباته الجنسية " إن التأكيد على وجود

1- سيغموند فرويد :التحليل النفسي للأحلام ، ت عبد المنعم الحفني، الدار الفنية للنشر و التوزيع، ط1 1988،ص 19.

عمليات نفسية لاشعورية و الإلتزام بنظرية المقاومة و الكبت و إعطاء الأهمية للحياة الجنسية تلك هي النقاط الرئيسية التي يعالجها التحليل النفسي " [1] .

يميز التحليل النفسي بين المحتوى المعلن و هو ما يتذكره الشخص حول الحلم و المحتوى الكامن فهو يمثل الرغبات و الصراعات النفسية اللاشعورية .

و تكون مهمة المحلل النفسي هي أن يتخطى التفاصيل السطحية للحلم و التي تعرف بالمضمون الظاهر و يفسر المضمون الكامن، و هو المعنى الأعمق و الخفي و الرمزي للحلم ، فالتصورات اللاشعورية يمكن أن تترجم حسب الحالة إلى صور رمزية مختلفة جدا هذا من جهة، و هناك حرية واسعة في مجال رمزية الحلم ،فالمنهج الرمزي لا يشابه في أية حال من الأحوال منهج التداعي ، على الرغم من أن خبايا الرمز تجد متنفسها في المنهج التأويلي القائم على نبش اللاوعي و تصعيده عن طريق التداعي .

" فكل رمز أو حركة أو صورة في الحلم هي ذات دلالة ولها تفسير في أعماق الشخصية بكل ما تتضمنه من ماضي و حاضر و مستقبل، فمعظم الرموز هي من طبيعة جنسية ،هكذا يرمز إلى الأعضاء التناسلية لدى الذكور بالأشجار و المظلات و الأقلام كما أن الأعضاء التناسلية لدى الإناث قد يرمز إليها بالتجاويف و العلب و الصناديق. "يرمز للقضيب بالعصى الأغصان والأشجارو الخناجر و الحراب و السيوف و البنادق و المسدسات و المصابيح المدلاة و الصنابير و النافورات، و يرمز لفرج المرأة بالحفر و التجاويف و الكهوف و القوارير و الصناديق و الجيوب ويرمز للثديين و الأرداف

1- سيغموند فرويد : التحليل النفسي للأحلام مرجع سبق ذكره - ص6 .

بالفواكه و صناديق الحلى و الكنوز "[1] .

أما اللذة الجنسية فيرمز إليها بنشاطات كالرقص و التسلق و الطيران، كما أن سقوط الأسنان و الشعر يعتبر تمثيلا جنسيا للخصاء أي العجز الجنسي ،فذلك المحتوى الثري للأحلام إنما هو نابع من النفس وما تحتويه من مكونات شعورية لاشعورية ومن الفكر وما يتضمنه من ذكريات ،و قد أوضحت الدراسات النفسية حول الأحلام إختلاف أحلام الأطفال عن أحلام الراشدين و حتى أحلام الإناث عن الذكور و هذا بحسب درجة النمو و النضج الفكري و النفسي و كذا بالمشاعر و العواطف القريبة منها و البعيدة ،غير أن فرويد يستخدم الرموز العرضية في تفسيره للأحلام أكثر بكثير من إستخدامه للرموز الجامعة فهو يعتقد أن تفسير الحلم يقتضي تجزئته كما يقتضي بعد ذلك أخذ كل عنصر من عناصر الحلم و نستدعي فكرة معينة نربطها به .

" و أود منكم الإنتباه أيضا إلى أن تحليل الأحلام يكشف لنا أن اللاشعور يستخدم رمزية معينة و لا سيما و خاصة حين يمثل العقد و المركبات الجنسية ،هذه الرمزية تختلف جزئيا من فرد لأخر، إلا أنها تغزل بشكل نمطي و يبدو أنها تتطابق مع الرمزية كما إعتقد في أساطيرنا و قصصنا الخرافية ومن ثم فربما كان بالإمكان أن تجد إبداعات العقل الجمعي هذه تفسيرا لها من خلال العون الذي يقدمه تفسير الأحلام " [2] .

إن الحلم و التعلق الجسدي بالإضافة الى الهفوات و فلتات اللسان التي هي أفعال من وجهة نظر لاشعورية، هي بمثابة لغة العقل الواعية و المتحررة حضورا و فعالية ،لغة أخرى تعتبر الوجه الآخر لتلك اللغة الواعية و التي تملك الأداة الخاصة و هي تحقيق رغبة .

1- د عبد المنعم الحفني :المعجم الموسوعي للتحليل النفسي ،المجلد الثاني، دار نوبليس بيروت لبنان، ط1 2005 ،ص 30

2- سيغموند فرويد: خمس محاضرات في التحليل النفسي الفرويدي، ت نيفين زيور، مكتبة الأنجلو مصرية دط دت ، ص 42

المبحث الثاني :

الجسد ، اللغة ، اللاوعي

الجســـد ، اللغـــــة ، الـلاوعـــــي

يتفاعل البشر فيما بينهم بلغتين مختلفتين رغم إتفاقهما في المعاني و الدلالات ،فاللغة اللفظية و ما تحمله من نسق التخاطب و التواصل هدفها تبادل المعلومات ،بينما لغة الجسد هي الأبلغ في التعبير عما بداخل الإنسان، فهي لغة تستند على المخزون من الخبرات و التصورات و الذكريات و التجارب التي يتلقاها البشر عن طريق حواسهم إستجابة لكثير من المثيرات حولهم .

كما أنها المحددة للعلاقات المتبادلة فيما بين البشر و تكشف قوة التواصل فيما بينهم لكون الإنسان يستعمل في التعبير عن ذاته الكثير من مفردات اللغة ،فحركات الجسد تدخل في مفردات اللغة المستعملة " و لأنها اللغة المرئية ومن الإشارات و الإيحاءات و الرموز و الوضعيات التي يتخذها الجسم و حتى حركات الأعضاء سواء كانت هذه التعبيرات بصورة قصدية أو بصورة عفوية، ذلك أنه لا يوجد الخطاب أو النسيج الثقافي و تلك الحقول الدلالية وجودا سابقا لتوليد الدلالة" [1] .

اللغة من أهم مكتسبات الأنا إذ من خلالها نميز ذواتنا عن ذوات الأخرين و تبقى طريقة إستعمال اللغة و طبيعة التعامل معها هو الذي يميز فردانية الأنا و يفرق بين من تجاوز مراحل الإرتقاء ومن عاش مرحلة النكوص دفعت به أن يعيش صراعا بين أناه الأعلى و أناه و تتصارع داخله رغبات لاشعورية لا تظهر إلا في سياق لغوي.

فالجسد ينقل الأفكار و المشاعر بلغة دلالية ذات معنى إلى أجساد الغير الذين يدركون معنى اللغة بنفس السياق المعرفي ، فالإنسان ينتج عبر جسده حركات و ينتج دلالات وجدانية معبرا عنها إما من خلال إجراء فعل و إما من خلال حالة إسم " فإن هذا

1- امبرتو إيكو : السيميائيات و فلسفة اللغة ،ت أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة توزيع مركز الوحدة العربية بيروت ،لبنان، دط ـ دت ، ص 212.

يفترض من جهة وجود برامج تستوعب داخلها هذه الحركات ويفترض من جهة ثانية وجود سنن يفسر هذه الحركات ويرسم لها دلالتها " [1].

فالجسد يخضع لنظم و قواعد إجتماعية ثقافية تبلور طبيعة العلاقة بين الأجساد في سياق مفاهيمي، فالدلالات في هذه الأشكال التعبيرية تتحدد أيقونيا من خلال الشكل الذي يتخذه الجسد الإنساني "فالأعضاء الجسدية كيانات قابلة للعزل إنطلاقا من إرتباطها بدلالات سابقة، فالعضو يندرج ضمن نشاط عملي و أخر طبيعي و النشاط الطبيعي يوجد خارج أي تسنيين، لأنه يستجيب فقط للحاجات الغريزية التي يتطلبها الوجود الإنساني و نشاط أخر ثقافي ينظر إليه كحصيلة تسنينات ثقافية مخوصصة " [2] .

وهنا تتعدد القراءة بمختلف مستوياتها حول صورة الجسد المتخيل في الوعي الجمعي بلغته، فيدخل في نسيج الثقافة محملا بدلالات قبلية تحمل طابع الرمزية ، كما تعبر عن مكبوت لاشعوري يرتبط بمرحلة الطفولة و ما تعلمه من خلال الاحتكاك و التقليد .
فقد بات من المؤكد أن الطفل يبدأ مرحلة الإستقلال عن أمه بتكوين لغته الخاصة وعندها يصبح قادرا على التمييز بين ذاته و الأخرين فهو يعبر عن رغباته بالكلمة بدل الفعل ليرتقي نفسيا و يدرك بذلك الفرق بين الجنسين ، و قبل بلوغ هذه المرحلة يمر الإنسان بالمرحلة الفمية و هي مرحلة مهمة من مراحل إرتقاء الشخصية ،و قد إعتبرها فرويد أعظم صدمة نفسية يتلقاها الإنسان في حياته ،و عندها يتوهم الطفل بأن أمه حرمته من شيء كان يريد دوما الحصول عليه ،وبالتالي فنقطة البدء في البحث عن منشأ اللغة هي متى يكون الكائن النرجسي، أي الطفل قادرا على إستعمال اللغة .

1- سعيد بنكراد : السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها ،دار الحور سوريا، ط3 -2012،ص 136 .

2- المرجع نفسه ،ص 137 .

عرفت لغة الجسد منذ القديم بمفهومات و إصطلاحات عدة ،و نشأت مع نشأة الإنسان ومع وعيه في التواصل مع غيره ،فقد تحولت حركات الإنسان الجسدية إلى علم يختص بوصف أوضاع الجسم و حركاته التي تحدث وفق نمط معين ،فلكل شعب حركاته الجسمية التي تعكس مضمون أفكاره و بالأخص دوافعه الباطنية ،و هذه الحركات يتعلمها الإنسان في السنوات الأولى من طفولته بفعل التلقين و التربية و الإحتكاك و تسمى هذه الحركات بالإيماءات .

لذلك تكتسي لغة الجسد أهمية من حيث أنها تعبر عن الأمور الوجدانية في المقابل تعبر لغة الجسد عن معلومات تتصل بالمضمون ، يمكن من خلالها إيصال الحب أو البغض و الكره وإهتمام الأخرين و الثقة و الرغبة و الدهشة ،هذا ما يؤكد لنا الدور الفعال للغة الجسد في الحياة اليومية ،إن الإيماءات ليست معطى طبيعي و لا وضعي ، بل هي مزاوجة بين الإصطلاح الإجتماعي و الحركات الجسدية التي نتج عنها فعل اللغة

حيث تعتبر لغة الجسد علامات مرئية داخل حقل إدراكي معين ،ومن هنا كانت إهتمام السيميائيات البصرية كمجال جديد للبحث عن الدلالة، حيث يربط بين لغة الجسد عبر عملية تحويل معقدة إلى أن تنشأ بنية إدراكية معينة بالإعتماد على تجارب مكتسبة و مجموعة من الإيحاءات المتزامنة .

"ذلك أن لغة الجسد هي منبهات بصرية يقوم الشخص بالربط بينها و بين موضوعها ضمن بنية إدراكية وفق أنماط التوقع و أنماط المسلمات "[2] .

فاللغة تترجم حوائج النفس و تعطيها بدا مفاهيميا دالا يؤصل لبنيتها و ضرورتها الإجتماعية .

1- أمبرتو إيكو : السيميائيات البصرية ،ت محمد التهامي العماري ،تقديم سعيد بنكراد، دار الحوار سوريا ،ط 1 2008، ص 33.

إذن فلغة الجسد تتحكم فيه جملة من المؤثرات من بينها العامل الثقافي بعيدا عن إكراهات التوجيهات الأولية للوظائف البيولوجية " وعموما هناك علاقة بالمنزلة الإجتماعية

و النفوذ و الهيبة وبين المفردات و الإيماءات التي يستخدمها ،حيث أن الشخص الذي يتمتع بالهيبة و المكانة العالية يستطيع أن يعبر عن ما يريد بالكلمات أكثر من الإشارات بينما الشخص الأقل ثقافة أو مهارة يعتمد أكثر على الإيماءات حتى يعبر عما بداخله كذلك السرعة التي تتم بها الإيماءة تعتمد على عمر الفرد "[1] .

و أول من إهتم باللغة و أبعادها السيكولوجية النفسية وجعلها بمثابة متنفس لما يجول في الحياة الباطنية للمريض هو سيغموند فرويد، فقد إستخدم تقنية العلاج بالتحليل النفسي و هذا بطريقة التداعي الحر والتنفيس الإنفعالي و يعد ذلك الإجراء الرئيسي في عملية التحليل النفسي ويتم إستدعاء الخبرات و الأحداث المكبوتة في اللاشعور و إستدراجها إلى حيز الشعور بحيث يقوم المحلل النفسي بتفسير ما يكشف عنه التداعي الحر من تعبير أكان صريحا أو محرفا عن ما يعاني منه وهنا تبدأ مهمة المحلل النفسي .

فاللغة تحتل في التحليل النفسي الفعالية الرمزية ودورها المحرر للذكرى التي تم إحياؤها فقدإ ستطاع فرويد أن يصيغ إحدى الذكريات صياغة لفظية وهذا بمعالجته للمريضة دوراو تأويله لنمط اللغة التي كانت تعبر بها .

فقد أظهر أن الذكرى ليست فقط إنعكاس لواقع مضى ،فإختفاء الإضطرابات الهستيرية منوط بمدى قدرة المريض على البوح بما يختلج في أعماق نفسه ،كما نعلم أن مرض الهستيريا ظل يتراوح منذ نشأته بين التملك الشيطاني وبين الإضطراب العضوي و أول من إهتم و ذاع صيته في هذا المجال شاركو ،فقد نشأ التنويم المغناطيسي على يد ه و الذي إهتم بموضوع الهستيريا و علاجها، و كان فرويد أحد تلامذته و الذي كان

1- سعيد بنكراد : السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها ـ مرجع سبق ذكره ـ ص 148 .

مختصا في الطب العصبي وإهتم بدراسة الأحلام و الأمراض السيكوسوماتية ،فقد كان شاركو يتحكم في مرضاه بواسطة التنويم، ليتابع فرويد أبحاثه حول التنويم مع برنهايم ثم مع جوزيف برويز في فيينا و لكن بعد فترة تخلى عن التنويم المغناطيسي " إني أشم رائحة السحر تفوح منه " ،و يمكن القول أن فرويد قد أنتقل من أسلوب التنويم إلى أسلوب التفريغ ،و تتلخص هذه الطريقة في حث المريض أثناء التنويم المغناطيسي على تذكر الحوادث و على التنفيس عن المشاعر المكبوتة ،ثم أخذ يتفطن إلى ما في التنويم من عيوب فرأى أن بعض المرضى يمكن تنويمهم و لكن الشفاء الذي ينتج عن التنويم كان قاصرا فقط على إزالة الأعراض المرضية فتعود الأعراض من جديد ،وهذا الإنتقال دفعه إلى إبتكار طريقة جديدة في العلاج النفسي كان أساسها أهمية الحوار اللغوي في فهم الأعراض و رمزية العرض للمعاش الطفو لي ، ليؤسس فرويد النموذج الأول للعلاج بواسطة التداعي الحر القائم على إعادة بنا ء ا لشخصية و فق المعيار السوي من أجل الوصول إلى إستثمار سوي يسمح بذلك من تفريغ الرغبات المكبوتة بواسطة ميكانيزمات دفاعية، كما يهدف هذا العلاج في فهم الحالات التي جذورها ترجع إلى الماضي " إن التحليل النفسي ليس مجرد علاج بل هو وسيلة لفهم الذات أي أنه وسيلة للتحرر الذاتي ووسيلة في فن العيش وهي في رأي أهم وظيفة يمكن أن تكون للتحليل النفسي" [1] .

بدأ فرويد منذ ذلك الحين بإستخدام القوائد الأساسية للعلاج التحليل نفسي، و هذا بتحديد نمط العلاقة بين المريض و المحلل النفساني فعندما يستشعر المريض أن هناك علاقة وطيدة مع المعالج يصبح قادرا على التعبير عن صراعاته التي هي سبب المشكلة ،إلا أن اغلب المرضى لا يشعرون بذلك و هذه المكبوتات و الغرائز تظهر في شكل إضطرابات

1- إريك فروم: فن الإصغاء ،ت محمود منقذ الهاشمي ،إتحاد كتاب العرب دمشق، 2004 ،ص 78 .

سلوكية و أعراض مرضية عصابية بل يسيطر عليه بصورة رمزية.
فالمحلل النفساني يعيد المريض إلى ماضيه و عن طريق تقنيات علاجية ينفس المريض عن مكبوتاته و إنفعالاته، كما يتعاون مع المحلل النفساني على فهمها عن طريق ما يعرف بالإيحاء ، مع تجنب الدخول مع المريض في علاقات شخصية وهذا ما يميز شخصية المحلل النفسي .

فعليه أن يصغي لمرضاه و أن لا يقع ضحية الملل، و هذا بالقدرة على سماع الغريب و المقلق من مريضه بذهن حاضر مع قدرته على ممارسة بعض الأساليب الفنية على المريض وعلى نفسه أيضا، فآلية التحليل النفسي تستلزم الدقة و الإتزان الإنفعالي

لكي يتواصل المريض مع المحلل النفسي ،و لكي يستطيع فهم ذاته فإنه يجب على المحلل النفسي أن يتحلى بخصائص من حيث التدريب و نمط الشخصية لكي يستطيع المريض أن يتفاعل معه، فحتى المحلل النفسي يخضع لبعض المعايير التقنية، و من بينها التدرب على فهم الأعراض و الإضطرابات النفسية العصبية و عند إنتهاء هذه المدة يخضع المدرب إلى عملية التحليل يجريها عليه محلل مختص و الهدف من ذلك هو فهم شخصية المحلل و مدى تحكمه في شخصه ،فالحوادث قد تماثل نفس حوادث المريض مما قد يفشل المحلل في إدراك هذه العملية أو ما يسمى بالتحليل الذاتي،كما يركز المحلل النفسي على معنى الأعراض و القصد منها و صلتها باللاشعور في جميع سلوكات المريض و التي تبدي إضطرابا سلوكيا أو مرضا عصبيا .

و بالتالي فقد ركز فرويد على الآليات الدفاعية و دورها في الحفاظ على التوازن النفسي ومن بين هذه الآليات التسامي، الإسقاط، العودة إلى الذات للحد من الصراعات من أجل فهم مكبوتات المريض، مما يجدر الإشارة له أن فرويد قد أشار إلى الغرائز الجنسية

و تفسير الأحلام و دورهما في فهم شخصية المريض و التي تأتي غالبا بشكل رموز في الحلم، إلا أن هذا الأخير خلق صعوبات في التفسير، حيث يمكن أن يأخذ الرمز وجوها مختلفة، فالمريض لايكبت إلا ما يتعارض مع قيمه و مجتمعه .

فالمحلل النفسي يستخدم آلية التداعي الحر و هو الترابط الطليق بتداعي الخبرات و الأفكار، أي إستدعاء الخبرات و الأحداث المكبوتة في اللاشعور و إستدراجها إلى حيز الشعور " كما أنه يبقي نفسه وراء الأريكة ويتم الكشف عن الذكريات اللاشعورية من خلال الإستلقاء على أريكة التحليل في عملية التداعي الحر وهو أسلوب يتطلب من المريض أن يتحدث عن كل شيء بذهنه مهما بدا هذا الشيء تافها أو لا منطقيا "[1] .

محتلا بذلك موقع حضور و غياب في نفس الوقت، كما يطلب من المريض بكل عفوية و دون الخضوع لقوا عد اللياقة و الأعراف الاجتماعية، فسرده للذكريات أكانت مهمة أو تافهة تعتبر بمثابة نقطة تحول لفهم نفسية المريض ، و بالتالي الكشف عن التاريخ اللاشعوري للمرض من خلال آلية النكتة و فلتات اللسان ،و النسيان، و الهفوة ،ومن أجل فهم المعنى الكامن لهذا التعثر اللغوي و الألاعيب اللغوية.

يجب فهم المعنى الخفي من خلال دفع تنظير اللغة إلى أبعد حد ،وهذا باستخدام علم البلاغة بإقامة موازنة بين الإستعارة و التكثيف و بين الكناية و التحويل ،و لفهم مكبوتات المريض و مساعدته على التنفيس يستخدم المحلل النفسي تقنيات متعددة منها :

طريقة السيكودراما أو العلاج بالتمثيل و هي عبارة عن تصوير مسرحي لقضية أو مشكلة ذات مغزى لفظي حركي وجداني و تنفيسي إنشغالي تلقائي و إستبصار ذاتي

1-د عبد الستار إبراهيم: العلاج النفسي الحديث قوة الانسان، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت عالم المعرفة، يناير1978،ص 58

في موقف جماعي ،و هذا من أجل مساعدة المريض لتطهير نفسه من المكبوتات خاصة المعاناة من أثار و خبرات الصدمة المرتبطة بإضطرابات سيكوسوماتية التي تمس صورة الجسد لتنعكس و بشكل سلبي على بنية النفس مع حالات السلوك العدواني .

و من أهم أنواع السيكودراما **سيكودراما الأطفال** وهي تقام في صورة مهرجانات و إحتفالات و أعياد سيكودرامية فهي تفيد كتدخل علاجي و كتشخيص إكلينيكي لدورها الفعال مع حالات إضطرابات اللغة و الكلام وقد أكدت الأبحاث النفسية على أهمية إستخدام السيكودراما مع المراهقين و المضطربين نفسيا و معرفيا .

" فالسيكودراما هي تقنية دعم نفسي للعموم تخص الراشدين تمثل حلقات للتنفيس الإنفعالي الإحتوائي من خلال الكلام و تجسيد حركات مختلفة عبر ليونة الجسم و تكويناته المختلفة و تمارين الإسترخاء و تمارين الدراما النفسية الحركية مما لها الدور الكبير في صقل وتنمية مهارات مختلفة، و السيكودراما تقنية متطورة تستخدم كطريقة نفسية علاجية جماعية "[1] .

و هذا بانشاء سيكودراما تعليمية كعلاج مسرحي يحتوي على قدرة كبيرة من التعليم لذا تعد السيكودراما إستراتيجية تعليمية تدريسية تنمي قدرة المريض معرفيا و أخلاقيا كما تسهل عملية الدمج و الإندماج مع المجتمع ومن خلاله يتم الكشف عن العملية اللاشعورية المبكرة الكامنة وراء المرض و بالتالي يتم التوصل للإستبصار بالمرض ثم علاج الأعراض تلقائيا أي أن المحلل النفسي :

1- لا يهتم بالأعراض المرضية التي يذهب بها المريض، بل يعتقد أن هذه الأعراض تعبر عن مشكلات أخرى أعمق هي التي يجب أن يتجه إليها العلاج .

1-د مرسيليسا حسن شعبان: الدعم النفسي ضرورة مجتمعية، إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية، أكتوبر 2013 العدد 31، ص22 .

2- يعتقد أن المرض النفسي إحياء من خلال الأعراض لذكريات لاشعورية حقيقية في أعماق الذهن.

3- " يؤمن بأن جذور المشكلة تمتد للماضي و لخبرات الطفولة و العلاقة المبكرة بالوالدين في السنوات الخمس الأولى من العمر " [1] .

كما تستخدم السيكودراما التحليلية أنواعا منها السيكودراما الفرويدية، و هي تجمع بين مبادئ فرويد الكلاسيكية و مبادئ السيكودراما من أهدافها :

أ- معايشة المكبوت .

ب-التعبيرعن الإتجاهات الظاهرة و الكامنة مع إطلاق حرية التعبير عن الصراعات و الإحباطات المعلنة والخفية.

ت- تحقيق الإستبصار الذاتي و الجماعي مع تحقيق التوافق العام و التفاعل الاجتماعي السليم ، وحتى الحلم في نظر فرويد قد تتخذ شكلا من أشكال اللغة يتعين تفكيكه من أجل إنشاء المعنى القائم وراء مظهر لا معنى له بإعتباره نشاط يقدم للهو فعل الحركية الذي يعيد إظهار السبب الصادم للإضطراب العصابي، فالذكرى المنسية لا تعود كما هي بل تعود بشكل مقنع تختفي وراء اللغة ،فما يعود ضمن العملية التي يسميها فرويد بالنكوص ليس سوى تركيبة لغوية تمثل مطالب طفولية ،و لفهم هاته الآلية يمر عبر ضرورة إنشاء نموذج يفسر طبيعة العلاقة بين النفس و الجسد على أساس أن الحلم يؤسس على بنية رمزية لها ميكانيزماتها و قوانينها المتفردة فهو كيان من الدلالات الرمزية، فالنظام الرمزي يشكل لنا مفتاحا لفهم أغوار حياتنا النفسية و التي تشكل المنطلق الأساسي في

1- د عبد الستار إبراهيم، العلاج النفسي الحديث قوة الانسان ـمرجع سبق ذكره ـ ص 58 و 59 .

فهم التركيبة النفسية للمريض من أجل الكشف عن الأعراض السيكولوجية ذات الطابع اللاشعوري، فهذا الأخير في إعتقاد فرويد بمثابة لغة بنائية تتكلم داخل الإنسان و تكشف ماضيه الطفولي .

كما تتعلق كل عمليات العلاج النفسي الجسدي بنفس المبدأ وهو التلاعب الرمزي ،أي بواسطة دوال تعادل المدلول لإرتباطها بنظام واقعي يمارس تأثيرا على الجسد ،مما يعني أن اللغة لا ترتبط فقط بالنفس بل هي أبعد من ذلك فهي ترتبط أشد الإرتباط بالصور الجسدية التي تأسر الذات .

إن الحلم و التعلق الجسدي النفسي في الهستيريا كفلتات اللسان و زلات القلم هي بمثابة نمط من الفعاليات الناجحة من وجهة نظر لاشعورية، تتخذ لغة الوعي كنموذج حاضر و فعال ،و لكن فعالية اللغة الحقيقية تكمن في كشف ملابسات هاته اللغة ،فمبدأ الحلم يهدف إلى كشف رغبة أو بالأحرى تحقيق رغبة معينة مما يساعد المحلل النفسي على فهم مكبوتات المريض لمساعدته على التنفيس الإنفعالي المناسب .

" لقد كانت لفرويد رؤية ميكانيكية إلى حد ما لعملية الشفاء و كانت الرؤية في الأصل هي أنه إذا كشف المرء أو إكتشف العواطف المكبوتة ،فإن العاطفة إذ تصير شعورية تخرج من النسق إذا صح أن يقال ذلك ،و كان هذا يسمى التفريغ و كان الأنموذج أنموذجا ميكانيكيا للغاية كخروج القيح من بقعة ملتهبة وما إلى ذلك " [1] .

فالحلم عبارة عن لغز رمزي لاشعوري فهو يعرض مشاهد وجودها على شكل حروف هيروغليفية أو صور متداخلة تحمل مشاهد متعددة المعاني تتطلب قراءتها تفكيكا وفق أليتي التكثيف و الإنزياح بإعتبارهما قانونين لغويين ،فهما آليات اللاشعور التي ينطق

1- اريك فروم: فن الإصغاء ـ مرجع سبق ذكره ـ ص 56 .

ويعبر بها عن محتوياته ،فاللاشعور شرط اللغة ذلك أن لغة الجسد وهي تعبر عن خصوصية متفردة الأهمية و التي أولاها فرويد في الكشف عن العوارض المرضية لإنفصام الوعي " لقد تأسس منهج التداعيات الحرة بالذات على المعاني المدلولات المحددة لأية كلمة أو تعبير ينفلت بصورة عفوية و يمكن خلقه حسب رأي فرويد مضمونا ماديا للعنصر النفسي اللاشعوري " [1] .

هذا ما عبر عنه فرويد في تحليله "إنسان الذئاب" كيف أن الحرف اللاتيني W يمكن أن يتعرض لتحويرات رمزية حيث يصبح الحرف بعد قلب أسفله الى أعلاه دالا على أذني الذئب أو إن غياب هذا الحرف من كلمة WESPE يفسح المجال لظهور حرفي SP وهما الحرفان الأولان الإختراليين لإسم المريض، و هكذا فالحرف يحمل بنية دالة ضمن سلسلة تشكل حلقات وهكذا يتعين قراءة اللغة بواسطة فهم الثغرات التي يكون اللاشعور نتاجا لها .

تعتبر هذه الحالة المشهورة بهذا الإسم و هي من أهم الإضطرابات التي عالجها فرويد ليكتشف العلاقة الحتمية بين طفولة المريض وصراعاته النفسية من خلال حلمه فقد رأى و هو صبي في الرابعة حلما فيه الذئب يأكل المعز السبع ، فالذئب في التحليل النفسي صفة بديلة عن الأب بمعنى الذئب كان بديلا للأب .

فالإبدال هنا هو بمثابة ميكانيزم نفسي يشير إلى إمكان إنتقال أو تحول للشحنات الأصلية التي إقترنت بها إلى أفكار أخرى، و تستطيع الغرائز تغيير هدفها بالنقل ومن الممكن أن يتحول ليبيدو الأنا إلى ليبيدو الموضوع ،و أن يسحب ليبيدو الموضوع و يصبح ليبيدو الأنا ،على إعتبار أن الأب كان يقلد الذئاب أثناء لعبه معه وكان يهدده بالأكل، و تعبر فكرة أكل الأب للطفل بصورة نكوصية عن دافعين أحدهما حب سلبي من الإبن للأب

1- فاليري ليبين : مذهب التحليل النفسي و الفلسفة الفرويدية الجديدة ، ت نزار عيون السود ، دار الفارابي ، بيروت ، ط1 - 1981 ،ص 37.

يكون فيه الإبن محبوبا من الأب حبا شبقيا تناسليا ، و الثاني دافع عدواني من الإبن للأب و هذا ما يسبب النكوص إلى المرحلة السادية ، ثم المرحلة الفموية من النمو النفسي الجنسي .

" إن مواصلة البحث في تاريخ حالة الشاب الذي يخاف الذئاب لا تدع مجالا للشك في صحة هذا التفسير، فالدافع التناسلي في الحقيقة لا يظهر أية علامة تكشف عن عاطفة الحب حينما يعبر عن نفسه بصورة تنتمي إلى فترة الإنتقال التي تقع بين المرحلتين الفمية و السادية من مراحل تنظيم الليبيدو"[1] ،و هنا يثبت فرويد أن الخوف من الذئاب مصدره الخوف و التهديد بالخصاء ليتحول بالكبت إلى خوف من الأب و من الممكن أن نقول أن هذا الدافع قد كبت بتحويله إلى نقيضه .

إن فهم الدلالات اللاشعورية قد أتاح لفرويد أن يكشف إكتشافا كان له أن يلقي بعض الضوء على السلوك السوي و قد تمكن بفضل ذلك الإكتشاف من تفسير بعض الهفوات مثل النسيان و فلتات اللسان التي تخفي كياننا الحقيقي وراءها و المتمثل في الرغبات الدفينة .

" وجدير بالإشارة إلى أن التحليل النفسي ليس نظرية في بناء الشخصية الإنسانية و حسب و لكنه أيضا منهج من مناهج العلاج النفسي، يستخدم هذا المنهج مع الكبار تقنيات تحليل أحلام المريض الكبير و تفسيرها أو معرفة معناها و مغزاها ،و ما ترمز إليه و فحص فلتات اللسان و زلات القلم و نسيان المواعيد و فقدان الأشياء كما يستخدم تقنية التداعي الحر و الرسم و الإستبصار و التأويل أو التفسير أو الفضفضة أي إتاحة الفرصة أمام المريض كي يفصح عما يدور في صدره "[2] .

1- سيغموند فرويد :الكف و العرض و القلق ، ت د محمد عثمان نجاتي ،دار الشروق، ط4 -1989،ص 73و74.

2- د عبد الرحمان العيسوي :إضطرابات الطفولة و علاجها ،دار الراتب الجامعية ،بيروت، لبنان ،ط1 1460 ، ص 42.

هذه اللغة التي يتخذها فرويد طريقا الى الكشف عن المعاني المستترة فهي ليست حاملة للمعنى فقط بل يمكن من خلالها التوصل إلى حقيقة الإنسان، بل إلى معرفة أعماقه من أجل فهم قواه اللاواعية، فالمدرسة التحليلية النفسية ترى أنه أثناء النوم يكون الأنا في حالة إسترخاء، كما أن الأحلام تعبر بدورها عن مجال أخر للسلوك الذي يعتبره فرويد

تعبيرا عن القوى اللاواعية ،فالحلم يعبر كما يعبر العارض العصابي ، و كما تعبر الهفوة عن بعض القوى اللاواعية التي لا نسمح لها بالدخول إلى حيز الوعي، بل نحرص على جعلها بمنأى عن الحيز المذكور ،عندما نكون متحكمين في أفكارنا فالرغبات اللاعقلانية تعود في أصولها إلى فترة الطفولة من حياتنا ،و أن هذه الرغبات كانت قد ظهرت ذات مرة عندما كنا صغارا ثم إستمرت موجودة فينا بصورة مستترة و دفينة ،لذا فهي تعود و تحيا من جديد في حياة أحلامنا خاصة الرغبات الجنسية التي تكونت بالأصل منذ الطفولة الأولى، ثم لم تجد سبيلها الى التحول لتظهر في سياق الطبيعة اللاعقلانية و الطفلية فضلا عن الوظيفة التأويلية للحلم .

فالكلام الرمزي بالنسبة لفرويد لا يعتبر كلاما يتوافق و التعبير عن جميع أنواع الرغبات و العواطف ،بل هو كلام يعبر عن الرغبات الغريزية البدائية، "فعندما نتعامل مع الرمز فنحن نتعامل مع اللغة لأنها ورثت حكمة الأجيال ،فكل كلمة قد أضحت رمزا منطوقا أو مكتوبا فالرموز تصدر عن مرتبة ذهنية نوسم بأنها سامية فإن التعرف عليها من خلال ميراث الإنسانية الذي توارثته جيلا بعد جيل، و ظل محفوظا في ذاكرتها الجماعية من أساطير و حكايات و نكت و فكاهة من فلكلور و عادات و تقاليد و أعراف " [1] .

1- سيغموند فرويد : نظرية الأحلام ،ت طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، د ط ،دت ،ص 102.

فقد أسس فرويد منهجا تأويليا لفهم لغة الجسد و رمزيتها من خلال التداعي الحر و التأويل و التنفيس باللغة ،فالتداعي الحر يفترض أن المريض عندما يلتزم بالتعبير عن كل ما يجول بخاطره دون حذف أو تغيير .

أما التأويل ففيه يعيش المريض أمام المحلل النفسي تجربته الماضية التي يفترض أنها سببت عصابه بحيث يخلع فيها على المحلل شخصية الأفراد المسؤولين عن هذا العصاب و تتكون لديه عواطف محددة نحو المحلل، لذلك السبب إذا إستطاع أن يعيش تجربته السابقة مرة أخرى بشكل أفضل، فإن ذلك يباعد في علاجه، أما التنفيس فيفترض أن المريض إذا إستطاع بهذه الوسائل أن يتكلم عن مرضه و يعيشه بالتأويل من قبل المحلل بعد تحليلها بواسطة التداعي الحر أو تفسير الأحلام أو غيرها من الوسائل التي قد تكشف عن خلفيات اللغة مثل فلتات اللاشعور .

إن تلبية الرغبات المكبوتة تتم عندما تكون رقابة الوعي ضعيفة ،و لكي تظهر في الأحلام ينبغي أن تتخذ شكلا تنكريا لخداع الرقيب

إن الحلم الحقيقي هو الذي يعبر عن الرغبات الدفينة و هو الذي يطلق عليه فرويد إسم باطن الحلم أما النسخة المحورة من الحلم فيسميها فرويد بظاهر الحلم أما عملية التحوير و التقنيع فهي عمل الحلم .

إن إخراج الحلم غير مألوفة و على جانب من الغرابة حتى أننا لا نعرف لها نظيرا من قبل " و لقد أتاحت لنا هذه العملية أن نلقي أول نظرة على الظواهر التي تجري في حياتنا النفسية اللاشعورية ،و بينت لنا أنها تختلف الإختلاف كله عما نعهده في تفكيرنا الشعوري حتى أنها لابد أن تبدو في نظر هذا التفكير الشعوري خاطئة غير معقولة وتزداد أهمية هذا الكشف متى قدرنا أن نفسر الحيل إلى نحو الأفكار الكامنة إلى حلم ظاهر، ولقد سميناها الحيل ولا نكاد نجرؤ أن نسميها عملية فكرية " [1] .

1- سيغموند فرويد محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي ت عزت راجح مصر للطباعة ص 14 و 15.

أما تلك الحيل الدفاعية التي يستخدمها المريض للدفاع عن ذاته فهي متعددة منها:

1-التسامي أو الإعلاء أي تحويل الطاقة إلى قنوات مشروعة.

2-النكوص أي العودة إلى مرحلة من مراحل النمو السابقة.

3-التعويض أي الإشباع عن طريق الأخر.

4-العدوان أي ممارسة العدوان على الأخر.

5- التبرير أي إختلاق أسباب وهمية لتحل محل الأسباب الحقيقية .

6- الكبت أي النسيان اللاشعوري .

7- الإبدال أي إبدال هدف صعب المنال بأخر سهل المنال .

الفصل الرابع :

الجسد أيقونة إبداع و تأويل .

المبحث الأول :

التأويل في التحليل النفسي .

المبحث الثاني :

علاقة التأويل بالإبداع الجسدي .

المبحث الأول:

التأويل في التحليل النفسي .

التـأويـل في التحليـل النفســي

التــأويـــل (الهيرمينوطيقا) يتضمـن الحقل الـدلالي الذي يعطيه المصطلح الإغريقي معـــانـي "التعريـف " "الشـرح " "التـرجمـة " "التـأويل " "التعبير ".

" وكلمة هيرمينوطيقا هي التعبير الإنكليزي للكلمــة اليونانية الكلاسيكية Hermeneus و تعنـــي المفسـر أو الشـــارح " [1] ، و قد تطورت الهيرمينوطيقـــا بوصفهـــا تـــأويلا و تفسيـــرا للنصوص إنطلاقـا مـــــن المدرسة الرواقية لتأخذ شكل القراءة الإستعارية ،و هكذا تجاوزت الهيرمينوطيقـــا التحليل النحـوي و البلاغـــي مـــن خـــلال البـحث عـن النوايـا العميقة و الدفينة للمؤلـــف .

فـــأول ظهـــور لهـــذا المصطلـح كـــان في الفكر اليوناني عند الفيثاغوريين و تأويـــلاتها الرمزيـــة للأســـاطير و الكون ، عبـــر رمزيـــة الأعداد و الموسيقى و تجده فى الرواقيـــة كمـــا ذكرنـا آنفـا في ملاحـم هوميروس و الشعـــراء الإغريـــق.

و بـــالتـــالي فقـد إرتبط هذا المصطلـح بالفيلولـوجيا (علـم اللغـة) ، و لكـن هـذا اللفظ كما نعلم مـر بمـراحل غيرت في دلالـــة المصطلـح ، فجـــذوره الأولى وردت في مقولات أرسطو الذي وضعـه كجـزء مـن أجـزاء المنطـق ،ثم إنتقلت المحاولة إلى النصوص المقدســة و نلمسهـا في ميراث النـص المقــدس .

أما إذا نظرنا إلى البعد الفلسفي الميثولوجي لهذا المصطلح يمكن القول أنه لم يمثل نظرية قائمة بذاتها ،فقد إستخدم أفلاطون مصطلح التأويل في محاورة إيون و هو شاعر يقوم بتلاوة أشعار هوميروس و من ثمة فهو يعبر و يأول المعاني لشرحها و إيصالها للمستمع

1- دافيد جاسبير : مقدمة في الهيرمينوطيقا ، ت وجيه قانصو ،الدار العربية للعلوم منشورات الإختلاف الجزائر ط1- 2007 ، ص 31.

و هذا يجعل وظيفته شبيهة بوظيفة هرمس ، و من هذا المنطلق فالشعراء في نظر أفلاطون مؤولون ووسطاء للآلهة ،مما يجعل الهيرمينوطيقا تتموضع في قالب ديني قدسي، لقد إعتبر أفلاطون الشعراء مفسري الآلهة كما تقدم لنا في محاورة بروتاغوراس هرمس على أنه مبعوث زوس* .

أما في الفكر المسيحي (اللاهوت المسيحي) أستعملت بمعنى منهج و قواعد تفسير الكتاب المقدس، و لكن معنى الهيرمينوطيقا بدأ يتوسع تدريجيا ليشمل الأدب و الفن و النقد الادبي و فلسفة الجمال ،أما في الفكر المعاصر فقد كانت الولادة الحديثة للهيرمينوطيقا مع الرومانسية الألمانية .

إلا أن أهم قفزاتها و تطوراتها كانت مع شلاير ماخر و الذي يعد مؤسس الهيرمينوطيقا الحديثة، و قد ميز في النصوص بين الجانب الموضوعي و هو اللغة و بين الجانب الذاتي الذي يمثل خلفية المؤلف الذهنية و الفكرية وتصوراته "فالنص يعتبر عالم رمزي مفتوح و متعدد المعاني بمعنى أن النصوص ليست مغلقة بل هي عوالم ممكنة و متفتحة تحيل بدلالات موحية و رمزية تتطلب قارئا متعدد القراءات و التخصصات ومن ثم تصبح النصوص و الخطابات و الألفاظ و الإشارات و الرموز و الإستعارات و الأساطير وسائط لنقل الواقع و الإحالة عليه فكل قراءة هي محض تأويل "[1] .

" إن الهيرمينوطيقا قراءة رمزية تأويلية تعني تفسير المعاني الباطنية بقراءة إستكشافية و الإنتقال من الظاهر إلى الباطن و العمل على تأويل الدلالات الحرفية الظاهرية المباشرة بدلالات رمزية مجازية أو إيحائية من أجل فهم محتويات التراث الإنساني و مضامينه الرمزية تستدعي الرمزية تأويلا لأنها تقوم على بنية دلالية معينة التعبيرات

1- مصطفى عادل :فهم الفهم ـ مدخل الى الهيرمينوطيقا ـنظرية التأويل من أفلاطون إلى غادمير ،رؤية للنشر و التوزيع القاهرة ،ط1 2007، ص 30.

*زوس في الميثولولوجيا اليونانية يعني إله السماء و إله آلهة الأو لمب ،فزوس يرتبط إرتباطا وثيقا بالخطاب، و مدى قدرة الخطيب على إتقان فن الخطابة فهو مؤول و رسول .

ذات المعاني المزدوجة و أيضا هناك تأويلية ،لأن هناك لغة غير مباشرة لغة رمزية تشمل الكينونة بكل أشكالها و جوهرها "[1] .

ثم ظهرت الهيرمينوطيقا الفلسفية التي نشأت في القرن العشرين و بدأت مع مارتن هيدغر و لكنها طرحت كنظرية لفهم النص من طرف تلميذه غادامير، فالحركة بدأت على أيدي علماء الكلاسيكيات و اللاهوت، و لكنها لم تلبث أن إتسعت لتشمل النصوص الأدبية بل تجاوزت ذلك إلى مجالات علم النفس و علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا و التاريخ .

إذن الهيرمينوطيقا تمثل " فن القراءة" أي تفكيك و تفسير و كشف معاني النصوص و قد ظهر إتجاهين يهتمان بهذا المجال: الأول يهتم بإسترجاع المعنى و إعادة بناءه و هو ما يتبعه رجال الدين ، و إتجاه أخر قائم على الشك و يضم مفكري مدرسة الإرتياب و هم نيتشه ، ماركس، و فرويد الذين إهتموا بتحليل و تجزئة المعنى و ليس العكس.

إذن مهمة التأويل كممارسة للإرتياب تتمثل في فك الآليات التي تتحكم في الشعور و تجعله غافلا عن ذاته من خلال تحريره المطلق من عبوديته ، و هذا بكشف الوقائع النفسية السوية و المرضية كمؤشرات يؤدي تأويلها إلى دوافع خفية .

إذن يجب البحث عن المعنى الحقيقي للسلوكات من أجل فهم المكبوت أي العالم النفسي اللاشعوري ،و هذا فعلا ما قام به مؤسس التحليل النفسي سيغموند فرويد من خلال فهم و تأويل سلوكات الذات الإنسانية التي تحمل في داخلها مسارات نفسية لاشعورية تفرز ردود فعل تفلت من مراقبة الذات .

" لقد أدمج فرويد في تصوره للتأويل إعتبارات مثل النشوء العيني ، الصيرورة ، الإهتمام بالماضي لتفسير الحاضر، سيطرة اللاشعور" [2] .

1- مصطفى عادل : فهم الفهم مدخل الى الهيرمينوطيقا نظرية التاويل من أفلاطون إلى غادمير-مرجع سبق ذكره، ص 30.

2- نبيهة قارة : الفلسفة و التأويل ،دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1-1998 ،ص 30 .

وأثبـــت أهمية إستحضار الكلام الخفي الــذي يحرك العالم الدفين للذات.

فالتحليل النفســـي موجه نحو الكشف عن الصلات الدلالية التي يفترض الكشف عنها أي النفاذ إلى أعماق الحياة النفسية و فك رموز لغـة الـلاوعـي ، فالتفسير عنده هو أن تجد المعنى الخفـي أو الكشـف عـن المغزى من خلال بعض السلوكات حتى و إن كانت تافهة كزلات اللسان و القلم و الأحلام .

يرتبـط تأويل التحليل النفسي مع المعانـي الرمزية لحالـة اللاوعي، و تصبح هذه المعاني الرمزية موضوعا للدراسة الجادة و الحقـة عنـد فرويد .

يرى " البروفيسور في العلوم الإجتماعية في جامعة بنسلفانيا "ف- ريف " أن أصالة التحليل النفسي إنما تكمن في الفـن التفسيري و حسب "ر- بوكوك" إن التحليل النفسي هو مادة تفسيرية لهـــا علاقـــة بتفسير المعنى " [1] .

و يعتبـر التحليل النفسي من وجهة نظر الفيلسوف "ب- فاريل " مـادة تفسيريـة و كمـــا يـرى "ر- ستيل " أستـاذ علـم النفس في جـامعـة و يستيليات أن التحليل النفسي هو المركز التفسيري " [2] .

التفسير هنـــا يعني فهم مغـزى السلوك البشري ، و أهمية التحولات الثقافية و الإجتماعية في تكوين حياة الإنسان النفسيـــة و ردود فعلـــه مكونا بذلـــــك منهجا علميـــا في الدراسة التحليلية النفسية للإنسان .

لقـد درس فـرويد الطـب و تخصـص في طـب العقـول و واصـل تعليمـه في بـــاريـــس و تعرف إلى بـــرويـر ،و عـرف منـه طريقتـــه في عـلاج الإضطـرابـات الهستيريـة عن طريق التنفيس و الحـث بأ ن يحكي المريض عن حياته و ذكرياته

1- فاليري لبين : فرويد و التحليل النفسي والفلسفة الغربية المعاصرة ، ت تيسير كم نقش ، دار الطليعة الجديدة دمشق ط1- 1997 ،ص 175.

2-المرجع نفسه ص 176.

و ظروف مرضه و كان " قد اشترك مع برويز في كتاب" دراسات في الهستيريا "[1] و إختلف معه فيما بعد في تقدير العامل الجنسي في الإصابة بالعصاب ، و أبدى فرويد إتجاهات مبكرة في تفسير الإضطرابات النفسية بالجنس لينصرف إلى وضع منهج جديد بإسم التحليل النفسي .

و فرويد عندما وضع مبادئ مذهبه لم يضعها من فراغ ، فالفكر العلمي و الفلسفي قبله و في زمنه يحفل بالأنساق التي إستقي منها فكره ،و كانت إسهاماته السيكولوجية كثيرة من بينها كتا ب تفسير الأحلام ، فعبقريته جعلته يقلب كل المفاهيم السابقة له و قد إستخدم تقنية علاجية عيادية لفهم حالة المريض .

و قد إستخدم هذه الطريقة مع عدة مرضى قبل إكتشاف الطريقة التحليلية، و أول تقنية إستخدمها هي طريقة التنويم المغناطيسي، و قد تخلى عنها فرويد بعدما وجد بعض الثغرات فيها و من بينها عدم إزالة الأعراض نهائيا ، عدم الشفاء التام ، و إستبدالها بطريقة التداعي الحر ،و في هذه الطريقة لا يسعى إلى التأثير على مرضاه بأي شكل بل يطلب من المريض أن يتمدد على الأريكة و يجلس هو وراءه ، فهو لا يطلب أن يغمض المريض عيناه ، كما يتجنب أن يلامسه و تعتبر بمثابة مقابلة بين شخصين لا يبذل أحدهما أي جهد عقلي و لا يخضع إلا للحد الأدنى من المثيرات الحسية مركزا إنتباهه على النشاط النفسي .

فقد وجد فرويد في الأفكار اللاإرادية بديلا مناسبا و تأويلا ممنهجا لسلوك الفرد أو ما يسمى التداعيات الحرة و هنا يطلب فرويد من المريض أن يعبر عن كل ما يريد في مجال ذهنه من أفكار و خواطر و مشاعر و تخيلات حتى و إن إعتبر الفكرة او الخاطرة غير ملائمة أو سخيفة .

1-د:فيصل العباس :التحليل النفسي و الإتجاهات المقاربة العيادية ، دار الفكر العربي بيروت، ط1-1996 ،ص53.

و هنا يكشف فرويد عن بعض الثغرات التي تكتب لاإراديا من طرف المريض ، بناءا على ذلك توصل فرويد إلى النتيجة الأتية :

تاريخ العصاب Nevrose و هو يتضمن دائما حالات فقدان الذاكرة وهي ناتجة عن حالة نفسية أطلق عليها إسم الكبت refoulement .

" دينامية النقلة أو التحويل transfert و هي لا تمثل سمة خصوصية من سمات التحليل النفسي ، بل من سمات العصاب و شعار التحليل النفسي هو حيث كان الهو le ca سيحل الأنا le moi "[1] وآخر تقنية إستخدمها فرويد في تأويل الأحلام بينها في كتابه " مسائل في مزاولة التحليل النفسي " فقد تخيل فرويد أمامه محاورا محايدا خبيرا في الشؤون القضائية و تحضير الدعاوى يناقش و يعرض و إياه الحجج و الحجج المضادة .

"يقول المحاور: التأويل ! يا لها من كلمة كريهة! إني لأنفر منها نفورا فلكأنك تجردني من كل يقين فإن يكن كل شيء رهن بتأويلي ، فما الذي يضمن لي أن أحسن التأويل ولا أتعسف ؟

يجيب فرويد: على مهلك، فالأمر لم يصل إلى هذا الحد من السوء ،ولماذا نتصور أن العمليات التي تدور في أذهان الأخرين فمتى وصلت إلى درجة معينة في ضبط نفسك و توفرت لك المعارف الموائمة، فلن تتأثر تأويلاتك بأوضاعك الشخصية الخاصة بل ستصيب كبد الحقيقة "[2].

وهنا يقصد فرويد من هذا الحوار تبيان ماهية التأويل؟ وأي مسلك يسلكه العقل الذي ينفتح على المسائلة التأويلية؟ ولماذا يجب على التفكير أن يصبح تأويلا؟ وكيف يمكن للمحلل أن يتجرد من الأحكام المسبقة والذاتية ويصغي إلى لغة المكبوت اللاشعوري؟

1-د:فيصل العباس :التحليل النفسي و الإتجاهات المقاربة العيادية ـمرجع سبق ذكره ـ ص35.

2-سيغموند فرويد: مسائل في مزاولة التحليل النفسي ،ت جورج طرابيشي ،دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت ،د ط د ت، ص59.

"يجيب فرويد ببساطة: علينا تطبيق التقنية النظامية لتأويل الأحلام، و تقوم هذه التقنية على غض النظر عن التلاحم الخارجي للحلم الظاهر، و علة تناول كل جزء من مضمونه على حدة، و على طلب إشتقاقه من إنطباعات الحالم و ذكرياته و تداعياته الحرة "[1].

قد أكد فرويد على أنه ينبغي وضع أسس لتأويل الأحلام، و هما مفهومين جديدين، فنحن نطلق على ما يسميه الناس في العادة بالحلم " نص الحلم الظاهر " كما نطلق على ما نفتش عنه " الأفكار الكامنة للحلم، و من ثمة يتسنى لنا أن نعبر عن المشكلتين اللتين نواجههما على النحو الآتي: تحويل الحلم الظاهر إلى الحلم الكامن و بيان الكيفية التي إستحال بها الحلم الكامن في الحياة النفسية للحالم حتى أصبح الحلم الظاهر.

"أما الشطر الأول فهي مشكلة عملية تدخل في نطاق ما نسميه تأويل الأحلام"[2] و تتطلب خطة خاصة ،و أما الثاني فمشكلة نظرية يجب أن يقوم حلها بتفسير تلك العملية الإفتراضية التي تسمى إخراج الحلم، أي أن حلها لايمكن أن يكون نظريا، فينبغي الآن أن نتحدث عن بناء خطة التأويل و نظرية إخراج الحلم.

وقد سئل فرويد أيهما تبدأ به فرد " أعتقد أنه ينبغي أن نبدأ بخطة التأويل، إذ أن حدودها أظهرو أوضح ، و سيكون تأثيرها أوقع في نفوسكم " [3]، فالتأويل بالنسبة لفرويد هو المخرج الرئيسي لدلالة و معنى السلوك الإنساني .

وجد فرويد أنه بإمكانه أن يفسر أحلام المريض جزءا بعد جزء ، مستعينا برموز تلك

1-سيغموند فرويد: الهذيان و الأحلام في الفن ،ت جورج طرابيشي ،دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت ،ط1- 1978 ص83.

2-سيغموند فرويد :محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي، ت عزت راجح ،دار مصر للطباعة ،د ط د ت ،ص 7و 8.

3-المرجع نفسه ،ص 8 .

الأحلام للكشف عما في كامنه ، فالحلم عند فرويد هو " الطريق الأمثل (الملكي) لفهم الكامنة " [1]، و لكن كامنة كل شخص لا تضم تفاصيل متناثرة و غير هامة من التجارب و إنما ردود فعل عقلية تتراكم فيما أسماه باللاوعي.

يقول فرويد " إن المعضلة التي تخص بإهتمامنا الأول هي معضلة دلالة الحلم، لهذا ذات و جهين، فمن جهة أولى نبحث عما يعنيه الحلم من وجهة النظر السيكولوجية و عن مكانته في منظومة الظاهرات النفسية، و يزيد من الجهة الثانية أن نعرف هل الحلم قابل للتأويل ؟ و هل ينطوي مضمون الحلم مثله مثل أي نتاج نفسي أخر ، قد نميل إلى مماثلته به على معنى "[2] .

ويطرح فرويد إشكالية جوهرية في كتابه " التحليل النفسي للأحلام"في قوله "ما الذي يجعل الحلم يختفي ولا يكون صريحا ؟ يجيب بأن السبب هو أن غالبية أحلامنا تدور حول موضوعات جنسية لا ترضى عنها النفس ، ومن ثم تحاول رغباتنا الجنسية أن تستمر و تخرج من اللاشعور إلى الشعور عن طريق الرموز التي تشير و ولا توضح وتنتهز فرصة النوم لتبني في شكلها الحلمي بالتمويه على الرقابة النفسية التي تفر منها النفس على كل الرغبات المحرمة "[3] .

كما أن التأويل بإعتباره رمزا يعبر عن دلالة معينة فهو يعمل عند بول ريكور بصفة "فائض دلالة " " فالتأويل الفرويدي يلامس الجوهري" [4].

و تدل معالجة فرويد و تحليله لسلوكيات فردية كانت أو جماعية بمثابة إرهاص تأويلي يعطي المعنى دلالاته البعدية.

و قد أكد بول ريكور في كتابه " بعد طول تأمل " ، " أنا الخطاب الفرويدي كامل قوته

1-أحمد عكاشة: سيغموند فرويد حياته و تحليله النفسي ـ مرجع سبق ذكره ـص32.

2-سيغموند فرويد :الحلم و تأويله، ت جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشربيروت ، ط4 ـ 1982 ،ص6.

3 سيغموند فرويد :التحليل النفسي للأحلام ، ت عبد المنعم الحفني، الدار الفنية للنشر و التوزيع ،ط1 ـ ،1988 ص19.

4-بول ريكور: صراع التأويلات ـدراسات هيرمينوطيقيةـ ت منذر عياشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، طرابلس ط1 2005 ،ص181.

الحجاجية قبل أن أندفع معه في علاقة نقدية صريحة ، وعلى هذا النحو شرعت أعرض تحت عنوان " قراءة فرويد" التفسير الفرويدي كما لو كان خطابا مختلطا من حيث هو يمزج لغة القوة (الغريزة الجنسية التركيز النفسي ، الكبت، عودة المكبوت...)بلغة المعنى (الفكر ، الرغبة ،المعقولية ،العتب ، الشمولية ، التأويل ، تحريف النص)"[1] .

إذن من هذا المنطلق التأويلي ندرك مدى إرتباط التأويل بما هو خفي ومستتر أي " الأفكار الكامنة و المقنعة للحلم ".

إن تقنية فرويد التحليلية التأويلية قائمة على معالجة الحالات العصابية وهي تخضع لجملة من الشروط الموضوعية و الذاتية أبرزها:

1- لايباشر المحلل بالتحليل النفسي إلا بعد إجراء بعض المقابلات مع المريض حيث يتم إعلام هــذا الأخير بوسائـــل العـلاج و شروطـــه و أهدافـــه .

2- يخضع المريض في الحد الأدنى لثلاث جلسات تحليلية في الأسبوع و تتراوح المدة التي تستغرقهـــا كل جلســة بيــن الأربعيــن و الخمسيــن دقيقـــة .

3- يتمدد المريض على الأريكـــة و يجلس المحلل وراءه و تسمح هذه الوضعية للمريض بالتكلم دون أن يتعين عليه مواجهـــة المحلـــل أو إدراك استجاباته .

4 - يتمثل دور المحلل الأســاسي في الملاحظة و الإستماع و في الفهم و الصمت و عدم التدخل إلا في اللحظة المناسبة لإعطاء التأويـــل المناسب و يتعين عليه أن يتصف خلال الجلسات التحليلية بالحياد أي لا يكشف شيئا عن حياته و رغبــاتـه و أرائه .

أمـــا المكونـــات الأساسية للتقنية التحليلية أبرزهـــــا مـــا يلـــي :

1 - التداعيات الحرة : تشكل التداعيات الحرة القاعدة الأساسية للعلاج التحليلي و تتمثـــل هذه القاعدة في الطلب من المريـــض أن يعبر لفظيـــا عن كـــل مـــا

1- بول ريكور : بعد طول تأمل، ت فؤاد ملين ،المركز الثقافي العربي بيروت، ط1 -2006 ،ص57.

يجـــول في ذهنه و ما يشعر به دون أن يقوم بعملية إنتقاء أو يستبعد أيـــة فكـرة مهمـــا بـدت سخيفـة و بعيدة كل البعد عن موضـوع الحديـث ،و الواقع أنه لا توجد هناك تداعيات حرة بكل ما في الكلمة من معنى ذلك أن عملية التداعي تخضع حسب فرويد للحتمية النفسيـة .

فما يقـوله المريض في الجلسة التحليلية يرتبط بعلاقة غير مباشرة بالمكبوت ،و تكمن وظيفة المحلل النفساني في الكشف عن نمـط هذه العلاقة والتوصل إلى الرغبة المكبوتة التي أدت إلى المرض .

1- **تأويـل الأحـلام** : يمثل الحلم حســب فرويـد الطريـق الملكي المـؤدي إلى اللاوعي ، والحلــم في النظريـــة التحليليـــة عمليـــة تسويـة بين الرغبة المكبوتة و المقتضيات الأخلاقيـة والجماليـة أي مقتضيـات الأنـــا الأعلـــى ويهـدف تأويل الأحلام الذي يكـاد يشكـل تقنيـــة قائمـــة بـــذاتها للوصـــول إلى المحتـــوى الكامـــن للحلـــم أي إلى الرغبـــات المكبـوتـــة .

2- **تأويـــل الأفعـــال المغلوطـــة** : يعتبر فـرويـد أن الأفعـــال المغلـوطـــة و مختلـف أنـواع الـــزلات تعبـــر رمـزيـــا ، ففـــي الجلســات التحليليـة مـن إكتشـــاف إهتمـامـــات الفـرد الـلاواعيـــة و مـــواقفهـــا .

3- **تأويـــل النقلـــة** : تعني النقلة في القامـوس التحليلـــي تبني المـريـــض تجاه الشخـص المحلـل للمواقـف الإنفعالية اللاواعيـة الوديـة أو العدوانية أو المتجادلة التي يتخذها في طفولتـــه تجـــاه والـــديـــه ،ففي النقلة يكرر المريض سلوكيا و أمام الشخص المحلل المواقف الطفلية الأوديبية أي أنه بطريقة أخرى تجسد سلوكيا وفي المجال التحليلي المشكلات الطفولية اللاواعية ويقوم دور" المحلل إذا على تأويل النقلة وترجمتها من مجال السلوك إلى مجال الفكرالواعي"[1]

1- ت ج أندروز : مناهج البحث في علم النفس ، ت : د يوسف مراد دار المعارف بمصر، ط1-1959 ،ص 35.

إن المقصد الذي بينه فرويد في سياق نظريته يتضمن تزييف الشعور الإنساني بطرح مسألة الشك إلى صميم الحصن الديكارتي ، فالوقائع النفسية أكانت سوية أو مرضية تعتبر كعلامات يؤدي تأويلها إلى دوافع خفية تمثل شروط وجودها ، فإظهار العالم النفسي اللاشعوري ينير الظاهر اللامعقول للأفعال التي يمكن إدراكها .

إن الفرويدية بصفتها منهج إستكشاف النفس اللاشعورية يقف ضد الأنا الجوهري المميز للفكر الميتافيزيقي ، فالذات تتهيكل وتجدد هيكلتها بإستمرار من خلال لحظات جدلية يتمثل نسيجها الخلفي في الجنس و لايمكن لكائن أن يصبح ذاتا دون أن يجابه الصراعات المختلفة .

إذن المعطيات النفسية تحمل في غالبها فجوات يجب تأويلها بعلاج يؤدي إلى إفتراض محتويات لا شعورية،يمكن أن تفسر الأمراض العصابية و حتى الذهانية .

فأغلب ما يصدر عن الإنسان حسب فرويد من هفوات و زلات لسان و أحلام و إبداعات فنية تمثل الجانب الخفي اللاشعوري ،و هنا تظهر الأسرار الأكثر حميمية التي يسعى الفرد إلى إخفائها .

عرف تاريخ تطـورحركة التحليل النفسـي عـدد مـن التحـولات و الانعطافات تقـود إلي الموقـف المـزدوج مـن تراث فرويـد النظري، وقد كانت ردة الفعل الأولى على أفكار فرويد حـول اللاشعورالفـردي، الجنسيــة، اللبيـيدو، و بدأت تظهر داخـل حركة التحليل النفسى خلافات بين ممثليها من بينهـم أدلر ويونـغ، فقد أســس أدلر بداية جديدة لحركة التحليل النفسـي " فإهتمـامات أدلـر الإجتماعية طبعــت نظريـاتـه و جعلتهـا متباينــة كل التباين عن نظريات فرويد " [1] ،ففي كتابه معنى الحياة يقوم ألفريد أدلر بشرح وجهة نظر علم النفس الفردي في معنى الحياة كما يصنف المشكلات الأساسية الثلاث التي

1- فيصل عباس: التحليل النفسي و الإتجاهات الفرويدية المقاربة العيادية ، دار الفكر العربي بيروت، ط1-1996 ،ص 82.

تواجه الفرد في حياتـــــه و هي العمل – العلاقة مع باقي أفراد المجتمع - و الزواج ، و قد كان أول من إهتم بنظريــات سيغمونـــد فرويـد ،و لكن سرعان ما إنشق عنها لإختلافه معه في المسلمات الأساسية خاصة دور الجنس في الأحلام .

يقول أدلر " إن فرويد يعالج الحلم على أنه يحمل معنى يمكن فهمه بطريقة علمية ،و مع هذا فإن طريقة فهم فرويد للأحلام قد أخرجتنا بعيدا عن النطاق العلمي "[1]، أما فيما يخص الجنس فيرى أدلر " الذين يؤمنون بنظرية فرويد في وجود خلفية جنسية في معظم الأحلام ، وجدوا أن هذه النظرة غير مناسبة لتفسير جميع الأحلام "[2].

و بالتالي طبقا لهذه النظرية لا يكون للدوافع الجنسية إلا دورا ثانويا ، فهو يؤمن بأن لكل فعل يصدر عن الشخص يحمل أسلوبه المتميز ، الذي يجعله منفرد ا عن غيره .

قد أكد أدلر على أن التأويل الفرويدي للأحلام يفتقر للمعيار العلمي ، لقوله " و من وجهة النظـــرالفرويديـــة نـــرى ثمـــة جهـــدا حقيقيـا قـد تم تقديمـــه يرمي إلى إعتبـــار الحلـــم ينطـوي على معنى يفضي إلى فهمه فهما علميا ، لكن هذا لا يدرأ عن التفسير الفرويدي للحلم تـهمـة ثابتة و هي أنه تفسير قد أبعد الحلم عن مجاله العلمي "[3] .

يعتقد أدلر أن الشعور بالنقص قائم في نفوس الناس جميعا ، فالشعور بالنقص ليس بذاته أمرا شاذا، بل هو العلة في كل تقدم وصل إليه الجنس البشري ، فالعلاج عند أدلر يقوم على عدم جعل المريض يهرب إلى اللاشعور و الكبت ،بل تجعله يواجه ما يشعر به من أجل الإندماج في المجتمع .

1-ألفرد أدلر: معني الحياة ،ت عادل نجيب بشري، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، دط- 2005 ،ص135 .

2-المرجع نفسه ، ص 136.

3- ألفرد أدلر: سيكولوجيتك في الحياة " كيف تحياها " ،ت عبد العلي الجسماني، المؤسسة العربية للدرسات و التشر بيروت ، ط1-1996،ص 121.

و ثمة أمر أخر و هو أن أدلر يربط بين مضمون الحلم و سياق الشخصية بدلا من التركيز على تفسير الرموز وحدها يقول أدلر " كان فرويد يؤكد بشكل خاص على أن الأحلام إنما يتم بنائها أساسا من الإستعارات و المجازات و التأويلات والرموز ،فلا عجب أن يعلق أحد النفسانين قائلا :فنحن إذا في أحلامنا شعراء "[2].

أما يونغ فيجعل من الماضي شاملا لطفولة الفرد ،طفولة الجماعة التي ينتمي إليها ،أي أنه يؤمن باللاشعور الجمعي كجزء مهم في تكوين نفسية الفرد لقوله " إن العمل الفني إنما يحدث لضروب شتى معقدة من النشاط الشعوري و اللاشعوري "[3].

فعند يونغ نجد أن اللاشعور الجمعي أو ما يسميه هو بلاشعور البشرية جمعاء هو مصدر عملية الإبداع الفني ، إن الإشتقاقات التي حدثت داخل منظومة التكوين النفسي أدت إلى تأسيس مدارس جديدة ،فقد أسس أدلر مدرسة " علم النفس الفردي " أما يونغ فقد أسس " علم النفس التحليلي " و سبب هذا الإشتقاق هو مبالغة فرويد في نظرهم على أهمية الحياة الجنسية في الطفولة بوصفها سببا للعصاب ، فمثلا مفهوم غريزة الأنا كان بديلا لليبيدو و الشخصية الإجتماعية مقابل الشخصية الفردية ،و قد أكد هذا الطرح يونغ في كتابه " علم النفس التحليلي " بقوله " عجز فرويد مثلا في فهم الخبرة الدينية كما يظهر ذلك في كتابه مستقبل و هم ، من جانبي أفضل أن أنظر إلى الإنسان في ضوء ما فيه من صحي و سليم ، و أن أحرر المريض من وجهة النظر التي تسبق كل صفحة كتبها فرويد ، إن تعليم فرويد أحادي على نحو محدد "[4].

1-ألفرد أدلر سيكولوجيتك في الحياة " كيف تحياها "- مرجع سبق ذكره - ص 121.

2-المرجع نفسه ص126.

3-د: محمد علي أبو ريان : فلسفة الجمال و نشأة الفنون الجميلة ، دار المعرفة الجمالية الإسكندرية د-ط 1989 ،ص 16.

4- كارل يونغ :علم النفس التحليلي ، ت : نهاد خياط ، دار حوار للنشر و التوزيع سوريا، ط2-1979 ، ص 131.

بينما أوتورانك فقد إستخدمه فرويد كسكرتير له و كان مرشحا ليخلفه في كل شيء إلا أنه نشر كتابه " صدمة الميلاد" ،فكانت صدمة للجميع لأنه كان بكل المقاييس ضد كل المفاهيم التي دعى إليها فرويد ، فالأساس الأعمق المسبب لمعظم أمراض السيكوباثولوجيا " الأمراض النفسية و العقلية " هي إنفصال الوليد عن الرحم حيث يؤكد رانك " صدمة إنفصال الوليد عن الرحم تؤدي به إلى أن يخشى تكرر الإنفصال طوال حياته و هذا الخوف من الإنفصال أو الوحدة يؤدي إلى الإعتماد على الآخرين أو الرغبة في التشبث بهم "[1]،و قد مال رانك كأدلرلرفض أهمية اللاشعور بإعتباره مخزنا للطاقة .

لقد أشار رانك إلى صعوبة أخرى في علم النفس و هي أنه " لا يتعامل رأسا مع الحقائق كما تصنع العلوم و إنما يتعامل مع موقف الفرد من هذه الحقائق ، و بعبارة أخرى فإن مواضيع علم النفس هي تفسيرات و هناك منها بعدد الأفراد بل و أكثر، لأن الأوضاع المختلفة للفرد يجب تفسيرها بشكل مختلف في كل مظهر من مظاهرها " [2].

أما ميلاني كلاين " 1882-1960" عالمة نفس مع أنا فرويد طبقت التحليل النفسي على الأطفال "دراسة التكوين النفسي للطفل " وهي ترتكز على الصراعات التي تسبق الأزمة الأوديبية و التي تحدث في العلاقة مع الأم .

التأويل عند ميلاني كلاين له غاية و هو تأمين المخرج المكبوت و تخفيف القلق فالتأويل يبدأ منذ اللحظة التي يفصح فيها الطفل عن عقده ، سواء من خلال اللعب أو الرسم أو حتى من خلال السلوك .

1-جوليان روتر : علن النفس الإكلينيكي ، ت : عطية محمود هنا دار الشروق القاهرة ،ط2-1984، ص 146.

2-د : برسيفال بيلي : نقد نظرية التحليل النفسي ـ سيغموند فرويد مأساة في ثلاث مشاهد ـ ت محمد هلال ،دار المناهج للنشر والتوزيع عمان ،ط1-1999 ، ص 60.

أما أنا فرويد "1895-1982 " و هي إبنة سيغموند فرويد فقد أخذت عنه إتجاهاته وإهتماماته السيكولوجية ،و لكن إختلفت عنه في بعض المسلمات و منها ، أنه فيما يتعلق بمنهج التحليل النفسي فإن ترجمة الرموز و تأويلها قد يكشف عن الكثير من محتويات اللاشعور بدون أن يتحصل الفهم العميق لشخصية المريض أو حتى السوي .

إن تاريخ تطور حركة التحليل النفسي تكشف عن النظريات و الإتجاهات التي حاولت بالرغم من بقائها في إطار المدرسة الفرويدية إدخال تعديلات و تطبيقات على مذهب التحليل النفسي ومن بينهم : كاران هورني ، هاري ستاك سوليفان ، ولهلم رايش ، هاربرت ماركوز ، إريك فروم ، بول ريكور .

كاران هورني قد تأثر ت بفكر فرويد إلى درجة كبيرة ،و لكنها تختلف معه في أهمية و دور الجنس ، فهي ترى أن هناك ما هو أهم من الجنس وهو الحب الوالدي والذي يعتبر البديل عن فكرة الجنس ، هذا لا يعني أنها ترفض اللاشعور بل ترفض فكرة التعميم ، فالخبرات الطفولية المكبوتة لا ترتبط بالرغبات الجنسية بل بفقدان الحب والإعتراف و الحاجة إلى تحقيق الذات وبالتالي " فقد كانت كارن هورني أول من قدم نقدا للسيكولوجية الفرويدية عند المرأة ، قد أسهمت فيما بعد ببحث مثمر يهمل نظرية الليبيدو و يشدد على أهمية العوامل الثقافية "[1] .

ينشأ العصاب عند هورني من الإستراتيجيات التي يتبعها الفرد في محاولته للتعامل مع القلق الأساسي والمتمثل في الشعور بعدم الراحة و توقع المكروه .

وبالتالي فالمصدر الأساسي للقلق ناشئ عن العلاقات المضطربة التي نكونها و نحن أطفال، كأن نعاني من الحرمان العاطفي أو التدليل المفرط أو العقاب الشديد أو الحماية الزائدة ...إلخ.

1-إريك فروم : أزمة التحليل النفسي ، ت: طلال عتريسي المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت ،ط1-1988 ، ص 25.

و النتيجة أن يستشعر الطفل أنه معزول فيولد ذلك فيه شعورا بالعداء يقوى عندما لا يستطيع أن يعبر عنه و هنـــا ينشـــأ الكبـــت، و بالتالي فقد عرفت هورني العصاب كما يلي " إن العصـاب هو رد فعل على القلق الأساسي ، إلا أنه رد فعل شيء للتكيف "[1].

وهنا تظهر مهمة العلاج النفسي هي مساعدة العصابي على إدراك صورته المثالية و وظائفها و نجاح العملية متوقف على الفرد ذاته و عدم قدرته على معرفة الطرق الوهمية لحل الصراعات داخل الشخصية ، و الهدف من ذلك هي تكييف الفرد مع الواقع الإجتماعي و الثقافي .

إن هـــدف العـــلاج التحليلـــي عنـــد هورني هو مساعدة المريض على إدراك القوى الداخلية التخريبية والبناءة لكي يستطيع إبعاد كل ما هو مدمر وتطويرا كل ما هو بناء.

أما هاري ستاك سوليفان على غرار كارن هورني فهو يعترف بأهمية العوامل الثقافية و مع مفهومه للتحليل النفسي كنظرية " للعلاقات بين الأفراد و لكنه يتفق معها في رفض نظرية الليبيدو" [2].

و قـــد إشتهـــر بنظريتـــه في العلاقـــات المتبادلـــة في العـــلاج النفســـي، و هـــو يؤكد على الشخصية المتبادلة أي أن تنظيم الشخصيـــة قـــوامـه الوقائع المتبادلة بين الأشخاص و ليس الشخص نفسه .

بدليل أن العمليات العقلية المختلفة مثل : التذكر ، التخيل ، التفكير يمثل صدى للعلاقات الشخصيـــة المتبادلة ، فكلما كانت للشخص علاقات مختلفة كلما كثرت ديناميـاته التي تتحكم في سلوكه والديناميات قد تكون مشاعر ، أو إتجاهات أو أفعال ، و الدينامية تستخدم منطقة معينة من الجسم قد تكون فمية أو تكون جنسية .

1- د : فيصل عباس: التحليل النفسي و الإتجاهات الفرويدية المقاربة العيادية ، دارالفكر العربي بيروت ط1-1996، لبنان ص115

2- إريك فروم :أزمة التحليل النفسي، ت طلال عتريسي، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت، ط1 1988،ص 25 .

كما أن النظام الذاتي عند سوليفان هو البديل لنظام الأنا عند فرويد ، لأن نظام الذات يعتبر الحارس على أمن الفرد ، و لعل أهم فارق يميز سوليفان عن فرويدهو تأكيده على الطابع الإجتماعي النفسي لنمو الشخصية .

كما ترتبط نظرية سوليفان في العلاقات الشخصية المتبادلة بنظريته في العلاج النفسي حتى ليجعل منهما نظرية واحدة ، وهنا المعالج من وجهة نظر سوليفان تختلف عن نظرة فرويد.

فالمعالج بالنسبة لسوليفان يعتبر ملاحظ مشارك بمعنى يتواصل و يتفاعل مع المريض من خلال المواجهة المباشرة.

أما إريك فروم فهو يعتبر التحليل النفسي الفرويدي أزمة إنسانية لأنه لم يبرهن على وجود نظرية علمية تؤكد مصداقية أطروحته لقوله " ما أسباب هذه الأزمة الأكثر عمقا؟ أظن أن الحجة الرئيسية تكمن في تحول التحليل النفسي من نظرية جذرية إلى نظرية إمتثالية " [1] .

فالتحليل النفسي يعبر عن أزمة الإنسان الغربي الروحية و محاولة العثور على حل لها دخل في حالة جمود لأنه لم ينجح في تطوير نظريته أمام تغيرات الوضع الإنساني خاصة بعد الحرب العالمية الأولى ، يقول إريك فروم " توجد مسألة أخرى يختلف فيها فرويد جذريا عن الموقف الغربي المعاصر ، أشير أنه كان يريد أن يحلل الشخص سنة أو سنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس سنوات أو حتى أكثر من ذلك ، و كان هذا الإجراء في الحقيقة سبب قسط كبير من النقد ضد فرويد "[2] .

لقد حاول التوفيق بين الدينامية السيكولوجية عند فرويد و الأفكار الإجتماعية عند ماركس ، وبدأ يمارس التحليل لنفسي كواحد من أتباع مدرسة فرويد إلا أنه إنتقد

1- إريك فروم : أزمة التحليل النفسي ـ مرجع سبق ذكره ـ ص 11.

2- إريك فروم :د.ت سوزوكي ريتشارد دي مارتينو: بوذية الزن و التحليل النفسي، ت محمود منقذ الهاشمي ، أزمنة للنشر و التوزيع ، الأردن ،ط1-2006 ، ص121.

مفهوم فرويد عن النفس الإنسانية ، و إهتمامه بالغريزة الجنسية ، و إهماله أيضا العوامل الإجتماعية و الإقتصادية ففي كتابه "التحليل النفسي و الدين" ناقش نظرية فرويد و يونغ و شبه المحلل النفسي برجل الدين وأقترح أن يتفقا حول أسس عامة إجتماعية تجمع بين عمليهما و أهدافهما .

إذن مفهوم الأخلاق عند فروم هو بديل لمفهوم الغريزة عند فرويد ، فبحسب أخلاقيات الإنسان يكون إنتسابه للعالم وهي تتشكل منذ الطفولة بتأثير البيت ، المدرسة ، وسائل الإعلام و في مرحلة الرشد تتحدد العلاقة بينه و بين الدولة و المؤسسة الدينية و القيم الثقافية ، إلا أن العلاقات الاقتصادية هي أقوى العلاقات تأثيرا على الفرد من خلال نوعية الوظيفة التي يؤديها .

فالعلاج النفسي بحسب فروم هو أن يعي الفرد زيف وجوده في المجتمع ، كي يحقق فيما بعد إمكاناته الكامنة ، ويرى فروم أن الأمل ملازم لكل فرد و يعتبره نشاطا ضروري لوجوده و إستعدادا داخليا لإحداث تغيرات في وجوده و عليه أن يظهر ذاته الحقيقية لا أن يبرز في القناع الإجتماعي .

لقد كان مطمح فروم هو إقامة مجتمع إنساني قائم على مبادئ الأخلاق الإنسانية والحب الشامل ، إذا فروم هو مؤسس حركة علاجية ذات أهمية لا يزال تأثيرها كبيرا و يمكن أن يصنف من بين الماركسيين الفرويديين إلى جانب ولهلم رايش و هاربرت ماركوز.

ولهلم رايش (1907-1957) عالم نفساني نمساوي مارس التحليل النفسي و صار عضوا في حركتها ،وكان مشرفا لكل الدورات التي عقدت للعلاج بالتحليل النفسي في فيينا ، و كانت له نزعة إشتراكية ماركسية و لهذا فقد توجهت كل دراساته إلى فهم الإضطرابات العصابية عند العمال .

العصاب عند رايش يعتبر شذوذا عاما للإنسان، وحالة شاذة نظرا لوجود الإنسان في ظروف إجتماعية قاهرة، أما بالنسبة لفرويد فيعتبر العصاب تمزقا مرضيا و تلبية مشوهة للرغبات اللاشعورية ، فسبب نشوء العصاب هو الظروف الإجتماعية و الثقافية

المحيطة بالفرد ، خاصة إذا كانت هذه الظروف تفوق قدراته مما يؤدي به إلى الخوف ثم المعانات الداخلية .

كمـا يتفـق رايش مع فرويد في الأسباب الجنسية للعصاب ، إذ أن الجنسية تمثل جوهر الحياة و يعتبر نظام الأسرة الأبوية هي مصدر النزعة الجنسية المشوهة و النزعة التسلطية ،و بالتالي فالعائلة هي المسؤولة في غالبية الأحيان عن الإضطرابات خاصة إذا كانت التربية تقليدية ، فهي تعلمهم الطاعة والرضوخ و الإستسلام ،وبالتالي تخمد فيهم حرية المبادرة و المسؤولية .

إذا قد جعل رايش التحليل النفسي الفرويدي بمثابة أرضية لنشوء النظرية الماركسية ويركز على المصدر الطاقي للعصاب من حيث أن الجهاز النفسي العصابي يتميز عن الجهاز النفسي السوي بالوجود الدائم للطاقة الجنسية ،بينما فرويد فهو يربط العصاب بالإضطرابات النفسية المتعلقة بالجنس .

أما هربرت ماركوز (1898-1979) فقد لجأ إلى فرويد بخلفية ماركسية لتغطية النقص الموجود في فلسفة ماركس التي أغفلت الجانب النفسي للفرد الإنساني ،و إهتمت بتحريره إجتماعيا و إقتصاديا و هذا من خلال إعطاء الماركسية وجها نفسيا .

أما بول ريكور فأثناء دراسته لتصورات التحليل النفسي فقد توصل إلى فن التأويل بفضل معالجة المفاهيم الفرويدية حول المعنى الرمزي لحالة اللاوعي ، و لكنه فيما بعد ربط التأويل مع القضية العامة للغة و النص المكتوب في قوله " أنه لمن المهم إذا أن نبين أن التحليل النفسي هو تأويل للثقافة في مجموعها ، و ليس تفسيرا شاملا ، وسنقول فيما بعد أن وجهة نظره محدودة ، و سنقول أيضا أنها لم تعثر بعد على مكانها في كوكبة تأويلات الثقافة وهذا ما يجعل من معنى التحليل النفسي معنى معلقا و يجعل مكانه غير محدد "[1] .

1- بول ريكور: صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية ، ت :د منذر عياشي دار الكتاب الجديد المتحدة ،لبنان ،ط1- 2005 ، ص161 .

إن حركة التطور الذي شهده التحليل النفسي بتنوعه و تباينه قد أرسى بعض الإفتراضات الأساسية التي مثلت نمطا معينا من التصور يختلف أحدهما عن الأخر، و لكن مع ذلك فهو يحافظ على ميزات مشتركة وهي تأثرها بفرويد على حد تعبير ريكور لقوله " إن فرويد محارب بين المحاربين ، و سيصبح في النهاية شاهدا ذا إمتياز على المعركة الكلية لأن كل التقابلات ستكون قد إنتقلت إليه "[1] .

وبالتالي فالتحليل النفسي قد إكتسى طابع فلسفيا لدى الفرويدون الجدد الذين يقومون بكشف و تفسير الجوانب الإجتماعية و الإقتصادية و الثقافية للمجتمع المعاصر ليظهر التمـايز بينهـا و بين مدرسة فرويـــد في الأسس النظرية و ليس على أســاس الفــروق في الممارسة و الأسلوب و قد بلورت الفرويدية الجديدة إتجاهها وفقا لبعض الفرضيات و هي :

1-رفض نظرية فرويد المتعلقة بالليبيدو .

2-رفض المسلمات الفرويدية حول غريزة الجنس و علاقتها بالعصاب ، وكذلك الموقف النقدي من عقدة أوديب ، ودور الطفولة في النشاط الحيوي عند الإنسان .

3- التأكيد على ترابط بين الأفراد و تأثير الأخرين في العالم المحيط بالفرد

4- الإهتمام بجوانب الحياة الذهنية أي إثبات الذات وفقا لوعيها .

5- المزج بين التحليل النفسي والنظرية الإجتماعية الماركسية (فرويد والماركسية)، فما أنجزه فرويد يعد " صدمة حقيقية لغرور الإنسان و ثقته الزائد ة بعقله و تسليمه الساذج لمحتوى وعيه "[2] ،و هذا من خلال فهم طبيعة الحياة النفسية .

1- بول ريكور : في التفسير محاولة في فرويد ، ت وجيه أسعد أطلس للنشرو التوزيع ،دمشق ، ط1-2003 ، ص 62.

2-د عادل مصطفى ، فهم الفهم " مدخل إلى الهيرمينوطيقا" نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير رؤية للنشر و التوزيع ،القاهرة ،ط1-2007 ، ص 448.

المبـحـــث الثـــانـــــي:

علاقـة التأويل بالإبداع الجسدي .

علاقـة التـأويـل بالإبداع الجسـدي

لقد أصبح من المتعارف عليه أن إنشطار الحياة النفسية إلى شعور و لاشعور هو إكتشاف ينسب للشعراء و بعض المدارس الفلسفية قبل مدرسة التحليل النفسي ،و هو ما دفع بالباحثين إلى محاولة تأصيل هذا المصطلح بإعتباره جزء لا يتجزء من النشاط البشري، فلا يمكن أن نفهم العملية الإبداعية و معرفة ما يحيط بها من سياقات، لأن الفن الإبداعي الجمالي هو ترابط بين الإعلاء العصابي و ردود الفعل من جهة ، و بين الدوافع العدوانية و الغريزية من جهة أخرى .

" صحيح أن جميع أشكال الصنعة فيها مقومات معينة مشتركة لكننا هنا معنيون بتلك المميزات الخاصة التي تفرق بين الفنان المتساوق مع نفسه و بين الصناع" [1]

وقد كان فرويد مهتما بمطالعة الأثار الأدبية للشعراء و الأدباء لأنهم يبدعون بسردهم لمكبوت لاشعوري بلغة غامضة ،فالشاعر رجل تراوده الأحلام في حال اليقظة كما تراوده في نومه و لقد وهب أكثر من أي إنسان أخر القدرة على وصف حياته العاطفية و هذا الإمتياز يجعل منه في رأي فرويد صلة الوصل بين كبت الغرائز ووضوح المعرفة العقلانية المنظمة .

فالفنان في نظر فرويد يملك طاقة تدفعه إلى تحويلها و جعلها أكثر واقعية ،و من ثم تنتقل الحاجة من التعبير ع الى كيفية التعبير ،أي الشكل الذي يمكنه أن يستوعب المضمون بطريقة جمالية و هو الذي يميز نضج الذات لدى الفنان و قوتها فبدلا من أن يستجيب للعقد يجد طريقا إلى التحويل الخلاق و يجد طريق العودة إلى الواقع .

يقول فرويد في هذا الصدد " بدأ الإهتمام بالتحليل النفسي في فرنسا بين رجال الأدب و لا بد كي نفهم ذلك ،أن نذكر أنه منذ كتابة تأويل الأحلام لم يعد التحليل النفسي

1-أي شنايدر : التحليل النفسي و الفن ، ت يوسف المسيح ثروة ، دار الحرية للطباعة و النشر ،بغداد ،د ط ـ 1984، ص 14.

موضوعا طبيا خالصا ،فبين ظهوره في ألمانيا و ظهوره في فرنسا يقع تطبيقاته العديدة على فروع الأدب و الجماليات .... و لا صلة لأي من هذه الأمور بالطب إنما تتصل به عن طريق التحليل النفسي وحده"[1]،إن علاقة فرويد بالذات المبدعة أضافت إلى التحليل النفسي قيمة جليلة تجلت في مستويين إثنين:أحدهما تمثله تلك النتائج التي حصلت لفهم بنيات العمل الفني و الثانية تتجلى في تلك الجهود التي بذلت لإنجاح نظرية اللاوعي وفك رموز لغة العمل الفني ،ولكن العمل الفني و جمالياته لها أصول تاريخية تمتد حتى بواكير الفكر الفلسفي .

فعلم الجمال فرع من فروع الفلسفة يغوص و يبحث في طبيعة الفن والخبرة الجمالية سواء أتعلقت بالفنون أم بالموضوعات الجميلة في الطبيعة، وقد ظهر هذا المبحث فرعا فلسفيا مستقلا في أثناء القرن الثامن عشر في إنجلترا وغرب أوروبا متزامنا مع تطور نظريات الفن المختلفة التي عرفت آنذاك بالفنون الجميلة les beaux arts .

ويعود الفضل في إطلاق مصطلح علم الجمال على هذا الفرع المستقل من الدراسات الفلسفية إلى الفيلسوف الألماني ألكسندر بومجارتن في كتابه" تأملات في الشعر"(1735).

و علم الجمال أو الإستيطيقا aesthetics كلمة من أصل يوناني aithanaomia تعني الإدراك وقد أطلقها بومجارتن على أحد مجالي دراسة المعرفة بوصف الجمال علمًا يختص بدراسة الخبرة الحسية المقترنة بالشعور ، وتمييزا له عن نوع آخر من المعرفة المنطقيّة التي تدرس الأفكار المحددة والمجردة، وقد ظل مفهوم الإستطيقا مرتبطا بقوة بالخبرة الحسية ونوع المشاعر التي تخلقها فينا تلك الخبرة.

و من أهم القضايا والأسئلة التي يعنى بمناقشتها فلاسفة الجمال ما يأتي: هل ثمّة موقف جمالي يمكن أن نتبناه فيما يتعلق بالأعمال الفنية والطبيعة؟ وما طبيعة هذا الموقف؟ وهل

1-سيغموند فرويد : حياتي و التحليل النفسي ،ت مصطفى زيور و عبد المنعم حنفي، دار المعارف ،مصر ، ط4-1994،ص95.

يوجد فعلا خبرة متميزة يكون الجمال موضوعها؟ وما طبيعتها إن وجدت؟ وهل ثمّة موضوعات لهذه الخبرة؟ وهل توجد قيم جمالية قياسا على القيم الأخلاقية والدينية والمعرفية؟ ناهيك عن أسئلة أخرى تنتمي إلى فلسفة الفن التي تعدّ جزءا من فلسفة الجمال ولاسيما السؤال عن مفهوم الجمال، وحقيقة وجود ملكة تختص بالذائقة الجمالية التي يفترض أن تصدر عنها الأحكام الجمالية والفنية سواء أتعلقت بالفنون أم بجمال الطبيعة.

ومع أننا تحدثنا عن تقاطع بين قضايا فلسفة الجمال وفلسفة الفن إلا أن هذه الأخيرة تعدّ جزءا من الأولى. وتعنى فلسفة الفن بسؤال مركزي يتعلق بكيفية تعريف" الفن"؛ إذ الثقافات لا تتفق على تعريف واحد للفن كالذي نجده في غرب أوروبا في القرن التاسع عشر والثامن عشر ، فما الذي يسوغ لنا إذن إستعمال مفهوم الفن الخاص بنا وتطبيقه على منجزات وموضوعات أنتجتها وتنتجها حضارات مختلفة ؟ .

علم الجمال الذي يتناول الإنسان في نشاطه المبدع لهذه الصور الجميلة يعد من أصغر أبناء الفلسفة لأنــه لم يستقــل عــن نظريات المعرفة و الخير إلا في العصر الحديث و على وجه الدقة في القــرن الثامن عشر خاصة مع كــانــط الذي نقل مفهوم الجمــال مـن الإعتقادي إلى الإنتقادي ،أي من مفهوم موضوعي إلى مفهوم نسبى بطرحه لإشكالية جوهرية مفادها من أين يستمد الشيء قيمتــه ؟

للإجابة عـن هذا السؤال ينبغي العودة إلى الفلسفة الكانطية ، ويمثل كتاب كانط (نقد الحكم الجمالي) دعامة قوية في بناء علم الجمال وفي مستهله يقرر كانط أنه ليس من الممكن وضع قاعدة بموجبها يستطيع الإنسان أن يتعرف على جمال شيء ما، و لهذا فإن الحكم على الجمال حكم ذاتي و هو يتغير من شخص لأخر، و يختلف عن الحكم المنطقي القائم على التصور العقلي،و من هنا فالحكم المتعلق بالذوق لا يمكن أن يدعي الموضوعية ولا الكلية، فقد نقل كانط الجمال من مفهوم موضوعي إلى مفهوم نسبي و حتى ذاتي، لذا كان لا بد لعلم الجمال أن يتطور بإتجاه التخلي عن علم المجردات و الإنصباب على علم النفس، فأفلاطون الذي وضع حجر الزاوية و فتح المجال لكل علم

مستقبلي و أعتبر الفن محاكاة للجمال، أما المتعة الجمالية فإنها تنشأ بين شكل العمل الفني و جمال الفكرة ، "كما أن الجمال الأصيل يعود للفكرة الجميلة " [1]، " فأفلاطون لم يستمد عبقريته من ملكته العقلية وحدها بل من عاطفة و وجدان إلهـي "[2].

و لن نكون قادرين على تفهم جمال الأشياء ما لم نعتمد على البحث المنطقي في الجمال المنطلق، لهذا الصدد يقول " إن الفن عبارة عن أساليب مختلفة للتعبير عن الواقع الملموس ولهذا فإن الفنان كثيرا ما يعبر عن الأشياء المخالفة لمفهوم الرائع "[*] .

" أو غالبا ما تكون هذه الأشياء فاسدة و قبيحة " [3] ، ولكن الجمال الذي يتحدث عنه أفلاطون أصبح نسبيا يقول ماركس " إن هذا الفن لايزال حتى اليوم يعطينا المتعة الفنية و يبقى لحد ما مقياسا و نموذجا لا يمكن التوصل إليه " [4] .

لقد جادل كانط قائلا إن حكم الجمال أو الذي ينبغي أن يكون شيء عاما و صادقا بالضرورة لكل البشر لأن الأساس الخاص به لابد أن يكون متطابقا لدى جميع البشر و من ثمة فإن الشيء الوحيد في التجربة الجمالية بأنـها مشترك بين جميع البشر و تعد المتعة الخاصة بالجميل و الجليل متعة خاصة بالملكات المعرفية الخاصة بالخيال و الحكم عندما تتحرر من خضوعها للعقل و الفهم، أي تتحرر من قوة الخطاب المنطقي . إن الحكم التأملي كما أشار كانط لا يستمد من الخارج ،لأنه حينئذ سيكون حكم محددا و معينا أو حتميا إنه ينتمي أكثر إلى مملكة الذات أو الوجدان و الشعور .

1-عدنان رشيد :دراسات في علم الجمال، دار النهضة العربية ،بيروت ،ط1-،1985ص 9.

2- محمد زكي العشماوي: فلسفة الجمال في الفكر المعاصر ،دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت 1980،ص50.

*- الرائع بالنسبة لأفلاطون أن الجمال لا يوجد في عالمنا الأرضي بل يوجد في عالم الأفكار أي عالم المثل .

3- م.أوفسيا نيكوف ز.سمير نوفا: موجز تاريخ النظريات الجمالية ، تعريب باسم السقا ،دار الفرابي، بيروت ،ط2-1979،ص22

4- المرجع نفسه .ص 25.

يقول ديكارت ما هو الجمال ؟ هذا ما لن يعرف عنه أحدا شيئا لأنه يتغير بتغير الأذواق. هذا و قد تنبأ ديكارت بقدوم كانط و بأولية الذوق عن الجمال في ذاته .

يقول ديكارت " أن الشيء الجميل جميل بقدر قلة تباين عناصره و إختلافها و بقدروجود التناسب بينها و أن هذا التناسب يجب أن يكون حسابيا "[1] .

فالفن الجميل عند كانط هو فن العبقرية والعبقرية هي موهبة تولد من طبيعة الذات أو هبة طبيعيـة تمنح القـاعدة أو القـانون للفن، و الموهبـة ملكة فطـرية خاصة بالفنان و تنتمي بذاتها للطبيعـة، و من ثمة فإن الطبيعة هي إستعداد عقلـي فطري يقـوم من خلالها الطبيعة بإعطاء قاعدة أوالقانون للفن ،والذوق في رأيه ليس ملكة خلق أو إبداع بل هو ملكة حكم لأن ما يلائم الذوق لا يكون بالضرورة عملا فنيا ، و إنما قد يكون مجرد أثر إصطناعي.و يدعو كانط إلى ضرورة إتحاد الذوق و العبقرية في العمل الفني مادام من الضروري أن يتوافر كـل من الحكم والمخيلة في الفـن ، فالفنان العبقري يحتاج إلى الملكات الأربعة وهي مخيلة ، و الفهـم و الروح و الـذوق ،" فليس الذوق عند كانط حكم في الشعور فحسب بل هو أيضا شعور بالحكم" [2] .

" فحقا إستطاع كانط أن يقدم تحليلا فلسفيا يؤكد به إستقلال ملكة الشعور بالجمال عن ملكة المعرفة " [3].

يــرى كانــط أن الجمــال هو أمر إستيطيقي أي أمر جمالي له وجوده الموضوعي فالجميل هو ما نعتبره موضوعا لرضا ضروري دون الإستناد إلى موضوع عقلي " ثم نظر كانط إلى النشاط الجمالي بإعتباره نوع من اللعب الحر للخيال العبقري و أكد تجرد الحكم الجمالي من الهوى النفعي و تحرره كذلك من التفكير المنطقي" [4] .

1- مصطفى عبده :المدخل لفلسفة الجمال ـمحاورة نقدية و تحليلية و تأصيليةـ مكتبة مدبولي القاهرة ط2-1999 ص 65.

2-نفس المرجع السابق ص62.

3- أميرة حلمي مطر: كتابك فلسفة الجمال ،دار المعارف القاهرة ،دطـ د ت ، ص 41.

4- شاكر عبد الحميد :التفضيل الجماليـ دراسة في سيكولوجية التذوق الفني ـالمجلس الوطني لثقافة و الفنون و الأداب الكويت، 2001 ،ص9.

لقد تساءل كانط كيف عندما أصدر حكم على عملا فنيا و أقول أنه عمل جميل كيف يكون حكمي ذاتيا من جهة ،لكنني أشعر أنه ليس مجرد حكم ذاتي بل يمكن أن يشاركني فيه الآخرون ؟ " إن التساؤل حول الحكم الجمالي هو الذي أوصل كانط إلى فهم طبيعة الجمال" [1].

فأحكام الجميل عند كانط لا تدور حول قبول أو عدم قبول إحساس ما و هي لا يمكن أن ترتد إلى مشكلة الإستمتاع الذي هو اللذة السلبية " و مشروط بالمثير على نحو مرضي فالإستمتاع هو بالإستمرار مسألة أذواق ذاتية و فردية " [2] و غاية الفن هو" إستشعار اللذة لهذا يسمى فنا جميلا و هو إما في الممتع أو جميل يكون ممتعا حينما يكون الهدف منه أن ترادف اللذة ، و جميلا حينما ترافقها كنوع من أنواع المعرفة" [3] ، إذا لقد كان المشروع الكانطي الذي أحدث القطيعة مع المحاكاة و وضع الإستيطيقا كمفهوم في مقابل معناها الحسي عند " باومغارتن يؤسس لجمال مستقل للجمالية كعلم يهتم بتحديد الشروط التي بموجبها يقوم الحكم الجمالي المؤسس لكل حكم جمالي" [4] .

أما هيغل فيعد من أكبر الفلاسفة المهتمين بعلـم الجمال ،فالفن عنـده ناتـج عن العلاقة بين الفكرة والصورة ويكون رمزيا وكلاسيكيا ورومانتيكيا كما صنف الفن حسب هذه المراحل الثلاثة إلى فن العمارة يطابق المرحلة الرمزية و فن النحت يطابق المرحلة الكلاسيكية و فن الرسم والموسيقي والشعر يطابـق المرحلة الـرومانتيكية .

1- مجاهد عبد المنعم مجاهد :جدل الجمال و الإغتراب ،دار الثقافة للنشر و التوزيع ،القاهرة -دط- دت، ص80.
2-كرستو فروانت أندرجي كليمو فيسكي :أقدم لك كانط ،ت- إمام عبد الفتاح إمام ،المجلس الأعلى للثقافة ،ط1-2002،ص50.
3-إيمانويل كانط :نقد ملكة الحكم ،ت غانم هنا ،المنظمة العربية للترجمة، لبنان ،ط1-2005 ،ص 57.
4-حميد حمادي: التجربة الجمالية في الفكر المعاصر لفرديريك نيتشه ،أطروحة دكتوراه ، وزارة التعليم و البحث العلمي وهران، 2007-،2008، ص40.

كما نظر هيغل إلى الفن بإعتباره محدودا نتيجة للطبيعة الحسية الخاصة وبوسائطه و هوفي رأيه غير قادر على النهوض أو الوصول للإدراك الكامل للوعي الذاتي أو الروح و الفن هو أحد الأشكال الكلية للعقل أو هي غايته القصوى فالفن يمثل إلى جانب الدين و الفلسفة واحدا من أسمى ثلاثة أشكال يتجلى بها الروح المطلق" فبالفن يرقى الإنسان حدسيا إلى مستوى الحضور الإلاهي و يعيد إكتشاف البعد المثالي للواقع و يعطي إمتدادا لا متناهي لوجوده المتناهي "[1] .

فهيغل يرى أنه لا يوجد في العمل الفني أي شيء إلا ما يعود للمحتوى و يصلح للتعبير عنه "فالفكرة لم تعد عندئذ كما عند أفلاطون جوهرا منفصل عن المظاهر إنها تنتج التفكير في وحدة إجراء غائي و ضرورته كضرورة الفن "[2] .

"فالروح عند هيغل تنتصر على المادة و الطبيعة كما يتحول هذا الفن من كلاسيكي إلى رومانتيكي و تأخذ فنون الرسم و الموسيقا و الشعر مكان الصدراة و هنا يرتب هيغل الفنون و أدناها فن العمارة و يليه فن النحت ثم الرسم "[3] .

"فوحدة الأثر الفني لا تقتصر على كونها وحدة شكلية و إنما هي وحدة الشكل و المحتوى" [4] فموقع الفن في فلسفة هيغل هي تنتمي إلى الروح المطلق و هو جزء من التركيب الجدلي العام الذي يعرضه لمسيرة الوعي البشري ، "كما يرفض هيغل منذ البداية الجمال في الطبيعة ،لأنه يرى لا جمال سوى الجمال العقلي و هو الجمال الموجود في الفن لأنه نتج عن العقل وبالتالي فجمال الفن أرقى من جمال الطبيعة" [5] .

---

1 – فردريك هيغل :مدخل إلى علم الجمال فكرة الجمال ،ت-جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ط1-1978، ص 8.

2- جيرارا برا :هيغل و الفن ،ت منصور القاضي ،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، ط1-1993،ص 54.

3- علي عبد المعطي محمد: فلسفة الفن رؤية جديدة دار النهضة العربية بيروت دط-1985 ص 45.

4- هنري لوفاقر: في علم الجمال ت – محمد عيساني دط-دت ص 15.

5- مجاهد عبد المنعم مجاهد جدل الجمال و الإغتراب ـمرجع سبق ذكره ـ ص8.

أرجع هيغـل الجمال إلى إتحاد الفكرة بمظهرها الحسى " ونظر شوبنهـور إليه على أنه محرر للعقل فهو يسمو بنا إلى لحظة تعلو على قيود الرغبة وتتجاوز حدود الاشباع"[1] إحتل الفن مكانة كبيرة فى فلسفة هيغل و يرجع هذا الاهتمام إلى أنه عاش فى عصر شهد نشاطا فى الأداب والفنون "و يكفى أن نعلم أن ألمانيا فى ذلك العصر كان يعيش في ربوعها كل من جوته و شيلروبتهوفن وغيرهم و بذلك فهو عصر الفن و الفنون بأسمى معانيه "[2] .

أما في الاتجاهات الفلسفية المعاصـرة في الفـن و الجمال نجد الفيلسوف بندتـو كروتشـه الذي يؤكد على دور الخيال الإنسـانى في الإبـداع و التـذوق الفني ذلك لأن العمل الفني و إن تجسد في مادة معينة قيمته و جوهره فى معرفـة خياليـة يسميهـا كروتشه بالحدس هي أساس الخلق و التعبيروالخبرة الفنية، و ينفي كروتشه عـن الفـن أن يكون فلسفة و يميـز كل منهما عن الأخر ،ويعني الفلسفة بكامل إتساعها وبحسبانـها شاملـة بفكرة الواقع كلها وتمييزه بين الفن والفلسفة إنما يستتبع تميزات أخرى في طليعتها تميز الفن عن الخرافة و الأسطورة " فالفن ليس وصفا أو تعبيرا عن حالات شعورية بقدر ما هو خلق تتوافر له شرائط أساسية أهمها توفر العقل الخالق عند الفنان و نضجه و وعيه و إلمامه إلمام ذوق و إحساس بالأعمال الفنية التي سبقته و عاصرته" [3].

يقول شارل لالو "إن الطبيعة ليست لها قيمة جمالية إلا عندما تنظر إليها من خلال فن من الفنون أو عندما تكون قد ترجمت إلى لغة أو أعمال أبدعتها عقلية أو شكلها فن أو تقنية" [2] أما نيقولاي تشير نيشينيكسي "أن الجمال هو الحياة و أن الشيء الأعم مما لطيف وجميل هو ذاك الكائن الذي نرى فيه الحياة"[5] .

1-شاكر عبد الحميد: التفضيل الجمالي دارسة في سيكولوجية التذوق الفني ـمرجع سبق ذكره ـ ص9.

2-رمضان بسطاويسي : جماليات الفنون الهيئة المصرية العامة للكتاب ،دط-1998، ص 10.

3- محمد زكي ألعشماوي :فلسفة الجمال في الفكر المعاصر دار النهضة الربية للطباعة و النشر، بيروت ، دط-1980 ص52.

4- أميرة حلمي مطر :مقدمة في علم الجمال و فلسفة الفن، دار المعارف ،القاهرة.ط1-1989،ص8.

5- رياض عوض :مقدمات في فلسفة الفن، طرابلس ،لبنان ،ط1-1994 ،ص28.

لقد صدق كروتشه على" أن تاريخ الفن يتخذ حلقات تقدمية" [1]. و بـهذا يصبح "الفن نوع من الإستنباط و التجربة الصوفية التي تحدث إنفصالا عن الواقع" [2].

و من بين الذين نجحوا في الربط بين الفن و الحياة نجد أرسطو بإعتبار أن "المأساة هي تقليد لفعل الإنسان تستمد وجودها من عالم الحياة البشرية ثم هي تقوم بمهمة إجتماعية تتمثل في الشفاء من الإنفعالات المتصارعة عبر عنها بكلمة الكثرسيس" [3]

فميزة المفاهيـم الجمالية القديمـة تتلخـص في أنـها كانت مرتبطـة أشـد الإرتبـاط بالحياة " وهذا ما شغل المفكرين في العصورالقديمة أي تحديد علاقة الوعي الجمالي بالواقع و طبيعة الفن و عملية الإبداع و مكانة الفن في المجتمع" [4].

إن العمل الفني الحقيقي هو ذلك العمل الذي يتم في نطاق الخبرة الجمالية ومعنى ذلك أننا " لايمكـن أن نفصل الإنتاج الفـني عن الخبرة الحية التي يمـارسها الإنسان و لكننـا نجـد منتجات فنية تتمتع بمكانة متفـردة و كأنها تمت بشكل منفصل عن الظـروف الإنسـانيـة الـتي ســاهمت في وجودهــا " [5] .

"فالإحســاس بالجمال أمر فطـري في جبلة الإنسان والميل إليه طبيعة في النفـس تـهفو إليه حيث وجد وتشتاقـه إذاغاب "[6]. فالجميل بالمعني الضيق اللطيف بمقـدارمـا تثيره هـذه الصفـات مشـاعر جمالية أصيلة فهي أنواع فرعية لما هو جميل فعندما " نقـول الإستيطيقا هـي علم جميل فـذلـك مـرادف لقـولنـا أنـها علم التجـربة الجماليـة بصفـة عـامــة " [7].

1-أميرة حلمي مطر :فلسفة الجمال أعلامها ومذاهبها ،دار قباء للطباعة و النشر، القاهرة، دط-1998 ، ص 9.
2- عدنان رشيد: دراسات في علم الجمال ـمرجع سبق ذكره ـ ص 82..
3- مصطفى سويف :الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف ،مصر ،ط2-1959 ، ص34.
4-أوفيسا نيكوف ز.سمير نوفا :موجز تاريخ النظريات الجماليةمرجع سبق ذكره سابقا ـ ص11 .
5-جان بارتليمي :بحث في علم الجمال ت – أنور عبد العزيز، دار النهضة ،مصر، دط-1970، ص 84.
6-مصطفى عبده: المدخل إلى فلسفة الجمال، مكتبة مدبولي، القاهرة ،ط2-1999، ص241.
7-والترت ستيس :معنى الجمال نظرية الإستيطيقا ،ت- إمام عبد الفتاح إمام ،المجلس الأعلى للثقافة، د ط- 2000، ص34.

فـإذا ألقينــأ نظرة جمالية على إتجاهـات علم الجمال المعاصرفإننا لا نرى أن هذه المحاولات " قد نجحـت برد الإستيطيقا إلى علم من العلوم التجريبية و إن إستفادت بنتائج هذه العلوم عند تفسيرها لطبيعة الفن والخبرة الجمالية إلا أنها ظلت فرعا من فروع الفلسفة" [1]، و بالتالي يتضح لنا أن التاريخ يبين كيف " بإستطاعة الفن أن يتغير من حين لأخر و يكون خاضعا لتأويلات وهذا مقابل التغيرات التي تحدث على مستوى الأخلاق و الحالة الإجتماعية و اللغات " [2].

ولكي يخطو الإنسـان خطـوة نوعيـة و هـذا بانتقـالـه من متأمل إلى صانع و منفعل مع فنـه أي تأويل التأمل إلى عمل فني يجب أن يكون واعيا باستطاعته إيصال انفعالاته و أحاسيسه إلى الغير بحيث لا يكتفى بصورة بصرية أوسمعية باردة بل يحاول" أن يوقظ فينا أعمق الإحساسات الجسمية من جهة و أرفع العواطف الإخلاقية وأسمى المعاني الفكرية من جهة أخرى وكانت نتيجة هذا التغيروالحرية في التعبيرظهورمدارس فنية و أصبح الإتجاه السائد هوحرية التعبير دون قيود أو حواجز "[3].

و هذا فعلا ما تجسد فى فلسفة التحليل النفسي مع سيغموند فرويد الذي حاول إستخلاص العمل الفني من صميم الخبرات الشخصية للفنان، و الواقع أن فرويد حين يضع الفن على قدم المساواة مع بعض الظواهر النفسية الأخرى كالحلم و الفكاهة و العصاب فإنه يعنى بذلك أن " اللاشعور هو الأساس الذي يقوم عليه الإبداع الفني كما هو الحال بالنسبة للأحلام و النكتة و الأعراض العصابية " [4] و بالتالي فالفـن مـن خلال النظرية السيكولوجيـة عبارة عن تنفيس لذكريات مكبوتة تنحدر من عهد الطفولة .

1-روني هوسمان :علم الجمال ،ت ضافر حسن ،منشورا ت عويدات ،بيروت ،ط4-1983، ص 130.
2-جون مـاري جويـو : مسـائل فلسـفة الفن المعاصـرة ، ت سـامي دروبـي ، مكتبـة اليقظـة العربيـة ،دمشق، ط2-1965 ص 140.
3-حمدي خميس :التذوق الفني و دور الفنان و المستمع ،المركز العربي للثقافة و العلوم ،بيروت، دط-دت ،ص 54 .
4- مصطفى عبده : فلسفة الجمال و دور العقل في الإبداع الفني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،ط2-1999 ، ص33

كما جعل منها منطلقا للإفصاح عن الخبايا النفسية في اللاوعي ، و إبرازما في الشخصية المبدعة من عقد ومكبوتات و يؤكد فرويد ذلك من خلال عقدة أوديب *
و التي لها أهميتها العملية والنظرية على حد سواء ، فهي مصدر الإبداع الأدبي و الفني هذا ما أكده فرويد في قوله " كما أنـــي لن ألح أكثر مما فعلت على تنويعها و على إنقلابـهـا الممكـن ، أما فيما يتصل بأثارها البعيدة فسأقول لكم فقط إنها كانت مصدر للإبداع الشعري "[1].و من بين الإشكالات التي تستوقفنا هي :
- من أين للفنان الصور والمعاني التي تتضمنها أعماله ؟ و ماهي إمكانيات التحليل النفسي الفرويدي في تفسير الأعمال الفنية ؟ ،إن أول نقطة إرتكز عليها فرويد في تفسير الإبداع الفني هي اللاشعور، و لكن لماذا يبدع الفنان و ماهي علة الإبداع؟ يجيب فرويد: العلة تكمن في ضغط عقدة أوديب والرغبات الجنسية المكبوتة على مستوى الحياة النفسية لدى الفنان ، و في ضغط الواقع الخارجي عليه من جهة أخرى و لهذا فالصراع في نظر فرويد أليات منها القمع ،الكبت ،التبرير التسامي، فالتسامي أوالفنتازيا هو الأساس الذي تعتمد عليه العمليات المشتركة في الإبداع الفني.
لقد حاول فرويد ربط شخصية الفنان بأثره الفني من خلال الطريقة الرمزية التي يعبر بها عن عمله ، فالعلة الأساسية في فهم آلية الإبداع هي حتمية السلوك بما يحمله من إضطرابات و عقد عصبية و نفسية .

فالإبداع ماهو إلا تحقيق و تصعيد لجوانب لاشعورية مكبوتة فهو يتولد من منطلقات نفسية و معاناة محضة يعيشها المبدع .

---

*- عقدة أوديب : خرافة إغريقية عن الملك أوديب الذي كتبت عليه الأقدار أن يقتل أباه و يتزوج أمه ثم عاقب نفسه بأن فقع عينيه .

1- سيغموند فرويد : الحب و الحرب و الحضارة والموت ، ت عبد المنعم الحفني ، دار الرشاد ،القاهرة ،ط1-1992 ص122.

و لكن نفهم عملية التسامي لابد لنا من الحديث عن الدافع الشبقي لأنه هو الموضوع الذي تجري عليه هذه العملية بمعنى، أنه إذا استطاع أن يستبدل بأهدافه القريبة أهدافا أخرى تمتاز أولا بأنها تتعالى من الناحية الإجتماعية و ثانيا بأنها غير جنسية فقد قام بعملية التسا مي ، ومن هذا المنطلق يفسر فرويد الإبداع وفق مفهوم التسامي أو الإعلاء أي إلى دافع جنسي يتم إعلاؤه عند كبته و صراعه مع مجموع القيم و الضوابط الاجتماعية .

فالفنان في نظر فرويد يعاني عقدة نفسية و أعماله الفنية ليست سوى وسائل للتنفيس أو إحداث التوازن النفسي عن رغباته المكبوتة و المرتبطة بالجنس يقول فرويد " و هي أنه في عقدة أوديب تلتقي بدايات الدين و الأخلاق ، و المجتمع و الفن وذلك في تطابق تام مع ما أثبته التحليل النفسي ، من أن هذه العقدة تمثل نواة جميع العصابات على قدرما إستوعبها إلهامنا حتى الأن "[1].

فالفنان يضطر إلى أن يبتعد بخياله عن الواقع ، ليستطيع أن يصوغه في صورة فنية من أجل تحقيق التوافق بين ما تمليه الرغبات النفسية و الغريزية التي تبدو في حالتها المستترة ، و هو في خيالته يسعى لأن يعطي صورة كاملة للرغبات " فالفن نقيض الواقع و واقع الفن أوهام ، لكنها أوهام ترضي العقل الذي يتجه دائما إلى أن يتخيل أشياء "[2].

فالإبداع يفسر كما قلنا على التسامي بهذه الغرائز و إستخدام الطاقة التي توفرها بأعمال مقبولة إجتماعيا ،فالفن في هاته الحالة نشاط هروبي يقوم على الخيال غير الواقعي فالمبدع يستطيع أن يعلو فوق رغباته و مكبوتاته و هذا بالاعلاء و التسامي أي توجيه الدوافع الجنسية بإتجاه أخر يختلف عن إتجاهها الطبيعي ،ومن هذا المنطلق فالمبدع يبني عالمه الخاص برموزتختفي وراء الحلم ومهمة التحليل النفسي الكشف عن دلالات هذه الرموز.

1-سيغموند فرويد : الطوطم و التابو ، ت بوعلي ياسين، دار الحوار للنشر و التوزيع ،سوريا ،ط1-1983 ،ص 183-184.

2-سيغموند فرويد : الحب و الحرب و الحضارة والموت - المرجع نفسه- ص 44.

يرى فرويد أن التعبير الفني لغة تزخر بالمعاني ، ولذلك كلما إستطاع المحلل أن يفك الرموزيكون قد وصل في تفكيره إلى تكوين المادة التي تعينه لتشخيص بعض ما يعانيه الفنان ، أي أن الرسم أو الشعر يمثل في بعض الأحيان الصفحة التي يمكنه أن يعكس عليها ألوان صراعاتـــه و مكبوتاته و ما أخفق في تحقيقه على أرض الواقع ، فالفن يعتبر بمثابة تنفيس عما يعانيه الفنان لا شعوريا " إننا نستمد إذا مفهومنا عن اللاشعور من نظرية الكبت ، و نعتبر المكبوت كنموذج للاشعور ، و نحن نرى مع ذلك أنه يوجد نوعان من واللاشعور ، اللاشعور الذي يكون كامنا و لكنه يستطيع أن يصبح شعوريا ، و اللاشعورالمكبوت الذي لا يستطيع بذاته و بدون كثير من العناء أن يصبح شعوريا "[1].

و الحقيقة أن شخصية الفنان تعاني من عدم قدرته على مواجهة نفسه و كذلك المجتمع فهو يتحين الفرصة بطريقة لاشعورية ليتنفس عن القوة المكبوتة التي لم تحقق حاجاتـها " الشخص الذي يحاول إعادة صياغة الوجود بيد أن هذه المحاولة لا تتأتى له من فراغ بل تتأتى له نتيجة ما يحدث في دخيلته من توتر نفسي " [2].

و بالتالي فالفن يخرج مغلق ومستتر يحمل دلالات رمزية ، تعبر عن الأزمة التي يعانيها الفنان " يتحلى الشعراء بصفات تؤهلهم للإضطلاع بمثل هذه المهمة ومنها في المقام الأول حساسية مرهفة تتيح لهم أن يدركوا خلجات نفس الأخرين الخفية و شجاعة لا يترددون معها في إطلاق الحرية للاشعور لينطلق بما شاء ، بيد أن ثمة شيئا ما ينقص ، من المنظور المعرفي ، من قيمة ما يبوحون لنا به فلزام على الشعراء أن يستثيروا لذة فكرية و جمالية معينة "[3].

1-سيغموند فرويد : الأنا و الهو ، ت : محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ،بيروت، ط4-1982 ، ص 28.

2-يوسف مخائيل اسعد سيكولوجية الإبداع في الفن و الأدب ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة، دط 1986 ، ص 85.

3-سغموند فرويد :الحياة الجنسية ت : جورج طرابيشي ،دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ،ط3-1999، ص 64.

فمثلا في دراسته لشخصية ليوناردو دافينشي أوضح فرويد الصلة بين إبتسامة الموناليزا و مجمل الإبتسامات التي تكررت في أعمال دافينشي للعذروات ، و إستطاع بمنهجه التحليلي أن يربط بين الحلم * الذي رآه وبين اللذة الجنسية ، وبالتالي فلغة الفن تحمل في طياتــهـا معاني كثيرة تتعلق بالنفس الداخلية ، وبالفن نكشف عن الرغبات و الصراعات الداخلية يقول فرويد " و نظرا لميله المبكر لإستطلاع الجنس ، فقد تجنب الكبت بتسامي جزء كبير من غريزته الجنسية إلى عطش المعرفة ، و أن جزءا صغيرا من هذه القوة قد تركز في مقاصد جنسية ظهرت في قصور حياته الجنسية في شبابه "[1] .

و يتضح دور الفن كوسيلة للعلاج في قدرته على تحريرالنفس الداخلية من العوائق و تحطيم الأقنعة خاصة الغريزة الجنسية و هذا فعلا ما حدث لليوناردو دافينشي عندما حول الطاقة الجنسية إلى طاقة خلاقة أو كمــا يسميها فرويد التســـامي ، وفي هذا الصـــدد يقول " إهتديت إذا إلى أن الوظيفة الجنسية موجودة منذ بدء حياة الفرد برغم أنها تكون في بادئ الأمر ممتزجة بالوظائف الحيوية ،فلا تستقل عنها إلا فيما بعد و لابد لها أن تمر خلال عملية نمو طويلة معقدة قبل أن تصير إلى ما نعرفه لدى الراشد من حياة جنسية سوية "[2].لقد أكد فرويد أن الإبداع يرتبط إرتباطا وثيقا بنفسية المبدع فعملية مفهمة الإبداع مرتبط بمدى إستجابتها لمؤثرات نفسية، يعيش الفن كمرجع لإنعكاس القيم والحقائق النفسية الدائمة التي يعكسها الفنانون و يحولونـها إلى أشكال من الخيال ، كذلك فإن التحليل النفسي يؤدي أعظم الوظائف حين يواجه الحياة ، فالتحليل النفسي الفرويدي يعمل جنبا إلى جنب مع الفن .

---

*- الحلم يمثل طائرا يهف على شفتيه فيحس ليوناردو بلذة عميقة تسري في كيانه .

1- سيغموند فرويد: ليوناردو دافينشي دراسة تحليلية ، ت أحمد عكاشة مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة دط-1970 ،ص126-127.

2- سيغموند فرويد : حياتي و التحليل النفسي -مرجع سبق ذكره -ص 57.

فقد كان يفكرفرويد في تطبيق التحليل النفسي على الأعمال الأدبية و الفنية خاصة أعمال ليوناردو و ديستوفيسكي " فقد وجد الحاجة الماسة لإيجاد منبر علمي ينشر فيه الأعمال الأدبية و الفنية مع تلاميذه "[1].

والفنان الذي يلجأ إلى التحليل النفسي ليبلغه المضمون الذي يضعه في فنه ، إنما يعترف ضمنيا أن نشاطه كفنان يعد ظاهرة تستحق التأمل و الدراسة من الوجهة النفسية " فنحن نحصل على مواردنا من مصادر متعددة ، ما تزودنا به معلومات المريض و مستدعياته الطليقة ، و مما يبدو به لنا في حالات تحويله ، ومما نستخلصه من تأويل أحلامه ، ومما تكشف عنه فلتاته ، و كل هذه المواد تعيننا على إستنتاج ما حدث له و ما نساه ، وما يحدث له حاليا له دون أن يفهمه "[2] .

إن الإبداع الفني في نظر فرويد أشبه ما يكون بالحلم حين ينفلت عن الرقابة فتكون فيه الصورة رمزية لها باطن و ظاهر ، و يصرح فرويد أن الرمزية ليست خاصية من خواص الأحلام فقط ،بل من خواص التفكير اللاشعوري والحقيقة أن الفن يزداد ثراء لما يحتويه من رموز كلما كان لهذه الرموز صدى في اللاشعور ، كان هذا داعيا لظهورها عند تصويرها و هي تحمل معاني تعبيرية قوية ،و قد إعتبر فرويد " الأحلام حير وسيلة للبحث التي يمكن أن نأمن إليها عن عمليات النفس العميقة"[3].

و لذلك كلما إستطاع المحلل أن يفكك الرموز ويقرأ ما تنطوي عليه المعاني يكون قد وصل في تفكيره لتكوين المادة التي تعينه في تشخيص بعض ما يعانيه هذا الفنان .

1-أحمد عكاشة : فرويد حياته وتحليله النفسي ـمرجع سبق ذكره ـ ص 50.

2- سيغموند فرويد : الموجز في التحليل النفسي ، ت سامي محمود علي ،عبد السلام القفاش ، مهرجان القراءة للجميع القاهرة ،دط-2000، ص 73.

3- سيغموند فرويد: ما فوق مبدأ اللذة ،ت إسحاق رمزي ، دار المعارف القاهرة ، ط5-دت ، ص 32.

فالفن يمثل في بعض الأحيان بالنسبة لفرويد الصفحة التي تمكنه من أن يعكس عليها ألوان صراعاته " فكل تفصيل من تفاصيل الحلم هو بكل بمعنى الكلمة تمثيل في مضمون الحلم لزمرة من زمر الأفكار المتناثرة تلك "[1] .

و قد إستطاع التحليل النفسي أن يكشف عن الصلة بين تأثرات الفنان في حياته والفرص التي عاشها و خبرته الذاتية و أعماله ، و بالتالي فقد حاول التحليل النفسي الفرويدي أن يركب صوره من البناء النفسي للفنان و الدوافع المكبوتة اللاشعورية ، و التي تعتبر مستودع الدوافع البدائية الجنسية و مقرالرغبات و الحاجات الإنفعالية المكبوتة و ليس مجرد مكان تلقى إليه الأفكارو الذكريات " لقد حدثتنا قصص التحليل النفسي بأن جل الأمراض العصابية مردها الجنس ، فالنزعات الجنسية هي العامل الأقوى الذي يقف وراء الستار و يثير كيان المريض و يهز قوة الإدراك فيه و يمزق شخصيته "[2].

و يؤكد فرويد على أن التسامي هو الأساس الذي تعتمد عليه العملية الإبداعية الفنية والتسامي* يجرنا إلى الحديث عن الدافع الشبقي .

فالدافع الشبقي هو الموضوع الذي تجري عليه عملية التسامي ، بمعنى أن الفنان إذا إستطاع أن يستبدل بأهدافه القريبة الشبقية أهداف أخرى تمتاز بأنــها : أولا أرفع قيمة من الناحية الإجتماعية وثانيا بأنها غير جنسية فقد قام بعملية التسامي * " نعرف الأن بشكل أكيد أن الإبداعات الفنية هي من الوسائل التي تسمح بإجراء أكثر عمليات التسامي غنى ، تخلص كثيرا من الفنانين والشعراء و الأدباء من الإنحرافات و العصاب بل و

1-سيغموند فرويد : الحلم و تأويله ،دار الطليعة لبنان، ط4 ،مارس -1980، ص18.

2- سيغموند فرويد و وليم شتيكل : الكبت في التحليل النفسي ، ت علي السيد حضارة ، المكتبة الشعبية القاهرة دط-دت ، ص 4.

*- التسامي : عملية تتم لاشعوريا يتوجه بواسطتها الليبيدو أو الطاقة أن يتحول إلى ميادين أخرى يستنفذ فيها ، و يقرها المجتمع و العرق ، و يعتبر فرويد عملية الخلق الفني تسامي .

من الأعمال اللاإجتماعية بتسامي ميولهم إلى مآثرهم "[1] .

و بالتالي فالتسامي هو تفريغ للطاقة التي تؤدي إلى خفض التوتر الذي يعانيه الفنان ، لقد تحدث فرويد عن العمل الفني بإعتباره من أعقد المشاكل لأنه يرتبط بالأعماق الدفينة للفنان ، والتي إنبثق عنها فنه ، ومن ثمة فهي لا تنظر في نتاج فني ملموس قدر نظرها في منبع و علة و كيفية حدوث هذا النتاج وهي أعقدها .

لأن البدايات الأولى غالبا ما تكون غامضة عن العمل الفني الظاهر ، فإكتشاف الدافع الدفين في أعماق الفنان هو الذي يحركه لكي يبدع معبرا من خلالها عن رغباته و أحلامه و أماله و قد يظهر الإبداع من خلال الشعر أو الرسم أو الأحلام.

إن تحليل فرويد لرواية غراديفا هو أول محاولة من نوعها تتطلع إلى تفسير عملية الإبداع الفني وفق نموذج تأويلي تحليلي لقوله" فالحلم يرينا كيف تحولت غراديفا الماشية إلى صورة من حجر ، و هذا مجرد تعبير مجازي شعري زاخر بالمعاني عن الكيفية العقلية التي حدثت بـها الأشياء ، فقد حول إهتمامه من المرأة الحية إلى الصورة الحجرية "[2]

و يقول أيضا " فإستحالت المعشوقة في نظره إلى منحوتة "[3] .

هذه الحالة التي رسمها مؤلف الرواية "ينسن" بإبداع و دقة متناهيتين ، ماهي في الواقع إلا إحدى حالات الهذيان والتي تعبر عن حالات الكبت الذي يمكن أن يعيشه أي إنسان يحن إلى فتاة كانت تستهويه في طفولته ، و غراديفا ما هي إلا و سيلة لإعادة المكبوت في الوعي .

1- إدغار بيش : فكر فرويد ، ت : جوزيف عبد الله ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع ،لبنان ،ط1- 1986 ، ص 81 -28 .

2-سيغموند فرويد : الهذيان و الأحلام في الفن ، ت : جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت ط1- 1978 ، ص67.

3-المرجع السابق ص 62.

فالفن إذا تعبير بالصورعن صور ذهنية بأفكار لا شعورية تعبر عن رغبات و إهتمامات و صدى لصراعات تم تصعيدها بالتسامي " و يحقق التسامي أكبر النجاح إذا عرف المتسامي كيف يستغل طاقاته أكبر الإستغلال ليحصل على أقصى ما يمكن أن يحصل عليه من التلذذ من العمل العقلي أو الفكري الذي يقوم به مستخدما التسامي ، و لو إستطاع ذلك لأفلت المتسامي ببعض نفسه من سيطرة الأقدار و بحكم الحظوظ فيه لأنه سيكون الموجه لغرائزه ، و لاشك أن إشباعا كهذا سواء تمثل في الفرصة التي يحسها الفنان بعمله الذي يبدعه أو في النشوة التي يمتلك بها العالم "[1] .

فالفن و الأدب بإعتبارهما خبرة جمالية يشاركان الحلم في نفس الخبرة ، إذ أن الفنان أو الأديب و هو يرسم أو يكتب يستحضر صورا لا شعورية و يطرحها بشكل شعوري لا سبيل إليه إلا من خلال أن يحلم بالعمل الفني أو الأدبي ، و كذلك فإننا و نحن نستمتع بالعمل الفني ،فالغالب أن هـــــذا العمــل يتطابـق مـع أنمـــاط أحلامنا و يتوافق مع شخصياتنا " فتفسيـر الأحـــلام و إستنبـــاط أفكـــار و ذكريـــات لا شعورية من تداعيات المريـــض ، و غير ذلك عن طريق التأويل و الترجمة "[2].

إذا فالأحلام تتضمن في ثناياها إلهامات توجه الفنان نحو إبداع فني ما ، لتبقى الفكرة العامة التي جعلته ، يهتم أكثر بالفن هو ربط الحلم بالطفولة ، و بالتالي فحاضر الفنان ليس سوى نتيجة لهذا الماضي البعيد ، أي الماضي الطفولي في أعماق كل كائن بشري رغبات مكبوتة تبحث دوما عن الإشباع في مجتمع قد لا يتيح لها ذلك، و لما كان صعبا إخماد هذه المشتعلة في لا شعوره فإنه مضطر إلى تصعيدها أي إشباعها بكيفيات مختلفة أحلام النوم، أحلام اليقظة ،العصابيين الأعمال الفنية "[3].

1-سيغموند فرويد : الحب و الحرب و الحضارة و الموت ، ت عبد المنعم الحفني ،دار الرشاد ،ط1- 1992،ص 49.
2-سيغموند فرويد : التحليل النفسي للهستيريا ، ت جورج طرابيشي دار الطليعة للطباعة و النشر ،بيروت ،ط1-1981 ، ص138 .
3- سيغموند فرويد : تفسير الاحلام "تبسيط و تلخيص" ت نظمي لوقا ،دار الهلال القاهرة دط- 1962 ،ص 12.

فالصراع والكبت الذي يعانيه الطفل والذي سيصبح مستقبلا عصاب يؤثر على طبيعة شخصيته و مدى قدرته على التكيف ، وبالتالي يرجع إلى إعلاء هذه الرغبات و الغرائز الجنسية بطريقة مهذبة، وإن لم يستطع فقد تتحول هذه الرغبات إلى أمراض و إضطرابات عصابية " عدم القدرة على التكيف مع العالم الخارجي " و يؤكد فرويد ذلك في قوله " يكون العصاب أكثر إنعزالا و إستقلالا عن هموم الحياة و البقاء فالنزاع الذي عنه ينشأ العصاب يكون موضوعه إما إهتمامات ليبيدوية خالصة ، وإما إهتمامات ليبيدوية مقرونة على نحو وثيق للغاية بهموم الحياة و البقاء"[1] .

إذا فالفن و التحليل النفسي كلاهما يمران بخصائص تحليلية و تركيبية و إن كان التركيب من ميزات الفن ، فإن التحليل قد لا يصل إلى هذه الميزة إلا بعد التحليل أي يصل إليها بعد كثير من الإجراءات التحليلية و لكنه في النهاية يشاهد التركيب الذي ينتهي إليه التحليل النفسي ليشخص لنا الحالة .

فإعتماد التحليل النفسي على المنهج التحليلي للفن غايته محاولة إيجاد الصلة التي تربط عملية التحول من النزعات المكبوتة بالرموز التي تنعكس في الأعمال الفنية " فالرموز كانت دائما وسيلة من وسائل التعبير عبر العصور ، وحيثما كان الإنسان كان الرمز من وسائله في إدراك التواصل و التعبير سواء في الحياة أو في الأدب أوفي الفن أوالدين أو الفلكلور أو الأساطير "[2] .

فالرمزية حين تبلغ أقصاها قد تنحرف في غالبية الأحيان عن المحتوى اللاشعوري النزوي، فالفنان يحاول أن يغطي ذلك من خلال عملية التهذيب التي قد تخفي عن العين هذه الصلة بين النزعات الدفينة و الرموز التي تنعكس فيها ، و لكن كل من الفنان و المحلل النفساني يلتقيان في أن الأول يصور بفرشاته ما هو مكبوت .

1-سيغموند فرويد : إبليس في التحليل النفسي ، ت جورج طرابيشي ،دار الطليعة للطباعة و النشر ،بيروت ط2- 1982 ،ص47 .

2-سيغموند فرويد : الكبت في التحليل النفسي، ت علي سيد حضارة ،القاهرة،د ط ـ دت ،ص13.

بينما الثاني فيحاول كشفها من خلال الرجوع إلى المصدر وهو الطفولة و ما تتخللها من أمراض عصبية و قلق ، فكل الإنحرافات و الإضطرابات الجنسية و العصبية مردها الماضي الطفولي ، فالشذوذ الجنسي والتهور العصبي و الإضطربات العاطفية و الإنحرافات الجنسية مردها الطفولة و أنت إذا رجعت إلى حياة المريض ظهرت لك الفجوة و برزصدى الماضي في الطفولة البعيدة المدى ، و يقول أيضا " إن تحليل حالة القلق يبين إذا وجود كيفية خاصة من الكدر و عملية التفريغ ، إدراك حسي بـهذه العمليات و تشير النقطتان الأخيرتان في الحال إلى فرق بين حالات القلق و الحالات الأخرى المماثلة مثل حالات الحزن ، و الألم ،فليس لهذه الحالات الأخيرة أي مظهر حركي ، أو إذا كان لها مظهر حركي فإنه لا يكون جزء مكملا للحالة بأكملها و لكنه يكون متميزا عنها بأن يكون نتيجة لها أو رد فعل لها فالقلق إذن حالة خاصة من الكدر مصحوبة بعمليات تفريغ تتخذ مسالك معينة "[1].

ومن كل ما تقدم نلخص عملية الإبداع في الاتجاهات الآتية :

1- إن الصراع هو منشأ عملية الإبداع الفني و القوى اللاشعورية التي تؤدي إلى الحل الإبداعي توازي القوى اللاشعورية التي تؤدي إلى الحل العصابي .
و بكلمات فرويدية إن القوى الدافعة للفنان هي نفس الصراعات التي تدفع أشخاص آخرين إلى العصاب .

2- إن وظيفة الحالات النفسية للسلوك الإبداعي و نتيجته هو تفريغ الإنفعال المحسوس الناتج عن الصراع حتى يصل إلى مستوى يمكن إحتماله.

3- يستمد التفكير الإبداعي عن حسن إفراغ الخيالات الطليقة الصاعدة و الأفكار المرتبطة بأحلام اليقظة و لعب الطفولة .

4- الشخص الخلاق يقبل هذه الأفكار الطليقة بينما يقمعها الشخص غير الخلاق .

1-سيغموند فرويد : الكف و العرض و القلق ، ت محمد عثمان ، دار الشروق ،القاهرة ،ط4-1989 ،ص 107.

5- حينما تصبح العمليات اللاشعورية متناغمة مع الأنا فإننا نكون على موعد مع مآثره ذات إشتمال خاص أي تسنح الفرصة لإبتكار عمل فني .

تؤكد نظرية فرويد دور الخبرات الطفولية في الإنتاج الإبداعي فتعتبر السلوك الإبداعي إستمرارا و تعويضا عن لعب الطفولة .

6- التسامي هو الأساس الذي تعتمد عليه العمليات الإبداعية الفنية .

و قد صدق بول ريكور عندما قال " ليس العمل الفني مقبولا من الناحية الإجتماعية فقط و لكن إذا كانت هذه الأعمال إبداعات ، كما أتاح بيانه مثل نص فرويد : تمثال موسى لميكيل أنجلو ، و نص ليوناردو و كما ستبينه مناقشة أوديب الملك لسوفوكل على نحو ساطع ، فذلك من حيث أنها ليست مجرد إسقاطات لنزاعات الفنان ، بل هي الرسم الأولي لحلها ، فالحلم ينظر إلى الوراء ، إلى الطفولـة إلى الماضي ، أما العمل الفني فإنه متقدم على الفنان نفسه : إنه رمز مستقبلي للتأليف الشخصي و مستقبل الإنسان " [1].

فكلما عظم شأن الفنان إزداد عمق كل ما هو بدائي ويتضمن ذلك كل ما هو جنسي فالطبيعة الفنية للخلق والإبداع تميز بين الإبداع ذي القصد العرضي و الإبداع المتماسك و هذا يعبرعن مدى توازن الفنان مع طبيعته النفسية ،و لكن في بعض الأحيان يعيش الفنان توترا يفقده توازنه هاته الخلخلة تجعله يصطدم بمتناقضات تفرز ما يسمى بالإلهام والفن بإعتباره وسيلة من وسائل التعبير يعطي فرصة للمعبر كي يعكس كثيرا من الأفكار الكامنة عنده والتي تقلقه بين حين وأخر.

فالفرق الذي قد يتواجد بين المبدع و غيره من الناس يكمن في الطريقة التي من خلالها يتم معالجة المادة الهوامية ،أي أن الطفل وفي بعثه عن سبل التخلص منها قصد التحرير النفسي و هذا من خلال إستعماله سياقا تصوريا ، وهذا يشبه بحث المبدع في ماضيه النرجسي عن الطريقة التي تسمح له بإعادة إنتاج خلاصة الشخصية هذا ما يصاحب إنتاج الصور و الأشكال الديناميكية النفسية التي تشمل تطوير إستثمارات مرنة بعيدة عن

1- بول ريكور : في التفسير محاولة في فرويد ، ت : وجيه سعد ، الأطلس للنشر و التوزيع، دمشق ،ط1-2003 ،ص 151.

التكرار العصابي، و هذا من أجل خلق مواضيع حية جديدة قادرة على تحقيق الإشباع النزوي، و كذا تحقيق الإشباع الكافي لحاجيات الفرد، و هذا يتم عن طريق إستدخال عناصر خارجية و إعادة تنشيط مواد شعورية، أما في مجال علم النفس فهو من المصطلحات الغامضة في البحوث النفسية كما أنها أكثر غموضا لعموم الناس، و لقد إختلف العلماء في معنى الإبداع بإختلاف الأطر النظرية و المدارس التي ينتمي إليها كل عالم ويتميز التفكير الإبداعي بالشمولية و التعقيد بإعتباره نشاط عقلي مركب و هادف و هكذا يعبر التفكير الإبداعي عن نفسه في صورة إنتاج شيء جديد أو الخروج عن المألوف .

وقد أخذ مصطلح الإبداع الخصوصية النفسية ،وبالتالي فقد وضعت نظرية التحليل النفسي مفهوما جديدا عن الإنسان هو مفهوم " الإنسان السيكولوجي " من خلال فهم أصول سلوكه بترجمة و حل شفرته و بالكشف عن الدوافع النفسية المكبوتة ،لذا لا يمكن أن نفهم العملية الإبداعية دون الخوض في أعماق الذات المبدعة ومعرفة ما يحيط بها من نوازع و إضطرابات و هذا ما جسده "نوبير سيلامي في تعريفه للإبداع "بأنه إستعداد للخلق الذي يوجد في حالة كمون بإختلاف أعمارهم و هو يتأثر بالمحيط الثقافي و الإجتماعي ،ثم إن الميل الطبيعي للإنجاز يحتاج لظروف ملائمة حتى يتجسد ،كما أن الخوف من الإنحراف و الإمتثالية الإجتماعية هي قيود للإبدع ومع ذلك فقد إختلفت الرؤى الفلسفية و النفسية حول تفسير ظاهرة الإبداع ومن بين المدارس التي أعطت بعدا و منطلقا فكريا لهاته الظاهرة نجد مدرسة التحليل النفسي بزعامة فرويد لقد إكتشـف فرويد كـل أنـواع السلـوك الإنسـاني " الأفعـال ، و الأحـلام ، و الفكاهـات و الأعمال الفنيـة "[1] ليكتشـف الصلـة الوطيـدة بين اللاشعورو الأحلام و بين الأحلام والتعبير الفني .

1-وعلي إسماعيل علي : نظرية التحليل النفسي و إتجاهاته الحديثة في خدمة الفرد ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية د.ط-1995 ،ص 49.

على أساس أن التعبير الفني يلعب بالرموز وهي وليدة الحالة الإنفعالية و اللاشعورية .
و هنا يستوقفنا إشكالا جوهريا و هو : كيف يمكن تفسير الصلة بين رمزية الأحلام و الرمزية التي تحدث في العمل الفني ؟ ولماذا تتكلم الأحلام بلغة الشعر و الرموز ؟
لقد اهتم فرويد بالأعمال الفنية فهو لا يبالي بمسائل الشكل بقدر تركيزه على الأثر الذي تركه العمل الفني على الذات أي على الجانب الوجداني ،و تلك هي نقطة الإنطلاق التي ينبني عليها منهج التحليل الصارم للأحلام و للكلام و للنصوص محاولا تركيب الصورة إنطلاقا من النقائص لإستخراج اللاشعور .
يعتمد العمل الفني على اللاشعور في مسائل كثيرة فيما يرى فرويد ، وكلما إستطاع الفنان أن ينجح في تعبيره ،تمكن بالتالي من إيقاظ بعض الكوامن النفسية لعدد من الناس بصرف النظر عن اللغة ،و الوطن، و الدين ،و الزمن ،و قد كان فرويد مهتما بمطالعة الأثار الأدبية معجبا بالشعراء و الأدباء لأنهم يروون قصة الغرائز في لغة مؤثرة تحمل دلالات و معاني .
و هنـا يحاول إثبات أن الإبداع الفني عبارة عن تنفيس لرغبات جنسية معينة يرتد عن عقد مكبوتة في اللاشعـور، يقول فرويد في كتابه الطوطم و التابو " إن الفن هو الميدان الأوحد في حضارتنا الحديثة التي لا نـــزال نحتفظ فيه بطبائع القدرة المطلقة للفكر ، ففي الفن وحده لا يفتأ الإنسان يندفع تحت وطأة رغباته اللاشعورية لينتج ما يشبه إشباع هذه الرغبات "[1].

كما قد أكد فرويد على دور ما قبل الشعور في عملية الإبداع ،كما تجدر الإشارة إلى أن فرويد قد إستند في دراسته على سير حياة عدد من الشعراء والفنانين وتوصل إلى أن التسامي هو العامل الأساسي الذي يقف وراء ما قدموه من أعمال ابداعية ،ويشير مبدأ التسامي إلى القدرة على إستبدال أهداف الأفكار الجنسية بأهداف أخرى غير جنسية وتتحول بموجب هذا الميكانيزم النزوة إلى هدف جديد غير جنسي يحمل بعدا إجتماعيا .

1- مصطفى سويف الأسس النفسية للإبداع الفني (في الشعر خاصة) ،دار المعارف ،مصر، ط2-1959 ،ص 74.

إن الفكرة العامة التي جعلت فرويد يهتم أشد الإهتمام بالحلم هو ربط هذا الأخير بالطفولة و قد أخذ كنموذج لذلك كل من " ليوناردو دافينشي " و" ديستوفيسكي " ليبحث عن العوامل المحددة لسلوكهم و العوامل التي أثرت في حياتهم الطفولية، و قد إتخذ المنهج التجريبي في بعض الوثائق و إستنتاج بعض الأراء، و هو في جوهره إلا محاولة لتعيين الأسباب اللاشعورية للسلوك، و تقريبا معظمها تتألف من رغبات كانت قد ظهرت في الطفولة و لم تسمح النظم الإجتماعية بإشباعها فكبتت في اللاشعور.

و هذا البحث عن علل السلوك الصادر من إبداعات دافينشي لخصها فرويد في الوثائق التي درسها و هي:

1- مذكرات دافينشي عن أمور تمس شخصيته وأحداث حياته وأهم موضوع في هذه المذكرات هو الحلم الذي أورده ليوناردو عن طفولته المبكرة.

2- كتابات الفنان عن أمور غير شخصية ومن هذا القبيل رسالته في المقارنة بين فن التصوير وفن النحت كما أنه كتب عن العلاقة بين الحب والمعرفة.

3- وثائق تاريخية لم يكتبها الفنان نفسه وإنما هي قد كتبت عنه تنبأ ببعض أحداث حياته.

4- ملاحظات سلبية و منها أن ليوناردو قلما كان يكمل لوحاته و أنه لم يدخل في حياته إسم إمرأة قط إلا أمه.

5- بعض الصور التي رسمها الفنان تعتبر مكتملة كالموناليزا و يوحنا المعمدان و القديسة آن.

يمكننا القول أن فرويد وجد في شخص ليوناردو دافينشي خير مثال لتأكيد نظريته في الربط بين الفن والكبت الجنسي ، فقد ظهرت لديه بعض الإتجاهات الشاذة نحو الجنسية المثلية يقول فرويد في هذا الصدد " قد كثر الجدل حول أن ليوناردو لم يستمتع خلال حياته بمعانقة أية إمرأة أو أنه كون علاقة عاطفية فكرية "[1].

1- سيغموند فرويد ليوناردو دافينشي : دراسة تحليلية ،ت أحمد عكاشة ،مكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة، د ط-1970 ، ص 48.

لقد إستنبط فرويد مفهوم الجنس من خلال ملاحظة الخبرات الجنسية التي إكتشفها كامنة وراء أعراض مرضاه، بالإضافة إلى تذكر هؤلاء المرضى لمواقف طفولية بدا فيها بوضوح نشاط تلك الرغبات الجنسية في سن مبكرة ،و إذا عدنا لمظاهر الجنس في الطفولة لوجدنا أن الإنسان يمر بمراحل ثلاث قبل وصوله إلى النشاط الجنسي التناسلي و هي المرحلة الفمية ،و المرحلة الشرجية، و المرحلة القضيبية .

و قـد بنى فـرويد في تحليله لشخصية ليونـاردو (1452 و 1519) الكثير من الإستنتاجات المبنيـة علـى مرحلـة الطفولـة و التي تـركـت أثرا كبيرا في تكوينـه النفسي ففي كتـابـه نظرية التصوير يقول ليوناردو " يجب على الفنان أن يحرص على بقائه وحيدا ، و أن يـدافـع عن وحدتـه ضد مباهج الجسد و رفاهية الحس لأنها مفسدة لملكاته "[1].

يعـود إهتمـام فـرويـد بليونـاردو إلى خطاب بعثه إلى فليس في أكتوبر عام 1898 م يقـول فيـه " لربما كان ليوناردو أشهروأعسرفنان في تاريخ البشرية ، لم يتمتع خلال حياته بأية علاقـة غراميـة " [2] فقد أعجب فرويد بليوناردو و حين سأل عن أحب الكتب إليه ذكر كتاب ميريزكوسكي MEREHZKOUSKY عن حيـاة ليونـاردو ، و يبـدو أن الفكـرة التي جعلتـه يكتـب عـن هـذا الفنـان العـالـم هـو الكشـف عـن شخصيـة ليونـاردو المعقدة ، و كـان كتـاب دراسـة تحليليـة لليوناردو " أول عمل يطبـق فيـه نظـريات التحليـل النفسي على تاريخ بعض الشخصيات العظيمة "[3].

لقد إعتبر فرويد شخصية ليوناردو معقدة من جهة و عظيمة من جهة أخرى، معقدة بسبب طفولته ، فقد كان طفلا غير شرعي لإمرأة تدعى كاترينا و أن والده تزوج من

1- ليوناردو دافينشي : نظرية التصوير ،ت عادل السوي الهيئة المصرية العامة للكتاب ،د-ط 2005 ،ص 98.

2- سيغموند فرويد: ليوناردو دافينشي ـدراستحليلية ـ ت أحمد عكاشة ،مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د ط ـ1970 ص10.

3- أحمد عكاشة : أفاق في الإبداع الفني –رؤية نفسية ـدار الشروق ،القاهرة ،ط1-2001 ،ص117-118.

سيدة أخرى لم تنجب له أي طفل ، و تبنى ليوناردو عندما كان بين الثالثة و الخامسة من عمره ، إذا فقد تركه والده مع كاترينا في أولى سنوات حياته ، فغمرته أمه بالحنان ، ثم إنقطعت هذه العلاقة فيما بين السنة الثالثة و الخامسة عندما ذهب إلى منزل أبيه و زوجته العاقرة حيث بدأ ليوناردو في كبت إهتماماته الجنسية و بدأ يتقمص شخصية أمه و يختار حبه مرادفا لذاته .

فقد إفترض فرويد أن إنتزاع ليوناردو من أمه كان له أثر سيء على حياته جعله يعتقد لا شعوريا أن والده قد أهمله في طفولته و تركه وحيدا في رعاية أمه، لقد كان لهذا الحرمان أثر بالغ على ليوناردو .

وهنا ظهرت أعراض تدعو إلى الدراسة يقول فرويد " لقد أظهرت شخصية ليوناردو الكثير من الصفات المتناقضة من خمول وعدم مبالاته ،و في الوقت الذي حاول كل إنسان إيجاد مجال لنشاطه"[1].

هذه هي الأطروحة التي يتم بها تفسير أهواء الجنسية المثلية لدى ليوناردودافينشي، لقد سبب غياب الأب خللا في توازن البنية الأوديبية ذلك أن الإرتباط الشديد بأمه يكبح لديه كل تعلق شبقي بالجنس الأخر.

إن إهتمامات ليوناردو الجنسية في أثناء الطفولة إتجاه والدته قد أحبطت ثم كبتت بعد إنتقاله للعيش مع أبيه ،و بالتالي لم يجد منفذا يحل محل أمه غير الإتجاه إلى الإستجناس و بالتالي عجزعن تحقيق العملية الجنسية مع الجنس الآخر يقول فرويد " لم يتوقع أحد من فنان يصور جمال المرأة ، أن ينبذ الجنس كما فعل ليوناردو "[2].

فقد كان يعاني شذوذا جنسيا و إضطرابا عصبيا يكمن في عدم قدرته على تحقيق التوازن والتوافق بينه و بين البيئة .

1- ليوناردو دافينشي : نظرية التصوير ـمرجع سبق ذكره ـ ص 42.
2- المصدر نفسه ، ص 44.

ولزاما عليه أن يفسر كيف تطورت الغريزة الجنسية إلى قوة خارقة في شخصية ليوناردو بإعتبـاره من عباقـرة التـاريخ القلائل خلال عصر النهضة ، فقد كان متعدد المواهب والمعارف ،و قد إستعرض مقدرته في التمتع بالحياة في جزء من رسالته عن التصوير حين قـال "يقدم التصوير أعمال الطبيعة إلى الحس الإنساني بقدر مـن الحقيقـة و اليقين يفـوق ما تقدمه الكلمات و الحروف "[1].

بالإضافة إلى قدرته على إعلاء غرائزه لغايات علمية و عملية يقول فرويد " إن كانـــت توجد لدى ليوناردو القدرة على توجيه جزء كبير من قواه الدافعة الجنسية نحو أنواع نشاطاته بمعنى أنه تسامى بدافع الجنس إلى أهداف أخرى، و أصبح قادرا على إعلاء الجزء الأكبر من الليبيدو إلى الدافع و إلى البحث والمعرفة "[2].

وهنـــا تتضـح لنـــا صـــورة الموناليـزا فهي تعبر عن التناقض بين التحفظ والشهوة وبين الرقة والجنسية ويرمز لنا هذا التناقض إلى ما لاقاه ليوناردو من والدته حتى أصبح لهذه الإبتسامة أثرا على شخصية ليوناردو وفي هذا الصدد يقول "لقد ألهبت أمي شفتي بقبلاتها العاطفية العديـدة "[3] .

على الرغم من هـــذه اللوحة المعقدة فهي كبـــاقي اللوحـــات التي لم يستطع إنهائها إلا بعد فترة زمنية طويلـــة، فالموناليـــزا إستمـــر في رسمهـــا أربـــع سنوات والعشـاء الأخير إستمرت ثلاث سنـوات.

ويذكر « ماتيو باندیلي " الكاتب القصصي و معاصر ليوناردو " أن ليوناردو كان يتسلق الصقالات في الصباح الباكر و يستمر في عمله دون أن يضع فرشاته جانبا دون تفكير في طعام أو شراب حتى الغســق ثم تمــر الأيـــام دون أن يلمـــس فرشاة "[4]، فقد أهمل

1-ليوناردو دافينشي : نظرية التصوير ـ مرجع سبق ذكره ـ ص 47.
2- مصطفى عبده : فلسفة الجمال و دور العقل في الإبداع الفني، مكتبة مدبولي، القاهرة ،ط2- 1999،ص35.
3- سيغموند فرويد: ليوناردو دافينشي : دراسةتحليلية ـ مرجع سبق ذكره ـ ص 35.
4-المصدر نفسه ، ص 40-41.

فرشاته و رسوماته و خلق أعمالا دون أن يتمها، و قد أخذ عليه معاصريه إهماله لمصير إنتاجه و إعتبروا موقفه تجاه فنه لغزا أبديا ، بينما حاول البعض الأخر تبرأته من تهمة عدم التوازن بحجة أن هذه الصفة عامة لكل الفنانين و ضربوا مثال على "مايكل أنجلو" النشيط الذي وهب نفسه لأعماله و مع ذلك فقد ترك البعض منها دون أن يتمها .

أما فرويد ففسر هذه الظاهرة بالموجة القوية التي عا شها ليوناردو في طفولته ، و هي موجة الكبت و كانت أوضح نتائج هذا التحول تجنبه لأي نشاط شبقي - إنسان لا جنسي-.

لقد حاول فرويد أن يلقي الضوء على طفولة الفنان ليوناردو من جميع مسارتـها ليهتم أيضا بأحلامه فضلا عن رسوماته ففي نظر فرويد التخيلات التي تنشأ عن ذكريات الطفولة الغامضة هي ذات أهمية كبرى في التطور الفكري الإنساني و على هذا فتخيل النسر يؤكد قضاء ليوناردو سنة حياته الأولى مع أمه، فاقدا لحنان الأب و بهذا بدأ يطرح أسئلة حول كيفية نشأته أي من أين جئت؟ وما هو دور الأب في حياتي؟

إن الحلم الذي ذكره ليوناردو في إحدى مذكراته العلمية حيث قال " يبدو أنه قد كتب علي أن أهتم بالنسور لأنني أتذكر في بدأ حياتي ، بينما كنت في مهدي ، إذ بنسر يهبط علي و يفتح فمي ثم يلطمني به عدة مرات على شفتي "[1]

هذا الحلم بالنسبة لفرويد هو" تفسير شبقي ، فالذيل رمز معروف و تشبيه يعبر عن قضيب الرجل و ذلك سواء في اللغة الإيطالية أو غيرها .ان مادة تخييل النسر تقدم لنا مضمون الذكرى الحقيقي في تخيل طفولة ليوناردو و يلقي التداعي الذي يضع فيه ليوناردو تخيله ضوءا ساطعا على أهمية هذا المضمون بالنسبة لحياته المتأخرة "[2].

1لمرجع نفسه ، ص 58.

2- سيغموند فرويد :دافنشي و دوستوفيسكي ،ت سمير كرم، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ،ط1 -1975 ،ص 39.

و عملية تخيل فتح النسر لفم الطفل و لطمه بذيله يعبر عن عملية " فلاشيو" و هي عملية جنسية يولج خلالها الرجل قضيبه في فم شريكه في العملية الجنسية ،و يفسر فرويد عملية الإستجناس إلى خلو حياة ليوناردو من أي إتصال عاطفي أو جسدي مع أي امرأة و أنه أحاط نفسه بصغار الصبية و هناك تفسير أخر قدمه فرويد على أساس أن ليوناردو قرأ الكتب الدينية أو التاريخية عن واقعية أنثوية النسور و أنهن يتكاثرن دون الحاجة للذكور .

و قد إستعاد بذلك ذكرى خاصة مفادها أنه إبن لنسر لأن له أم بلا أب ، إذا تخيل النسر يعبر عن الفترة التي قضاها ليوناردو مع أمه تغمره بحنانها و بالتالي، فهذا الحلم يعبر عن إنفصال الإبن عن أبيه كما أن النسر يعبر عن النزعة الخنثوية.

ويستخلص فرويد من ذلك وجود علاقة بنيوية بين لواطية ليوناردو دافنشي والمفعول الخنثوي للإبتسامة الغامضة هذه العلاقة تسمى بالتسامي أو التصعيد بمعنى تحويل الرغبات الجنسية نحو إنتاج أعمال فنية أو مؤلفات فكرية أي أنشطة معترف بها إجتماعيا " فليونـــاردو إستمـــر طفـــلا في نـــواحـــي كثيرة من حياته ويبدو أن كل العظماء يبقون على جزء من الطفل في أنفسهم "[1]

إذا الفـــن عنـــد ليوناردو لم يكـــن " سوى إعلاء أو تسامـــي للغريزة الجنسية أو بمثابة منفذ لطـــاقـــة الليبيدو و تحويـــل لهـــا عن الإشبـــاع الحقيقـــي و توجيههـــا إلى الأساليب المثاليـــة و الرمزية للتعبير "[2] .

فالتسامي هو النموذج الإنحرافي الجنسي الثقافي السوي، إنه يقوم بإستعادة جنس منحرف على شكل إهتمام جمالي أو أخلاقي وهذا فعلا ما حلله فرويد بإكتشافه للجنسية المثلية المكبوتة في شخصية ليوناردودافنشي ،فالتسامي بالنسبة لفرويد يعمل على خفض

1- سيغموند فرويد : ليونارد دافنشي ـ دراسة تحليلية ـ مرجع سبق ذكره ـ ص 119.

2- د محمد علي أبوريان :فلسفة الجمال و نشاة الفنون الجميلة ، دار المعارف الجامعية ،الإسكندرية، د ط ـ1989 ،ص 162.

التوترات التي لا يمكن تحملها عن طريق إنتاج موضوعات يوليها فرويد اهتماما كبيرا فـالطاقــة الجنسيــة الطفوليــة بالإضافــة للكبـت و اللاوعـي مهـم في فهـم رمــوز الحلــم و الفن، فقد علمنا فرويد أن لكل فنان شخصية مجهولة و كشف لنا عن الجانب السري " الأنا " الأخر" فينا .

كمــا درس فرويد حياتو شخصية ديستوفيسكـى و يرجــع إبــداعــه الفني إلى اللاشعــور و هو يميــز في شخصيــة الفنـان أربع ميزات و هي : الفنان الخلاق و الأخلاقي ، و العصابي ، و الآثم أو المجــرم .

في دراسة فرويد لديستويفسكي كشف عن الصراع العنيف الذي كان يعانيه بين المطالب الغريزية الفردية و مطالب الجماعة من خلال موقف الكراهية والحب نحو أبيه

فالصراعات النفسية التي عاناها ديستويفسكي تعبر عن ضيق ساحة الشعور و هذا الضيق نتائجه جسدية كحالات الصرع و النوبات المصحوبة بفقدان الشعورتعود جذورها إلى ذكريات مؤلمة مبكرة، و أن بعض الخبرات الأليمة في الطفولة تتجه نحو اللاشعور تحت غطاء ما يسمى بالكبت لتكشف نفسها فيما بعد بصورة رمزية من خلال الأعراض فالمريض يعبر عن الإنفعال المرتبط بالصدمة الأصلية .

وهنا يبدأ فرويد في تفسير الميزات التي طبعت شخصية ديستوفيسكي و التي كانت بدايتهــا هي إبداع الفــن فمكانـة ديستوفيسكي ليست وراء شكسبير بكثير ، و " الإخوة كرامازون "هي أروع روايــة كتبت على الإطلاق، و حكايــة المفتــش الأعظــم هــي إحدى قمم الأدب في العالــم ،أمــا الأخــلاقي في شخصيــة ديستوفيسكي هــو أكبر قابليــة للهجــوم وإذا أردنــا أن نصفه بمكانــة عالية بين الأخلاقيين

لا لشئ" إلا لأن الإنسان الذي إنحدر من أعماق الخطيئة هو وحده الذي يحلق بقمة الأخلاق" [1].

فالميـزة الأخـلاقيـة التـي صبغت شخصيـة ديستوفيسكي هو أنه أصبح معلما إنسانيا و هذا راجـع إلى الصراعات العنيفـة التي كان يعيشهـا ، حيث ترك للأجيـال توجيه اللـوم له على فشله الذي سببه عصابـه .

أما كعصـابي فقد كان يصاب بنوبات حادة و فقدان للشعور و قد أرجع فرويد هذا إلى الصدمة التي تلقاها في سن الثانية عشر أي مقتل أبيه.

يقـر فـرويـد أن هناك صلـة بين إبـداع ديستوفيسكي و الإخـوة كارمازوف و بين مصير ديستوفيسكي نفسـه خصوصا إبـداعه لشخصية قـاتل الأب في هـذه الرواية.

أما النظر إليه كآثم ومجرم فيثير كثير من المعارضة ، و لكن فرويد يرى أن هذا الإثم إرتبط بالأنانية و هو باعث هدام و قوي و سينجم عنه إنعدام الحب و الإفتقار إلى التقدير العاطفي.

إذ قال فرويد " إن ركيزة الهدم عند ديستوفيسكي التي ربما كان يمكن أن تجعل منه مجرما بسهولة كانت موجهة في حياته الفعلية أساسا ضد شخصه هو و إلى الداخل بدلا من الخارج "[2] و إذا كـان الأمـر كذلـك فـإن علينـا أن نتسائـل " ما الذي يدعونا لجعل ديستوفيسكي في عـدادالمجرمين؟. والجـواب أن ذلك متأتي من إختياره لمادة روايته حيث إنتقاها من بين الشخصيـات القاتلـة الأنـانية وبـذلـك يشيـر على وجود إتجاهات مماثلة في داخل نفسه ، و في بعض الحقائق المعينة في حياته مثل "حماسته للقمار و إعترافه المحتمل بإعتداء جنسي على فتاة صغيرة "[3].

---

1 رينيه ويليك: ديستوفيسكي ،ت نجيب المانع، المكتبة العصرية ،بيروت، د-ط ،1967 ،ص 163.

2- علي عبد المعطي محمد : فلسفة الفن رؤية جديدة ،دار النهضة العربية للطباعة و النشر،بيروت، دط-1985 ، ص 106

3- رينيه ويليك :ديستوفيسكيي - مرجع سبق ذكره - ص 165.

كان ديستوفيسكي يكره أباه و يتمنى أن يتخلص منه كمنافس، وفي نفس الوقت يضاف إليه قدر من الحنين ليرتبط هذان الموقفين فيخلقا تقمصا في شخص الأب، لأن الطفل ديستوفيسكي كان يود أن يكون في مكان والده لكن في نفس الوقت يريد إبعاده من طريقه، و هنا يحدث للطفل في نظر فرويد كبت في اللاشعور لأن التفكير في التخلص من أبيه تشكل أساس الشعور بالذنب و هنا نستطيع تفسير النوبات الشبيهة بالموت التي كان يصاب بها و هي كشكل عقاب لتفكير ديستوفيسكي .

ومن هنا نستنتج أن عمل ديستوفيسكى الفني و إبداعه إرتبط بالتركيبة النفسية الطفولية و هذا ما جسده في الرواية و في النوبا ت اللاشعوية التي كانت تصيبه .

إن الإنسان القوي في نظر فرويد هو الذي يحول تخيلات الرغبة إلى واقع ، و لكن إذا ما أخفق هذا التحويل نتيجة لمعاكسة الظروف الخارجية و لضعف الفرد إتجه إلى عالم الأحلام ليوفر له قدرا كبيرا من السعادة، أما في حالة المرض فسيتحول مضمونه إلى أعراض و أمراض نفسية، بينما إذا تغلب على نفسه فقد يستطيع تحويل أحلامه إلى إبداعات جمالية.

و منه يكون الفن من خلال النظرية السيكولوجية الفرويدية عبارة عن تنفيس لذكرياته المكبوتة تنحدر من عهد الطفولة تجلت في عقدة أوديب و أعمال "فيكتور هيغو" الرمزية و أعمال "ليوناردو الفنية" و أدبيات "ديستوفيسكي" و الإخوة "كرامازوف" و في إبتسامة "الجيو كندة السحرية".

فالفن هو وسيلة لتحقيق الرغبات في الخيال والتي تعرضت للإحباط من طرف الواقع فالفنان بالنسبة لفرويد كالعصابي ينسحب من الواقع إلى عالمه الخيالي، لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن إشباع غرائزه والتي مصدرها النزوة الجنسية.

الـخـاتمـــة

ليس هناك ما هو أغرب في إعتقاد الإنسان من عمق جسده ،إن وجود الإنسان وجود جسدي فيه نحدد معالمه و رمزيته و هويته .

إن مفهوم الجسد يخضع لمفهوم الإنسان، و لهذا فالعديد من الفلسفات لا تميز بين الإنسان و الجسد، فالتركيبة القاعدية و البنيوية لعمق الإنسان هي نفسها التي تعطي النفحة الروحية للكون و الطبيعة .

و لكن الجسد من منظور حداثي إنطلق من مخيال جديد للجسد من خلال الثنائية المعاصرة و التي تفصل بين الإنسان و جسده ،فعلى الرغم من أن الجسد يمثل مركز ثقل هويتنا و تميزنا ،و لكنه في نفس الوقت منفصل عنا خاصة في الممارسات الطبية و حتى الفلسفية، فقد أسس أرسطو للبيولوجيا المعاصرة و الفيزياء عندما جعل الجسد صورة و مادة ،قوة و فعلا ،بينما ديكارت فقد إعتبر العالم مجرد فضاء هندسي تتحكم فيه القوانين الميكانيكية و بما أن جسد الانسان جزء لا يتجزء من هذا الكون فهو بالضرورة يخضع لنفس القوانين .

إذن الجسد آلة منظمة يحركها فكر أو كما يسميه ديكارت "الجوهر الممتد" و مع ذلك فهما من طبيعتين مختلفتين و لا يمكن إختزال أحدهما في الأخر ،و من ثم لا يمكن إدراك الجسد إلا كموضوع خارجي على الفكر و عليه يمكن بلورة الجسد هندسيا من خلال طوله و عرضه .

أما ما يسميه ديكارت الكوجيتو فهو ميزة العقل و تميزه بإدراكاته و إنفعالاته لأن الجسد عاجز عن إدراك المعرفة بإعتباره معطى حسي كما أنه ينفلت من الحساسية .

من هذا المنطلق فقد ظل الجسد مغيبا و مهمشا و منسيا في الفكر الإنساني الفلسفي منذ أفلاطون حتى ديكارت إلى أن جاء باروخ سبينوزا ليفتح الباب أمام التفكير الفلسفي للجسد من خلال جعل العقل و الجسد شيء واحد .

فالجسد ليس مجرد إمتداد و تابع للفكر بل هو أداته المتجسدة في الوحدة النفسية و الفيزيائية للإنسان أو كما يسميه سبينوزا "إنفعال الجسد" .

فالجسد و الفكر متماثلان و ما يتيح بالتفكير فيهما و تمييزهما هو الطريقة التي يدرك بها العقل الجوهر، فالروح هي فكرة الجسد ووعيه ووسيلة تمثل الجسد هذا ما يقره فردريك نيتشه الذي نادى بموت العقل و أفوله و نهاية الوثوق به كمصدر للحقيقة ،فالجسد يعرف كتمثل أو كتصور مثلما نعرف باقي المواضيع التي تتجلى للإدراك

و بما أن العقل يعتبر مصدر إدراك فهو ليس إلا مترجم لحاجات الجسد إلى معارف مما يجعله خاضعا و بشكل لاواع له ، و هنا يقلب نيتشه الكوجيتو الديكارتي من "أنا أفكر إذن أنا موجود" إلى "أنا جسد إذن أنا أريد و أفكر" .

أما هنري برغسون فهو يعتقد أن الفلسفة الكلاسيكية ناقشت مشكل العلاقة بين الجسد و الروح من باب تقديس الروح أو كما يسميها برغسون "العمليات الأولية للفكر" من إدراك و تذكر متجاهلة الربط الديناميكي و التفاعلي بينها و بين الجسد و آلياته العليا خاصة الذاكرة الخالصة بإعتبارها الدافع الحيوي للتطور الخلاق.

بمعنى الذات تدرك جسدها وفق أبعاد ثلاث الماضي ،الحاضر، المستقبل و عبر الصور و التمثلات ومن ثم إقصاء البعض منها ،و هذا يبين دور الجسد في تخزين الذكريات التي تؤثر في أعضائنا من أجل نقل الذكرى إلى الوعي عن طريق الفاعلية الواقعية .

و في العصر الراهن دخلت البشرية عهد جسد جديد أو بالأحرى ولادة جسد جديد و يفرز هذا العهد منطقا جديدا يعين الترابط بين الجسد الإنساني و إدراكه له، و إذا كان الإدراك يمثل العلاقة الأصلية مع العالم، فإن إدراكي لجسدي يكون من خلال الخطاطة الجسدية و التي تمثل وضعية الجسد في العالم ،فأنا أوجد في العالم من خلال جسدي و به هذا ما يؤكده ميرلوبونتي و يدعو إليه برفضه للنزعات الوضعية و إختزالها للجسد في العمليات الفيزيولوجية و الكيميائية .

و عليه لفهم الجسد يجب التخلي عن التصورات المادية و هذا بالتفكير في الجسد الواعي بمعنى الإنتقال من التجربة العضوية أي الجسد البيولوجي إلى الجسد المعيش .

فإذا كان الجسد البيولوجي ينبثق و يتجذر في سياق مادي طبيعي، فإن الجسد المعيش يوجد من خلال تجربة الإدراك القصدي فكل "إدراك هو إدراك لشيء ما" و هو ما يعني أن الإدراك ليس معرفة فقط بل هو بنية وجودية ،لأن وجوده في العالم هو إنبثاق للمعنى الذي يتجسد، و هذا المعنى المتجسد هو منبع تشكيل الجسد .

إن علم النفس بحيثياته و تمثلاته ينطلق من مسلمة البنية النفسية للجسد، فالطبيعة الخارجانية للإنسان هي التي تجعله في غفلة دائمة عن ذاته على إعتبار أن الإهتمام بالجسد كفاعل ظاهري يقصي إدراكه لجسده في جزئياته و كليته ،و لذلك ظهرت زوايا نظر جديدة تستأنف البحث في الجسد من منطلق التحليل النفسي ،فإذا كان الوعي بأنني أفكر يصحب تمثلاتي مع ديكارت فإن جسدي على وجه الحقيقة هو الذي يصحب مختلف أشكال التدخل داخل العالم .

هذا الدحض الفرويدي للتصورات الكلاسيكية و الإعتقادات الميتافيزيقية التي رسختها الثيولوجيا جعلته يرد الإعتبار إلى الجسد بتجاوز الثنائيات مهما كانت درجاتها، فإدراك الجسد يتم ضمن منظومة رمزية تأويلية تجسد لغة نقرأ من خلالها العالم، و فهمنا له يتوقف على مدى قطع الصلة مع الوعي الساذج الذي يتصور الجسد كموضع شهوة و تمرد ، و مع التصورات الماورائية الثيولوجية التي تسمو بالنفس و تشل من حركة الجسد لأنها تعتبره عائقا أمام الأخلاق و المثل الإنسانية .

فإختزال الإنسان أو بالأحرى الجسد في الفكر و الوعي كجوهر ماهية يدحضه فرويد ليؤكد أن الإنسان ليس هو بالعقل المحض بل هو جانب أو مستودع للاعقل .

فالتحليل النفسي الفرويدي هو إجراء قائم بذاته و مستقل بنوعه يقوم على أساس التسليم بنظرية العقل الباطن ،و التي تفترض تقسيم الحياة العقلية إلى شعور و لاشعور و أن تصرفاتنا الشعورية ماهي إلا نتيجة حتمية للعمليات اللاشعورية و التي تحدث في العقل الباطن ،كما أكد على أهمية خبرات الطفولة المبكرة و دوافع اللاوعي في التأثير على السلوك .

فالكثير من الخبرات الصادمة و المؤلمة يتم إخمادها في أوقات مبكرة من الحياة حيث يتم إقصاؤها من الوعي الشعوري إلى العقل اللاشعوري .
كما طور فرويد نظريته النفس جنسية حول مراحل الطفولة معتمدا على مبدأ اللذة الجسدية و هذا من خلال جهاز نفسي مكون من الأنا، الأنا الأعلى، الهو كما أشار الى خمس مراحل أساسية في النمو وكل منها يتصف بمشكلات تكيفية جديدة يجابهها الأنا و هي المرحلة الفمية ،الشرجية ،القضيبية، الكمون ،و أخيرا المرحلة التناسلية .

لقد قدم فرويد عدة أفكار جذرية بشأن ماهية الجسد في الوجود بتقنيات جديدة من أجل توجيه التحليل النفسي العلمي ،كما قد قدم أسئلة محيرة في الطبيعة على إمتداد العالم و شرح القيمة الحقيقية لهذا الجسد بالنسبة للأنا بمختلف تبايناته .
فموضوع الجسد الذي ظل لقرون مسكوتا عنه أصبح الأن موضوعا حيويا يلح على التفكير ،و هنا ينبغي أن نولي له الأهمية البالغة من خلال طرحه و معالجة إشكالياته في سياق سسيوثقافي نفسي و بمناهج أكثر جدية و فلسفة أكثر موضوعية .

فالفلسفة لم يعد بمقدورها أن تبني تصورا حول الإنسان من دون وعي بحقيقة الجسد و الإهتمام به أحدث تحولا جذريا في الفكر الفلسفي و الذي يدعونا الى إعادة النظر في "الأنا أفكر" الديكارتي لتنسلخ الذات من ذاتها و تلتحم بالجسد لتصير ذاتا فتصبح كل محاولة للتفكير في أجسادنا هي محاولة إعادة و إستيعاب لذواتنا من خلال توضيح حالات من الوقائع النفسية التي إستخلص فرويد قوانينها بإكتشافه لجنسية الطفل و التي تولد مع الحياة و تمر بمراحل مختلفة قبل أن تبلغ المرحلة التناسلية و التي ترتبط بهوية و بنية الجسد .

يعتبر فرويد أول من لفت الإنتباه الى وجود جنسية عند الطفل و تكلم عن طاقة جنسية سماها الليبيدو و التي تعتمد بدورها على مفهوم النزوات التي تستند إلى حاجة الجسد من أجل الإشباع، و تتصل النزوات مع المواضيع الخارجية بواسطة المناطق المولدة للغلمة و تشكل تجارب الإشباع النزوي مواضيع إستدخال الذي يعتبر بدوره مؤسسا للحياة الداخلية الهوامية التي تشكل السجل الرمزي الخيالي ،و أساسها نفسي يتعلق بمختلف

الإستثمارات الديناميكية و الليبيدية و العدوانية و التي تعود إلى الترسبات القديمة تعبر عن إرث العقل الإنساني .

فالرموز و الفن و الإبداع يكشف لنا عن طبيعتنا البدائية و غريزتنا و طريقتنا في التفكير في رموز مبهمة تحتاج إلى تأويل لأنها تعبر عن نفسها بلغة الطبيعة التي بتنا نجهلها .

الـمـلاحـــق

أهـم المصطلحات الواردة في الـدراســة .

-الإحبــاط .....- Frusration (F.)..... Frusration (E.)

-الإحساس بالذنب-

Sense of Guilt (E). - Sentiment de Culpabilite (F.)

أحلام اليقظـة ..... Day - dreams (E)….- Rêves Diurnes (F)

-إخراج الحلم. ..... Dream - Work (E)…..- Travail du Rêve (F.)

الإدمــاج..... Incorporation (E.)…- Incorporation (F.).. .....

الإزاحــة..... displacement (E)…..- Déplacement (F). .....

الإسقـاط ..... Projection (E)…- Projection (F)

-الأليات الدفاعيـة

Defence Mechanisms (E.)..- Mechanismes de Defense (F.)

الإمتنـاع..... Abstinence (E)…….- Abstinence (F)

- الأنا..... Ego (E.)…….- Moi (F)

- الأنا الأعلى.…..- Surmoi (F.)..... Superego (E.) .....

- الأنا المثالي..... Ideal Ego (E.); ...- Moi Ideal (F.). .....

-الأنا و الهو The Ego and the Id (E)……- Le Moi et le Soi (F)

الإنطــواء..... Introversion (E)….. - Introversion (F)

-الإيروس…….(eros (E)……..- éros (F

-التأويل ….(interpretation (E)…….- interprétation (F

-تأويل الأحلام

The interpretaion of dreams.(E).-L’ interprétations des rêves (F).

-التثبيت ..... ……- Fixation (F)…… Fixation (E)…

- التخيلات….(F) Phantasmes -.(E)……..- Phantasies

–التداعي الحر…..(F) Libre Association -.(E.)….- Free Association

-التسامي……(F.) Sublmation -.(E)……..- Sublmation

- التفريـغ.....(F.) Decharge -.(E,)….- Discharge

-التكثيف .....(F.) condensation -.(E.)…- condensation

- التكيف……(F.) Adaptation -.(E)…..- Adaptation

- التنفيس الإفتعالي.....(F) Catharsis -.(E)……- Catharsis

-الثاناتوس .....(F) Thanatos -.(E)……..- Thanatos

- الجهاز النفسي..(F) Appareil Psychique -.(E)..- Psychic Apparatus

- الجنسية …….(F.) Sexualité -.(E.)……..- Sexuality

- الحداد و الملانخوليا.

- Mourning and Melancholia (E.).- Deuil et Melancholie (F.)

-رجل الذئاب The Wolf - man (E)....- L'Homme aux Loups (F)

-الرقـابــة Censorship (E)……..- Censure (F)..... .....

- الرمزية ..... Symbolism (E)..... .- Symbolisme (F)....

– زنا المحارم ..... ……..- Inceste (F)… ……..... Incest (E)

- السادية .... ……- Sadisme (F) .....(E)Sadism

- سيكولوجية المرأة

Woman's Psychology(E)-Psychologies de la Femme (F)

-الشبقية الذاتية ……..- Auto-erotisme (F)…… Auto-erotism (E).

-الشعور .....- Conscience (F)..... Consiousness (E)

–الشعور بالدونية Inferiority Feeling (E.).- Sentiment d'infériorité (F)

-صدمة الميلاد(F)Birth Trauma (E) -Traumatisme de la Naissance

-الصدمة النفسية … Psychic Trauma (E) - Trauma Psychique (F)

- الصراع النفسي.....- Conflit Psychique (F)...Psychical Conflict (E)

- العدوان ……- Agression (F) …… (E) Aggression

-العزل ……- Isolation (F)…… ……. Isolation (E)

-العصاب ……- Nérvose (F)…… Neurosis (E)

-العصاب الوسواسي أو القهري.

Obsessional Neurosis (E) - Nervose Obsessionnelle(F)

عصاب الصدمة

Traumatic Neurosis (E)- NCrvose Traumatique (F)

-عصاب القلق …- Nervose d’angoisse (F) Anxiety Neurosis (E.)

-عقدة الأب … ...- Complexe Paternel (F) Father Complex (E.).

-عقدة إليكترا … ...- Complex d'tlectre (F) Electra Complex (E).

–عقدة أوديب .....- Complexe dlOedipe (F) Oedipus Complex (E)

-عقدة الخصاء

Castration Complex (E) - Complexe de Castration (F)

-غرائز الأنا …… - Instincts du Moi (F) Ego Instincts (E.).....

– الغرائز الجنسية ..- Instincts Sexuels (F.) Sexual Instincts (E) ...

–غرائز الحياة ..... Instincts de Vie (F) …….- Life Instincts (E)

-غريزة التدمير …Instinct de Destruction (F.)- Destrudo (E).....

– غريزة العدوان Instinct dlAgression (F)..- Aggressive Instinct (E)

- غريزة الموت…….Instinct de Mort (F.)- ....Death Instinct (E.)

- الفصام……Schizophrenie (F.)- ...Schizophrenia (E.)……

- القضيب ..... Phallus (F) ……..... - Phallus (E) ……..

- القمع ..... Suppression (F) ..... - Suppression (E).....

-الكبت Repression (E.); -Repression (F.);

-الكف Inhibition (E.; F.) - Inhibition (E.; F.)

-الكف و العرض و القلق

inhibition syptom and anxiety (E) inhibition symptôme et (F) angoisse

-اللاإرادة Abulia , Aboulia (E) …..Aboulie (F)…..

- اللاشعور The inconscious (E)……l’inconscient (F)…….

- الليبيدو Libido (E)…..Libido (F)……

-ما دون الشعور Subconscious (E)……Subconscient (F)….

السيرة الذاتية لسيغموند فرويد .

سيغموند فرويد وإسمه الحقيقي **سيغيسموند شلومو فرويد** (6 مايو 1856—23 سبتمبر 1939)، هو طبيب نمساوي من أصل يهودي، إختص بدراسة الطب العصبي يعتبر مؤسس علم التحليل النفسي وهو طبيب الأعصاب النمساوي الذي أسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث، إشتهر فرويد بنظرياته حول الجنس و الأحلام واللاوعي، فهدف التحليل النفسي يكمن في علاج الأمراض النفسية عن طريق الحوار بين المريض والمحلل النفسي. كما إشتهر بتقنية إعادة تحديد الرغبة الجنسية والطاقة التحفيزية الأولية للحياة البشرية،ولد سيجموند فرويد في 6 مايو 1856 في أسرة تنتمي إلى الجالية اليهودية في بلدة بريبورباللغة التشيكية ،بمنطقة مورافيا التابعة آنذاك للإمبراطورية النمساوية، والتي هي الآن جزء من جمهورية التشيك .

أنجبه والده جاكوب عندما بلغ 41 عاما وكان تاجر صوف"يذكر أنه كان صارما متسلطا" ، كان فرويد الأول من ثمانية أشقاء، ونظرا لذكائه المبكر، كان والداه يفضلانه على بقية إخوته في المراحل المبكرة من طفولته وضحوا بكل شيء لمنحه التعليم السليم على الرغم من الفقر الذي عانت منه الأسرة بسبب الأزمة الإقتصادية آنذاك، وفي عام 1857 خسر والد فرويد تجارته، وإنتقلت العائلة إلى لايبزيغ قبل أن تستقر في فيينا .

وفي عام 1865، دخل سيغموند المدرسة حينها وكان تلميذا متفوقا وتخرج في ماتورا في عام 1873 مع مرتبة الشرف، كان فرويد قد خطط لدراسة القانون، لكن بدلاً من ذلك إنضم إلى كلية الطب في جامعة فيينا للدراسة تحت إشراف البروفسور الداروينى "كارل كلاوس"،كان فرويد تلميذا متفوقا دائما إحتل المرتبة الأولى في صفه عند التخرج ولم يكن مسموحا لإخوانه وأخواته أن يدرسوا الألات الموسيقية في البيت لأن هذا كان يزعج فرويد ويعوقه عن التركيز في دراساته ،وإلتحق بمدرسة الطب عندما بلغ السابعة عشرة من عمره ولكنه مكث بها ثماني سنوات لكي ينهي الدراسة التي تستغرق عادة أربع سنوات ويرجع ذلك إلى متابعته وإنشغاله بكثير من الإهتمامات خارج مجال الطب

ولم يكن فرويد مهتما في الحقيقة بأن يصبح طبيبا ،ولكنه رأى أن دراسة الطب هي الطريق إلى الانغماس في البحث العلمي.

وكان أمل فرويد أن يصبح عالما في التشريح ونشر عددا من البحوث العلمية في هذا المجال وسرعان ما أدرك أن التقدم في مدارج العلم ومراتبه سيكون بطيئا بحكم إنتمائه العرقي وإدراكه هذا فضلا عن حاجته إلى المال دفعاه إلى الممارسة الإكلينيكية كمتخصص في الأعصاب عام 1881م.

بداية مشوارهُ العلمي مع جوزيف برويرJoseph Breuer وهو من أبرز اطباء فيينا وكان ناصحا لفرويد و وتأثر به وأعجب بطريقته الجديدة لعلاج الهستيريا وهي طريقة التفريغ التي إتبعها برويرو فيها يستخدم الإيحاء التنويمى في معالجة مرضاه لتذكر أحداث لم يستطيعوا تذكرها في اليقظة مع المشاعر والإنفعالات الخاصة بالحدث مما يساعد المرضى على الشفاء عن طريق التنفيس عن الكبت

1881حصل على الدكتوراة وعمل في معمل أرنست بروك.

1882عمل في مستشفى فيينا الرئيسى، ونشر أبحاث عديدة في الأمراض العصبية.

1885عين محاضراً في علم أمراض الجهاز العصبي، وتسلم فرويد منحة صغيرة أتاحت له أن يسافر إلى باريس ودرس في جامعة سالبتريير مع طبيب نفسي فرنسي مشهور هو جان مارتان شاركو الذي كان يستخدم التنويم المغناطيسي في علاجه للهستيريا وكانت هذه الزيارة هامة لفرويد لسببين على الأقل السبب الأول أن فرويد تعلم من شاركو أن من الممكن علاج الهستيريا كإضطراب نفسي وليس كإضطراب عضوي

1886عاد إلى فيينا، عمل طبيبًا خاصًّا وطبق ما تعلمه من شاركو، وبدأ في إقناع زملائه بإمكانية تنفيذ ما وصل إليه من أبحاث الهستيريا، ولكنهم عارضوه، فأخذ على عاتقه تطبيق هذه الأبحاث .

1889سافر إلى فرنسا ليحسن فنه التنويمى وقابل الطبيبين ليبولت Liebault وبرنهايم Bernheim.

بدأ الإثنان مشوارهم في دراسة مرض الهستيريا وأسبابه وعلاجه

1893نشرا بحثاً في العوامل النفسية للهستيريا.

1895نشرا كتاب دراسات في الهستيريا وكان نقطة تحول في تاريخ علاج الأمراض العقلية والنفسية، فهو بمثابة حجر الأساس لنظرية التحليل النفسى، ويتناول الكتاب أهمية الحياة العاطفية في الصحة العقلية اللاشعورية، وإقترحا أن كبت الميول والرغبات يحولها عن طريقها الطبيعى إلى طريق غير طبيعى، فينتج الأعراض الهستيرية.

1906-1896 :بعد ذلك حاولا أن يفسرا العوامل النفسية المسببة للهستيريا، ولكن دب الخلاف بينهما عندما فسر بروير الإنحلال العقلي المصاحب للهستيريا بإنقطاع الصلة بين حالات النفس الشعورية، وفسر أعراضها بحالات شبه تنويمية ينفذ أثرها إلى الشعور ، وفرويد إختلف معه معللاً أن الإنحلال العقلي هو نتيجة صراع بين الميول وتصادم الرغبات ليكتشف طريقة التداعي الحر ،إكتشفها فرويد بعد أن وجد طريقة التفريغ بعض العيوب منها أن نجاح العلاج يتطلب إستمرار العلاقة بين المريض والطبيب، فلجأ إلى أن يحث المرضى بطريق الإيحاء وهم في حالة اليقظة وكان بها عيوب هي أيضاً فإبتكر فرويد طريقة التداعي وهي أن يطلب من المريض أن يطلق العنان لأفكاره لتسترسل من تلقاء نفسها دون قيد أو شرط، فيتكلم بأي شيء يخطر بباله دون إخفاء تفاصيل مهما كانت تافهة أو مؤلمة أو معيبة و كشفت له هذه الطريقة الكثير من الحقائق.

1908:كان أول مؤتمر للتحليل النفساني بزيورخ بدعوة من يونغ وتم إصدار مجلة التحليل النفسي تحت إدارة فرويد وبروير ، وكان يونغ رئيس تحريرها.

1909 :دعت جامعة كلارك بالولايات المتحدة الأمريكية فرويد ويونغ للإشتراك في إحتفال الجامعة بمناسبة عشرين عاماً على تأسيسها، وتم إستقبالهم إستقبالاً رائعاً وقُوبلت محاضرات فرويد الخمس والمحاضراتان اللتان القاهما يونغ مقابلة جيدة.

توصل فرويد إلى أن الكبت صراع بين رغبتين متضادتين، وأن هناك نوعين من الصراع: واحد في دائرة الشعور تحكم النفس فيه لإحدى الرغبتين وتترك الثانية وهو الطريق الطبيعى للرغبات المتضادة دون إضرار النفس، بينما النوع الأخر هو المرضي حيث تلجأ النفس بمجرد حدوث الصراع إلى صد وكبت إحدى الرغبتين عن الشعور دون التفكير واصدار حكم فيها، لتستقر في اللاشعور بكامل قوتها منتظرة مخرج لتصعيد طاقتها المكبوتة ، ويكون عن طريق الأعراض المرضية التي تنتاب العصابين.،وإتضح لفرويد أن دور الطبيب النفساني هي كشف الرغبات المكبوتة لإعادتها إلى دائرة الشعور لكى يواجه المريض الصراع الذي فشل في حله سابقاً، ويحاول حله تحت إشراف الطبيب أي إحلال الحكم الفعلي محل الكبت اللاشعوري، وسميت تلك الطريقة التحليل النفسي، كما إكتشف عقدة أوديب و هي مرحلة مهمة في مراحل تطور الطفل هذه العقدة يسميها فرويد بعقدة إلكترا تجتاز فيها الطفلة التجربة نفسها، لكن الميل يكون تجاه أبيها. كما للعقدة نفسها عند فرويد رواية جماعية تتمثل في أسطورة إغتيال الأب التي يعتبرها منشأ للعقائد والأديان والفنون والحضارة، عمومافي عام 1886تزوج مارتا برزنيز وأنجب منها ستة أطفال ثلاثة من البنين وثلاث من البنات، وأصبحت إحدى بناته طبيبة نفسية وهي آنا ،ولقد اشتهرت بعلاج الأطفال في لندن،توفى بمرض السرطان الذي حاول إخفائه مرارا لكن لم يفلح في ذلك.

المصادر
و
المراجع

الكتب الخـاصـة بفرويـد :

1- سيغموند فرويد: ليوناردو دافنشي و دوستوفيسكي، ت سمير كرم ،دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت، ط1، 1975 .

2 - سيغموند فرويد : نظرية الأحلام :ت جورج طرابيشي ،دار الطليعة للطباعة وا لنشر، بيروت د ط، دت.

3- سيغموند فرويد ، وليام شتيكل: التحليل النفسي ،ت-علي السيد حضارة المكتبة الشعبية، القاهرة دط- دت .

4- سيغموند فرويد : الحب و الحرب و الحضارة و الموت ، ت عبد المنعم الحفني، دار الرشاد ط1 ،1992.

5- سيغموند فرويد: الكف ، العرض ، الحصر، ت جورج طرابشي، دار الطليعة ،بيروت 1982.

6- سيغموند فرويد النظرية العامة للأمراض العصابية، ت جورج طرابيشي دار الطليعة، بيروت ، دط – د ت .

7- سيغموند فرويد : التحليل النفسي لرهاب الأطفال "هانز الصغير " ،ت: جورج طرابيشي دار الطليعة، بيروت ، دط ،دت .

8 - سيغموند فرويد : الكف ، العرض ، القلق ، ت : محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ط4 1989.

9- سيغموند فرويد : تفسير الأحلام، ت- نظمي لوقا ،دار الهلال القاهرة ،دط-1962.

10- سيغموند فرويد : مساهمة في حركة تاريخ التحليل النفسي، ت جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط2-1982 .

11- سيغموند فرويد، وليام شتيكل : الكبت (التحليل النفسي) ،ت علي السيد حضارة ،دار القلم للنشر و التوزيع ، ط1،1999

12- سيغموند فرويد : الهذيان و الأحلام في الفن ، ت : جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ط1-1978 .

13- سيغموند فرويد : ثلاثة مباحث في نظرية الجنس، ت جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1981 .

14- سيغموند فرويد: الأنا و الهو، ت محمد عثمان نجاتي، دار الشروق ،بيروت، لبنان ،ط 4 1982 .

15- سيغموند فرويد: التحليل النفسي للأحلام ، ت عبد المنعم الحفني، الدار الفنية للنشر و التوزيع ط1 - 1988.

16- سيغموند فرويد: تفسير الأحلام - تبسيط وتلخيص - ت نظمي لوقا كتاب الهلال ،سلسلة ثقافية شهرية العدد 137 ،اوت، 1962 .

17- سيغموند فرويد: ليوناردو دافينشي : دراسة تحليلية ت- أحمد عكاشة، مكتبة الأنجلو ،مصرية القاهرة، د ط ، 1970 .

18- سيغموند فرويد :محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي ،ت عزت راجح ،مكتبة مصر للطباعة و النشر دط ،دت .

19- سيغموند فرويد :مختصر التحليل النفسي، ت جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت، ط2، 1986.

20- سيغموند فرويد: االموجز في التحليل النفسي، ت سامي محمود علي ، عبد السلام القفاش، مهرجان القراءة للجميع، د ط ، د ت

21- سيغموند فرويد : إبليس في التحليل النفسي، ت جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر ،بيروت، ط1 ، 1980 .

22 - سيغموند فرويد: الحياة الجنسية ت- جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ط1-1982.

23 - سيغموند فرويد : حياتي و التحليل النفسي، ت مصطفى زيور، دار المعارف الإسكندرية ،ط4- د ت

24- سيغموند فرويد :الطوطم و التابو ،ت جورج طرابيشي، دار الطباعة و النشر، بيروت د ط- د ت .

25- سيغموند فرويد :علم نفس الجماهير ت .جورج طرابيشي ،دار الطليعة للطباعة و النشر ،بيروت دط ،دت .

26- سيغموند فرويد :ما فوق مبدأ اللذة ت .إسحاق رمزي دار المعارف الإسكندرية ، ط 5 ،دت .

27- سيغموند فرويد :مدخل إلى التحليل النفسي، ت جورج طرابيشي ،دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت دط ،دت .

28- سيغموند فرويد : الحلم و تأويله ت جورج طرابيشي دار الطليعة، لبنان ،ط4 مارس ،1980.

29 - سيغموند فرويد :التحليل النفسي في العصاب، ت صلاح مخمر و عبده ميخائيل رزق ،مكتبة الأنجلو مصرية ،دط، 1966 .

30 -سيغموند فرويد :مسائل في مزاولة التحليل النفسي ،ت جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ،د ط، دت.

31- سيغموند فرويد: خمس محاضرات في التحليل النفسي، ت نيفين زيو،رمكتبة الأنجلو، مصرية دط ـ دت

32- سيغموند فرويد: قلق في الحضارة – ت- جورج طرابيشي دار الطليعة ،بيروت ،دط- 1977 .

33- سيغموند فرويد : تفسير الأحلام ، ت عبد المنعم الحفني ،مكتبة مدبولي ،الإسكندرية ، ط3 ، 2007 .

34 - سيغموند فرويد : التحليل النفسي للهستيريا ، ت جورج طرابيشي دار الطليعة للطباعة و النشر ،بيروت ط1-1981.

35 - سيغموند فرويد: التحليل النفسي للعصاب الوسواسي (رجل الجرذان) ،ت جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت ، ط7-1987 .

36- سيغموند فرويد: تفسير الأحلام ـ نسخة كاملةـ ت مصطفى صفوان، دار المعارف القاهرة ،د ط دت .

المـراجـع :

1- إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعةو النشر دط ، 2001

2- أتر يواناي : الأنوثة من زاوية التحليل النفسي، ت طلال حرب، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، لبنان، ط1 – 1992

3- أحمد عكاشة : أفاق في الإبداع الفني –رؤية نفسية دار الشروق ،القاهرة ،ط1-2001 .

4- أحمد عكاشة : س فرويد حياته و تحليله النفسي، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت ،دط ـ د ت

5- إدغار بيش : فكر فرويد ، ت : جوزيف عبد الله ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع لبنان ، ط1-1986 .

6- أرسطو طاليس : كتاب النفس ، ت : أحمد فؤاد الأهواني مراجعة الأب جورج شحاتة قنواتي ،دار إحياء الكتب العربية ، ط1 ،1949.

7- أروبنسون بول: اليسار الفرويدي، ت عبده الريس، المجلس الأعلى للثقافة، ط1-2004.

8- إريك فروم : الحكايات و الأساطير و الأحلام ،ت صلاح حاتم ،مكتبة الإسكندرية ،دط ـ دت .

9- إريك فروم :د.ت سوزوكي ريتشارد دي مارتينو، بوذية الزن و التحليل النفسي، ت محمود منقذ الهاشمي ، أزمنة للنشر و التوزيع ، الأردن، ط1-2006.

10- إريك فروم: أزمة التحليل النفسي ، ت طلال عتريسي، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت ،ط1- 1988 .

11- *إريك فروم: فن الإصغاء، ت محمود منقذ الهاشمي، دار اتحاد الكتاب العربي، دمشق ، 2004*

12- أفلاطون : الجمهورية ت : فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتابة ،القاهرة ،1985.

13- أفلاطون : محاورة المأدبة (في الحب)، ت علي سامي، النشار دار الكتب الجامعية، 1970.

14- افلاطون: المحاورات الكاملة الجمهورية ـالمجلد الاول ـ ت شوقي داود تمراز ،الأهلية للنشر و التوزيع ،بيروت، 1994 .

15- ألفرد أدلر :سيكولوجيتك في الحياة " كيف تحياها " ،ت عبد العلي الجسماني ، المؤسسة العربية للدرسات و التشر، بيروت ، ط1-1996.

16- ألفرد أدلر: معني الحياة ت : عادل نجيب بشري المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة د.ط 2005 .

17- إمام عبد الفتاح إمام : أرسطو و المرأة ،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،ط1 ـ 1966.

18- أمبرتو إيكو: السيميائيات البصرية، ت محمد التهامي العماري، تقديم سعيد بنكراد، دار الحوار سوريا ،ط 1- 2008 .

19- امبرتو إيكو السيميائيات و فلسفة اللغة ،ت أحمد الصمعي ،المنظمة العربية للترجمة و التوزيع مركز الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

20- أميرة حلمي مطر : كتابك فلسفة الجمال دار المعارف ،القاهرة ،دطـ د ت.

21- أميرة حلمي مطر : مقدمة في علم الجمال و فلسفة الفن ،دار المعارف، القاهرة،ط1-1989.

22- أميرة حلمي مطر :فلسفة الجمال أعلامها ومذاهبها دار قباء للطباعة و النشر، القاهرة ،دطـ 1998.

23- أنزيوا ناي الأنوثة من زاوية التحليل النفسـي تـ طلال حرب المؤسـسـة الجامعية للدراسـات و النشر و التوزيع لبنان ط1-1992.

24- أوفيسا نيكوف ز.سمير نوفا :موجز تاريخ النظريات الجمالية، تعريب باسم السقا ، دار الفارابي ، بيروت ، ط2ـ 1979.

25- أي شنايدر التحليل النفسي و الفن، ت يوسف المسيح ثروة، دار الحرية للطباعة و النشر، بغداد، دط ـ 1984 .

26- إيمانويل كانط :نقد ملكة الحكم، ت غانم هنا ،المنظمة العربية للترجمة ،لبنان ،ط1-2005.

27- باروخ سبينوزا :رسالة في اللاهوت و السياسة ،ت حسن حنفي، دار التنوير، بيروت ،طـ1 2005 .

28- برسيفال بيلي : نقد نظرية التحليل النفسي ـ سيغموند فرويد مأساة في ثلاث مشاهد ـ ت محمد هلال دار المناهج للنشر والتوزيع ،عمان ،ط1-1999.

29- بسيوني محمد: التربية الفنية و التحليل النفسي ،عالم الكتب قطر، ط2- دت.

30- بول ريكور : بعد طول تأمل، ت فؤاد ملين ،المركز الثقافي العربي ،بيروت، ط1- 2006 .

31- بول ريكور : في التفسير محاولة في فرويد ، ت : وجيه سعد ، الأطلس للنشر و التوزيع، دمشق، ط1-2003.

32- بول ريكور: صراع التأويلات ـدراسات هيرمينوطيقية ـ ت منذر عياشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، طرابلس، ط1- 2005 .

33- بيلاغرانبرغ :النرجسية دراسة نفسية ،ت وجيه سعد منشورات وزارة الثقافة ،دمشق، دط-2000

34- بيير بودو : نيتشه مفتتا ،ت أسامة الحاج المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت ط1- 1996 .

35- ت ج أندروز : مناهج البحث في علم النفس ، ت : د يوسف مراد دار المعارف، بمصر ط1-1959 .

36- جان بارتليمي :بحث في علم الجمال ،ت أنور عبد العزيز، دار النهضة ،مصر، دط-1970.

37- جان بيلمان نوبل: التحليل النفسي و الأدب ، ت حسن المودن ،المجلس الأعلى للثقافة ،دط ـ 1997.

38- جمال مفرج: كوجيتو الجسد دراسات في فلسفة ميرلوبونتي، منشورات الإختلاف في الجزائر 2003

39- ج ك فلوجل: علم النفس في مائة عام، ت لطفي فطيم، دار الطليعة بيروت، ط 1- 1973.

40- جنفياف روديس لويس : ديكارت و العقلانية ،ت عبده الحلم ،منشورات عويدات ،بيروت، ط 4 - 1988.

41- جورج لايكون ، مارك جونسون : الفلسفة في الجسد (الذهن المتجسد و تحديه للفكر الغربي) ت: عبد المجيد حجفة، دار الكتاب،ط1 -2016 .

42- جوزيف جاسترو : الأحلام و الجنس نظرياتها عند فرويد ت : فوزي الشتوي ،دار الكتاب المصري، دط -1996 .

43- جوزيف ميسنجر: لغة الجسد النفسية، ت محمد عبد الكريم ابراهيم ،منشورات دار علاء الدين ط 1 - 2007.

44- جوليان روتر : علم النفس الإكلينيكي ، ت : عطية محمود هنا ،دار الشروق، القاهرة، ط2- 1984 .

45- جون بول ساتر : .الوجود و العدم " بحث في الأنطولوجيا الظاهرتية "، ت عبد الرحمن بدوي منشورات دار الأداب ، بيروت ، ط1 - 1966.

46- جون ماري جويو : مسائل فلسفة الفن المعاصرة ، ت سامي دروبي ، مكتبة اليقظة العربية دمشق، ط2-1965.

47- جيرارا برا :هيغل و الفن ،ت منصور القاضي المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، ط1- 1993.

48- جيل دولوز: نيتشه و الفلسفة ،ت أسامة الحاج ،المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع ،بيروت ، لبنان ، ط1- 1993.

49-حبيب الشاروني : فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية، دار التنوير للطباعة ،بيروت، ط2- 2005

50-حمدي خميس :التذوق الفني و دور الفنان و المستمع ،المركز العربي للثقافة و العلوم ،بيروت دط - دت.

51- دافييد لوبروتون : أنثربولوجيا الجسد و الحداثة، ت محمد غريب، منشورات المؤسسة الجامعية ،بيروت، ط 2 -1997.

52- دافيد لوبرتون : سوسيولوجيا الجسد ،ت عياد ابلال ادريس المحمدي، روافد للنشر و التوزيع ط1- 2014 .

53 - دافيد جاسبير : مقدمة في الهيرمينوطيقا ، ت وجيه قانصو ،الدار العربية للعلوم، منشورات الإختلاف الجزائر، ط1-2007 .

54- رمضان بسطاويسي : جماليات الفنون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط-.998.

55- روجيه موكيالي: العقد النفسية ،ت موريس شربل، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط 1- 1988.

56- روزن بول :الحريمي الفرويدي، ت ثائر ديب، دار كنعان للدراسات و النشر، ط1-1985.

57- روني ديكارت :تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ت كمال الحاج ،منشورات عويدات بيروت ،ط4 -1988 .

58- روني ديكارت: مقال عن المنهج، ت محمد مصطفى الخضيري ، دار الكاتب الغربي للطباعة و النشر ، القاهرة ، ط2، 1968 .

59- روني هوسمان :علم الجمال، ت ضافر حسن، منشورا ت عويدات، بيروت، ط4-1983.

60- رياض عوض :مقدمات في فلسفة الفن، طرابلس، لبنان، ط1-1994.

61- رينيه ويليك: ديستوفيسكي، ت نجيب المانع المكتبة العصرية، بيروت، دط -1967.

62- سالم يفوت: المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط 1 1990.

63- سعيد بنكراد : السيميائيات و تطبيقاتها منشورات الزمن، الدار البيضاء ،ط1 -2003 .

64- سلامة موسى: العقل الباطن ،كلمات عربية للترجمةو النشر ،القاهرة، دط - 2011 .

65- سمية بيدوع فلسفة الجسد، كتاب التنوير ،بيروت، ط1 – 2010 .

66- شاكر عبد الحميد :التفضيل الجمالي - دراسة في سيكولوجية التذوق الفني - المجلس الوطني لثقافة و الفنون و الأداب ،الكويت، دط -2001 .

67- عادل مصطفى : فهم الفهم " مدخل إلى الهيرمينوطيقا" نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1-2007 .

68- عبد الرحمان العيسوي : إضطرابات الطفولة و علاجها ،دار الراتب الجامعية ،بيروت، لبنان ط1 - 1460هجري.

69- عبد المنعم الحفني: التفسير النفسي للأحلام، دار نوبيليس، ط1- 2000.

70- عبد الرحمن مرحبا : من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ،منشورات عويدات، بيروت ط2 - 1981 .

71- عبد الستار ابراهيم :العلاج النفسي الحديث ـقوة الانسان ـ المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ،الكويت عالم المعرفة ،يناير- 1978.

72- عبد القادر تومي :أعلام الفلسفة الغربية في العصر الحديث ،كنوز الحكمة ،الأبيار الجزائر ،ط1- 2011.

73- عبد الناصر هلال :خطاب الجسد في شعر الحداثة قراءة في شعرالسبعينات ،مركز الحضارة العربية للنشر، القاهرة ، ط 1 - 2005 .

74- عدنان حب الله: التحليل النفسي من فرويد إلى لاكان، مركز الإنماء القومي، دط - دت .

75- عدنان رشيد :دراسات في علم الجمال، دار النهضة العربية ،بيروت، ط1-1985.

76- علي عبد المعطي محمد : فلسفة الفن (رؤية جديدة) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ،دط-1985.

77- فاليري ليبين : فرويد و التحليل النفسي والفلسفة الغربية المعاصرة ، ت تيسير كم نقش ، دار الطليعة الجديدة ،دمشق، ط1- 1997.

78- فاليري ليبين : مذهب التحليل النفسي و الفلسفة الفرويدية الجديدة ،ت نزار عيون السود ،دار الفارابي ،بيروت ط1- 1981.

79- فردريك نيتشه : نيتشه و مهمة الفلسفة ت: عبد الرزاق بلعقروز، منشورات الإختلاف، الجزائر ط1- 2010 .

80- فردريك هيغل :مدخل إلى علم الجمال ـ فكرة الجمال ـ ت جورج طرابيشي ،دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ،ط1-1978.

81- فريدريك نيتشه : هكذا تكلم زرادشت ،ت محمد ناجي، إفريقيا ،شرق، 2006.

82- فريدريك نيتشه :إنسان مفرط في إنسانيته ـ كتاب العقول الحرة ـ ت محمد الناجي، إفريقيا الشرق ،ج1 - 2002 .

83- فريدريك نيتشه :خلاصة الفكر الأوربي، ت عبد الرحمن بدوي ،وكالة المطبوعات، الكويت، ط5 - 1975 .

84- فريدريك نيتشه :ما وراء الخير و الشر،تجيزيلا فالور حجار، دار الفرابي ، بيروت ، لبنان ،ط1 ، 2003

85- فريدريك نيتشه :عدو المسيح ،ت جورج مخائيل ديب ،دار الحوار، ط2 ـ د ت .

86-فريدريك نيتشه : الفلسفة في العصر المأسوي الإغريقي، ت سهيل القش، المؤسسة الجامعية بيروت، ط2- 1983 .

87- فريد الزاهي :الجسد و الصورة و المقدس في الإسلام إفريقيا الشرق، بيروت ،1999 .

88- فؤاد إسحاق الخوري :إيدولوجية الجسد رمزية الطهارة و النجاسة، دار الساقي، بيروت ، ط 1 1998 .

89-فؤاد زكريا : الجمهورية الكيان الرابع نصوص مختارة، د ط ـ دت .

90- فيصل عباس : التحليل النفسي و الإتجاهات الفرويدية المقاربة العيادية ، دار الفكر العربي بيروت، ط1-1996

91- فيصل عباس : الشخصية في ضوء التحليل النفسي ، دار المسيرة ،بيروت، دط ، د ت.

92- كارل يونغ علم النفس التحليلي ، ت : نهاد خياط ، دار حوار للنشر و التوزيع ،سوريا ،ط2- 1979 .

93- كرس شلينج: الجسد و النظرية الإجتماعية ، ت منى البحر ،نجيب الحصادي، دار العين للنشر ، ط1- 2009 .

94- كرستو فروانت أندرجي كليمو فيسكي :أقدم لك كانط ت- إمام عبد الفتاح إمام ،المجلس الأعلى للثقافة ،ط1-2002.

95- كمال وهبي ، كمال أبو شهدة: مقدمة في التحليل النفسي ، دار الفكر العربي، بيروت، ط 1 1997.

96- ليوناردو دافينشي : نظرية التصوير : ت عادل السوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط ـ 2005 .

97- ليوناردو دافينشي : نظرية التصوير ليوناردو دافينشي : دراسة تحليلية ،ت أحمد عكاشة ،مكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة، د ط ـ 1970

98- محمد أحمد النابلسي :الصدمة النفسية ـ علم النفس الحروب و الكوارث ـ دار النهضة العربية بيروت، لبنان.

99- م من المؤلفين: مراجع الشخصية- الهو الأنا الأنا الأعلى ـ ت وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2002

100- م.أوفسيا نيكوف ز.سمير نوفا: موجز تاريخ النظريات الجمالية ، تعريب باسم السقا ، دار الفرابي بيروت، ط2-1979.

101- مارتي بيار فان م دوميزان م دافيد س النابلسي محمد :بسيكوسوماتيك الهستيريا و الوساوس المرضية حالة دورا بين فرويد و مارتي ،ت غزوى نابلسي ،دار النهضة العربية للطباعة و النشر،بيروت ، 1990.

102- مجاهد عبد المنعم مجاهد :جدل الجمال و الإغتراب ،دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة ،دط- دت.

103- محمد زكي ألعشماوي :فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، دار النهضة الربية للطباعة و النشر بيروت، دط-1980.

104- محمد سليمان حسن :دراسات في الفلسفة الأوربية ،دار علاء الدين دمشق،ط1 ـ 1998 .

105- محمد علي أبو ريان : فلسفة الجمال و نشأة الفنون الجميلة ، دار المعرفة الجمالية الإسكندرية دط ، 1989

106- محمد عويضة كامل : التحليل النفسي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1- 1996.

107- محمد فتحي عبد الله : الجدل بين أرسطو و كانت (دراسة مقاربة) المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، ط1- 1995.

108- محمود إبراهيم: ديالكتيك الجسد و الجليد ،وزارة الثقافة، دمشق، د ط ـ 2007.

109- محمود فهمي :زيدان النفس و الجسد ،بحث في الفلسفة المعاصرة ،دار الجامعات المصرية الإسكندرية ، 2001 .

110- مدحت الكاشف : اللغة الجسدية للممثل ، مطابع الأهرام التجارية، مصر، 2006.

111- مصطفى حجازي: تأهيل الطفولة غير المتكيفة، دار الفكر العربي، بيروت، ط 1- 1995

112- مصطفى سويف : الأسس النفسية للإبداع الفني (في الشعر خاصة)، دار المعارف مصر ط2-1959

113- مصطفى عادل: فهم الفهم ـ مدخل إلى الهيرمينوطيقا- نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادمير رؤية للنشر و التوزيع ،القاهرة، ط1.

114- مصطفى عبده : فلسفة الجمال و دور العقل في الإبداع الفني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ط2- 1999.

115- مصطفى عبده :المدخل لفلسفة الجمال ـ محاورة نقدية و تحليلية و تأصيلية- مكتبة مدبولي القاهرة، ط2- 1999

116- ميشال فوكو: تاريخ الجنسانية 1 إرادة العرفان، ت محمد هشام ،إفريقيا الشرق ، المغرب، 2004 .

117- ميشال فوكو: تاريخ الجنسانية 2 إستعمال المتع ،ت محمد هشام ،إفريقيا الشرق، المغرب، 2004

118- ميشال فوكو :تأويل الذات دروس القيت في الكوليج دوفرانس سنة 1981- 1986 ،ت الزواوي بغورة، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1- 2011 .

119- ميشيلا مارزانو: فلسفة الجسد ،ت نبيل أبو مصعب ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ط1 2011 -

120- نبيهة قارة : الفلسفة و التأويل، دار الطليعة للطباعة و النشر ،بيروت، ط1-1998 .

121- نيرس دي : الأحلام تفسيرها و دلالاتها ت : محمد منير مرسي، عالم الكتب، 2004.

122- هنري لوفاقر: في علم الجمال ،ت محمد عيساني، دط-دت.

123- والترت ستيس :معنى الجمال نظرية الإستيطيقا ،ت إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة ،د ط- 2000.

124- وعلي إسماعيل علي : نظرية التحليل النفسي و إتجاهاته الحديثة في خدمة الفرد ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ،دط - 1995 .

125- ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ت مجاهد عبد المنعم مجاهد ،القاهرة ،1984.

126 - ولتر ستيس: الفلسفة اليونانية ،ت مجاهد عبد المنعم مجاهد ،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، ط 2- 2005 .

127-هانز ساكس :فرويد استاذي و صديقي، ت سعد توفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة، 1985.

128-هنري برغسون :الطاقة الروحية ،ت علي مقلد ،مؤسسة مجد للدراسات و النشر ،بيروت، 2006.

129-يوسف مخائيل اسعد: سيكولوجية الإبداع في الفن و الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،دط - 1986 .

المعـاجـم و القـواميس و الموسوعـات :

1-ابن منظور :لسان العرب :المجلد الأول، دار المعارف، القاهرة .

2- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ،دار الكتاب اللبناني، ج1.

3- جيرار جهامي: موسوعة المصطلحات الفلسفية عند العرب، الناشر مكتبة لبنان ، بيروت ، ط 1 - 1998

4- عبد المنعم الحفني: المعجم الموسوعي للتحليل النفسي، المجلد الثاني، دار نوبليس، بيروت، لبنان ط1 -2005 .

5- عبد المنعم الحفني :الموسوعة النفسية الجنسية ، مكتبة مدبولي، ط 4- 2002.

6- نوبير سيلامي :المعجم الموسوعي في علم النفس، ج4 ، ت وجيه اسعد ، منشورات وزارة الثقافة دمشق ،2001.

7- رمزي النجار : أحلامك تحت مجهر علم النفس ، معجم سيكولوجي ، دط - 2011.

المجـلات ، الدوريات ،الأطروحات و المواقع الإلكترونية :

1-حميد حمادي: التجربة الجمالية في الفكر المعاصر لفرديريك نيتشه ،أطروحة دكتوراه ، وزارة التعليم و البحث العلمي ،وهران ،2007-2008.

2- قاسم حسين : الوجيز في إضطرابات النفس و العقل و سيكولوجية الشواذ، الكتاب العربي للعلوم النفسية، الإصدار عدد 26 .

3- مجلة كاليكوت: جامعة كاليكوت كيرالا، المجلد الثاني، العدد الأول، يونيو، 2010 .

4- مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 66-67 ، نصوص عربية في اللذة ،علي حرب ، بيروت .

5- حسن المصدق: البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة و معرفة السلطة ، جريدة العرب الدولية لندن ، العدد 11، الخميس 26 /2007/07

6- إزانة بوغراس: تمثلات الجسد في رواية أريانة للروائي المغربي الميلودي
http//alwatanevoicemcomnindxhtml

7- سيد الوكيل : ثقافة الجسد /11222915/ http.maktoobblog.com 30يونيو، 2008.

8- عبد الله عسكر: مجلة شبكة العلوم النفسية العربية ، العدد23، صيف،2009.

9- مرسيليسا حسن شعبان :الدعم النفسي ضرورة مجتمعية، إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية أكتوبر، 2013 ، العدد 31 .

كتـب فرويـــد باللغـــة الأجنبيـــة :

1 - S Freud : Actes obsédants et exercices religieux, Trd marie bonaparte 1932 .

2- S Freud :totem et tabou , Trd S.jankélé vitch ED Payot , paris 1968 .

3- S Freud : un souvenir d'enfance dans fiction et vérité de goethe Trd : marie bonaparte, 1933 .

4- S Freud: assai en psychoanalyze appliqué ED folio gallimard (SD) .

5- S Freud : Abrégé de psychanalyse Trd : berman Ed p u f ,paris ,1978 .

6- S Freud :Au de la principe de plaisir ,Trd S.jankélévitch ,1920 .

7- S Freud : introduction à la psychanalyse tome 1, Trd: jankélévitch 1921 .

8-S Freud : introduction à la psychanalyse tome 2, Trd jankélévitch 1921

9- S Freud : l'avenir d'une illusion , Trd: Bonaparte, 1932 .

10- S Freud : l'inquietante étrangeté (das unheilmliche) ,Trd marie ponaparte, 1933 .

11- S Freud : le moi et le ca , Trd: janekélivitch, 1923 .

12- S Freud : ma vie et la psychanalyse, Trd marie bonaparte Ed Gallimar.

13- S Freud : nouvelles conférence sur la psychanalyse ,Trd anne berman ,1936 .

14- S Freud : psychologie collective et analyse du moi , Trd S.jankélé vitch en 1921 .

المـراجـع باللغــة الأجنبيــة :

1- Chantal jacquet et les autres : spinoza philosophie de l'amour, Pu.f 2005 .

2- Claude richeler : le corp et ses fictions, 1983.

3- Grandillac : nitzstch ainsi parlait zarthoustra Trd maurise de ,Gallimard paris, 1969.

4- H Bergson : la pense et le mouvant P U F, Paris, 1999 .

5- Léon Gautier :le pensée philosophique à ,travers les ages T1 ;paris .

6- Maria Michaela : marzano :panisoli, pensée le corps op ,cit .

7- merlou ponty : la phénomenologie à la perception , gallimard, 1945 .

8 - merlou ponty : signes ,o p, cit.

9 - merlou ponty :le visible et l'invisible ,o p, cit .

10 - Nietzsche: livre de philosophié, Trd signa ,paris, 1999.

11- Nietzsche : la volonté de la puissance, Trd H Albert .

12-Platon : la république, paris Flammarion 1978 .

ملخص الأطروحة

- لقد أثر التحليل النفسي في معظم المدارس و الإتجاهات الفكرية الغربية ،حتى أصبح له بعدا نسقيا في الخطاب الحضاري الغربي الحديث ،و مما لا شك فيه أن النسق الفرويدي يعتبر من أهم الأنساق المعرفية حيث أعاد فرويد دعائم الربط بين الجسد و النفس أي بين العوارض البيولوجية و الكوامن النفسية ،فكل إختلال جسدي يستند الى أرضية نفسية تعبر عن كوامنها من خلال صراع داخلي بين الأنا ،الأنا الأعلى ،و الهو و من تلك الأرضية جسد فرويد تصوراته النفسية الفلسفية عبر مفهوم ثلاثي لتطور الحالة النفسية و الفكرية للإنسان و التي تؤسس على مسلمة اللاشعور الذي يعمل ضمن إطار من القوانين ذات الدلالة و المعنى و التأويل، و بذلك إستطاع فرويد إكتشاف لغة جديدة هي لغة اللاوعي أو ما يسميها فرويد "لغة الجسد" ،إنها لغة كان فرويد أول من حاول فك رموزها بإكتشافه للحلم و الذي أصبح للتحليل النفسي معنى جديد قائم على أساس المنهج الوصفي أو ما يدعى بمنهج التأويل و التفسير الفرويدي ،و بالتالي لا يوجد سلوك أو تصور بلا معنى فعندما نتحدث عن الفن كنموذج من نماذج التعبير الجسدي لغة الجسد عبر التاريخ فنجد فرويد يقارب بين أوديب الملك لسوفكليس و هاملت لشكسبير و الإخوة كارامازوف لديستويفسكي ليؤكد الحتمية المشتركة بينهما و هي عقدة أوديب (النواة الأصلية لكل ثقافة و فن و اخلاق).

الكلمات المفتاحيـة :

التحليل النفسي ، سيغموند فرويد ، الجسد ، الجنس ، التأويل ، الإبداع ، الحلم ،الفن.

Résumé :

La psychanalyse a influencé la majorité des écoles et courants intellectuels occidentaux. De ce fait, elle a eu une dimension focale dans le discours de la civilisation occidentale moderne.

Le modèle freudien est sans doute, l'un des motifs cognitifs les plus importants dans la mesure ,où Freud a restauré les liens entre le corps et l'âme c'est-à-dire entre les symptômes biologiques et les pouvoirs psychologiques. Chaque trouble physique est basé sur un fondement psychologique, qui exprime sa force à travers un conflit interne entre l'égo et l'égo supérieur.

De cette base, Freud incarnait ses perceptions psychologiques et philosophiques à travers un triple concept du développement de l'état psychologique et intellectuel de l'homme et qui est établit sur le postulat de l'inconscient. ce dernier fonctionne dans la cadre des lois de signification, de sens et d'interprétation .Ainsi, Freud a pu découvrir une nouvelle langue, c'est la langue du subconscient qu'il nomme " langue du corps ". il est le premier à avoir tenté de déchiffrer les symboles de cette langue en découvrant le rêve qui a donné à la psychanalyse un nouveau sens basé sur l'approche descriptive dite approche ou méthode d'interprétation freudienne. Donc, il n'existe pas de comportement ni de perception dénués de sens. Quand on parle de l'art en tant que modèle d'expression physique, langue du corps à travers l'histoire, on trouve que Freud rapproche entre œdipe roi de Sophocle, hamlet deshakespeare et les frères karamazov de Dostoïevski pour confirmer leur inévitabilité commine qui est le complexe d'œdipe (le noyau originel de toute culture , art et étique).

Mots-clés : la psychanalyse, Sigmund Freud, le corps, le sexe, l'interprétation, la créativité, le rêve, l'art.

Psychological analysis has influenced most schools and Western intellectual trends to have a modern dimension in the modern Western civilization discourse. There is no doubt that the Freudian style is one of the most important cognitive patterns.

Freud has re-established the connection between the لbonds between the body and the soul , Psychological , all physical imbalance is based on a psychological groud expressing its powers through an internal conflict between ego and the higher ego , and from that land , freud embodied his psychological and philosophocal perceptions through a tripartite concept of the evolution of the psychological and intellectual dilemma of man , which is based on the axion or postulate of the unconscious that works within a framework of laws of significance and meaning and interpretation and freud and thus was able to discover a new language , the language of the subconscious or what he calls freud's body language.

It was the language freud first tried to decipher by discovering the dream. Wich has become a new psychological analysis based on the descriptive approach or so-called method of interpretation and interpretation freudian and there fore no behaviour or perception meaningless.

When we talk about art as a model of physical expression , body language trough histiry , freud finds a close relationship between the king's Oedipus of sovklis and hamlet of shakespeare and the karamazov brothers of dostoyevsky to emphasize their shared determinism. It is the oedipus complex (the original nucleus of every culture , art and morality).

The Key words:
Psychoanalysis, Sigmund Freud, Body, Sex, Interpretation, Creativity, Dream, Art.

الفـهــرس

الفهـرس

- إهـــداء.....

- كلمة شكر.....

- المقدمـــة.....أ

-الفصل الأول : جينيالوجيا و كرونولوجيا مفهوم الجسد.....16

المبحث الأول: الجسد إيتمولوجيا.....18

المبحث الثانى: الجسد رمزية الحضور في تاريخ الأفكار 37

-الفصـل الثانى : الجسـد في مواجهة الذات عند فرويد 66

المبحث الأول: بنيوية الجسد في التحليل النفسي الفرويدي.....68

المبحث الثانى: الجسد الأتوبيوغرافي و الغريزة الجنسية 105

-الفصل الثالث : الحلم و لغة الجسد..... 133

المبحث الأول: من الحلم إلى الفنتازيا.....135

المبحث الثانى: الجسد ، اللغة ، اللاوعي 159

الفصل الرابع : الجسد أيقونة إبداع و تأويل 174

المبحث الأول: التأويل في التحليل النفسي 176

المبحث الثانى: علاقة التأويل بالإبداع الجسدي 197

- الخـاتمـــة.....230

- المـلاحـق.....236

-أهم المصطلحات الواردة في الدراسة.....238

-السيرة الذاتية لسيغموند فرويد.....243

- المصـــادر و المـراجـع.....248

- ملخص الأطروحـة.....266

- الفهـــرس 270